النقد التاريخي عند مؤرخي التراجم المصريين

في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي

د. أحمد عليوي صاحب

بسم الله الرحمن الرحيم

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

صدق الله العلي العظيم

{سورة الزَّلزلة الآية ٧-٨}

الاهداء

الى اعمدة العلم والمعرفة الذين خطوا لي وللآخرين صفحات الابداع.

الى جميع الأصدقاء الذين ساعدوني في تحطيم الشوك لأصل للزهرة.

الباحث

الشكر والامتنان

من حق النعمة الذكر، وأقل جزاء للمعروف الشكر، فبعد شكر المولى عز وجل، المتفضل بجليل النعم، وعظيم الجزاء، يجدر بي أن اتقدم ببالغ الامتنان وجزيل العرفان الى كل من وجهني، وعلمني، وأخذ بيدي في سبيل انجاز هذه الاطروحة، وأخص بذلك مشرفي الاستاذ الدكتور فاضل جابر ضاحي الذي تتلمذت على يديه في السنة التحضيرية وتكرم بالإشراف على هذه الدراسة، والإفادة من علمه، وثقافته الواسعة، وسعة افقه، وتوجيهاته الصائبة، وتشجيعه المستمر، وملحوظاته القيمة لإثراء هذه الدراسة والذي لم يبخل بوقته وجهده في قراءتها وتقويم هفواتها فكان عوناً لي في انجازها فله مني عظيم الشكر والامتنان.

وأتقدم بوافر الشكر والامتنان الى رئاسة قسم التاريخ، وكذلك أجد من الواجب ان اتقدم بخالص شكري الى اعضاء الهيئة التدريسية، والذين كان لهم شرف تدريسي في السنة التحضيرية.

واعرب عن جزيل الشكر والعرفان الى عائلتي لدعمهم المستمر وفي المقدمة والدي ووالدتي وأخواني ولا ازال حتى الان احتسس بصماتهم قلبا وعقلا.

وأتقدم بالشكر والتقدير الى أساتذة كلية الامام الكاظم(**عليه السلام**) لما قدموه لي من عون ومؤازرة وتشجيع خلال مدة كتابة البحث .

كما اسجل شكري لكل من مد لي يد العون والمساعدة لإنجاز هذه الدراسة ولم تسعفني الذاكرة بذكرهم فلهم مني جميعاً كبير الشكر والامتنان ومن الله حسن الجزاء وعظيم الثواب.

الباحث

المحتويات

المقدمة وعرض المصادر

أبدع العرب المسلمون في التأليف في علم التأريخ، وتنوعت تآليفهم في هذا العلم، ومن بين تلك الانواع كتب التراجم، التي لا تقل أهمية عن كتب التأريخ الأخرى، فهي تبحث في سير الرجال وأعلام العرب والمسلمين في مختلف تخصصاتهم العلمية واتجاهاتهم الفكرية مسلّطة الضوء على مكانة صاحب الترجمة الادارية والاجتماعية والعلمية سواءً أكان سلطاناً ام اميراً ام وزيراً ام مفسراً أم محدثا أم فقيهاً أم نحوياً أم اديباً.

ولا تزال الدراسات التي تعنى بالنقد التاريخي قليلة، موازنة بالدراسات التاريخية الأخرى، على الرغم من الأهمية البالغة التي يحتلها الجانب النقدي في دراسة التأريخ، ويوماً بعد يوم تتبين صعوبة دراسة التأريخ بمعزل عن دراسة النقد التاريخي وفلسفته التي تمثل المحور الحيوي لعلم التأريخ ، ولا نبالغ إذا قلنا إنه من دون مثل هذه الدراسات لا نستطيع أن نقدم صورة ناضجة للمنهج التاريخي في مجال تحليل ونقد النصوص التاريخية. ومن خلال ما تقدم تأتي اهمية الموضوع الذي نحن بصدده .

ونحاول في هذه الدراسة الموسومة بـ " النقد التاريخي عند مؤرخي التراجم المصريين في القرن التاسع الهجري " أن نُسهم في تقديم صورة واضحة لما أحدثه هؤلاء المؤرخين من تطور واضح لما وصل اليه علم التأريخ، وقد تجلت هذه الحقبة التاريخية المشار اليها بما لهؤلاء المؤرخين من دور كبير في بلورة النقد التاريخي.

لقد برزت بوضوح عناية المؤرخين المصريين بالتأليف في مجال التراجم، وهذا استمرار لعلم الرجال(علم الحديث والرواية)، فكُتب التراجم تسهم بتغطية أعيان العرب المسلمين وأخبارهم، وعلى رأسهم رجال السلطة الحاكمة من سلاطين وامراء ونواب وقضاة، فضلاً عن رجال الدين والأدباء والشعراء٠

وقد شهد القرن التّاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي في مصر ظهور مؤرخين مشاهير أعلام، كان من بينهم: المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، وابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، وبدر الدين العيني(ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)، وابن تغري

بردي(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، والحافظ شمس الدِّين السَّخاوي(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، وجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، وقد ساهم هؤلاء المؤرخون في إثراء الحياة العلمية للأمة الإسلامية، بما صنفوا من تآليف تناولت تاريخ الأحداث، مع ما قد يلتحق بذلك من حديثٍ عن تراجمِ، وسِيَر الملوك والعلماء والفضلاء والأعلام.

اما فيما يخص صاحب الترجمة فان نقد الرجال هي مقاييس تختلف تبعا لاختلاف تخصصات المترجم لهم وطبقاتهم تتلاقى في هدف واحد، وهو الكشف عن بعض الصفات الأصلية في كل منها: الهيئة، والاخلاق والصفات، والقدرات العقلية النفسية، والمكانة العلمية، والمقدرة الادبية.

ولابد لنا من دراسة البيئة التي نشأ وترعرع فيها هؤلاء المؤرخون، حيث تتجلى أهمية دراسة الاوضاع السياسية والفكرية التي ساهمت في بروزهم.

اما فيما يخص فصول هذه الاطروحة فأن طبيعتها قد فرضت تقسيمها على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ضمت أهم النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة، ثم اتبعتها بملاحق، وقائمة بالمصادر والمراجع وملخص باللغة الانجليزية.

تناول الفصل الاول النقد التاريخي للطبقة الحاكمة عند مؤرخي التراجم المصريين خلال القرن التاسع الهجري، وقد قسم اربعة مباحث، اذ تناول المبحث الاول نقد الملوك والسلاطين من الناحية السياسية وما يترتب عليها من تاثيرات على سياساتهم تجاه الرعية، وكذلك وصف حالات اجتماعية لها علاقة بالجانب السلوكي الفردي وهذا له اثار سلبية على هيبة وشخصية المترجم له وهو بمنصب السلطان، أما المبحث الثاني، فقد تطرقت فيه الى نقد الولاة وتأتي أهمية هذا المبحث في نقد أحوال الامراء وتصرفاتهم وانعكاسات أفعالهم على الرعية او تأثيراتهم في أحداث العصر مما صاحبهم او أتى بعدهم.

اما المبحث الثالث فقد اختص بنقد أمراء الوظائف المرتبطة بالرتب العسكرية، وتشمل امراء العشرة وامراء المئة وغيرهم من اكابر ارباب الوظائف والنواب الخارجون عن حضرة السلطان، وكذلك شمل الوظائف التي تكون بخدمة السلطان.

وتطرقت في المبحث الرابع الى نقد القضاة وما يجب أن يمتاز به القاضي من الورع والعفة ومعرفته بالامور الشرعية، والتي تعد من اهم مقومات القاضي، ومن القضاة من يتصف بسيرة وسلوكيات غير صحيحة ولكن مثل هؤلاء القضاة لم يستمروا بهذا المنصب كثيراً.

وفي الفصل الثاني بحثتُ نقد المؤرخين للطبقة الإدارية حيث قسمته الى اربعة مباحث، تناول المبحث الاول نقد الوزراء، وما ترتب عليه من نقد السياسة الإدارية، والسلوك الأخلاقي للمترجم له، واهتم المبحث الثاني في نقد كاتب الانشاء، ونظرا لأهمية وخطورة هذا الديوان فقد كان متوليه يختار من بين ارفع الناس طبقة ومن الذين يتصفون بالمروءة والحشمة، ويتمتعون بمستوى علمي وفني ولغوي جيد، فضلاً عن معرفته بآيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم (ص) وان يكون عارفا بسير الخلفاء والملوك ملما بتواريخ الأمم.

اما المبحث الثالث فتناول نقد المحتسبين عند المؤرخين المصريين، حيث يظهر ان سير الحسبة في بداية العصر المملوكي كان سيرا حسنا، وتناول المبحث الرابع نقد ناظر الجيش، حيث لاحظنا ان اغلب النقد الموجه لهم من قبل المؤرخين كان نقدا ايجابيا.

اما الفصل الثالث فقد تطرقتُ فيه الى نقد طبقة العلماء عند مؤرخي التراجم المصريين خلال القرن التاسع الهجري. فقد شمل المبحث الأول نقد الفقهاء سواء ما يخص السلوك الديني والاجتماعي، فضلاً عن الجانب العلمي.

أما ما يخص المبحث الثاني فقد تناول نقد مؤرخي التراجم المصريين لأقرانهم من المؤرخين لاسيما المعاصرين لهم وقد برز في ذلك المؤرخ شمس الدين السخاوي.

اما المبحث الثالث فقد تطرق الى نقد المؤرخين للأدباء واللغويين، من حيث معرفتهم بعلوم اللغة صرفها ونحوها وبلاغتها، وعروض الشعر وقوافيه التي حددها علماء اللغة لجودة الأسلوب وفصاحته.

اما الفصل الرابع فقد سلط الضوء على نقد فئات المجتمع الاخرى، ففي المبحث الاول تطرقت فيه نقد فئة الأطباء اذ استعرضنا سيرهم وسلوكياتهم وجهودهم في خدمة المجتمع ضمن فترة موضوع البحث.

وفي المبحث الثاني بحثتُ نقد فئة التجار التي برزت في عصر السلاطين المماليك وأصبحت مقربة من السلطة الحاكمة بسبب توليهم مناصب مهمة في الدولة.

اما المبحث الثالث فقد تناولت فيه نقد اصحاب المهن والصناعات، والتي يعد أفرادها من فئات المجتمع الأخرى الذين امتازوا باتقانهم عدة صناعات كان لها تأثيرها في المجتمع المصري، ودرس المبحث الرابع نقد الاقارب والأصدقاء عند مؤرخي مصر.

وضم الفصل الخامس منهج مؤرخي التراجم المصريين في نقد الروايات التاريخية، حيث ضم أربعة مباحث، ففي المبحث الاول تطرقتُ الى اعتماد مبدأ الترجيح في نقد الروايات التاريخية.

اما ما يخص المبحث الثاني فقد تناولت فيه المرويات الضعيفة، أو رفض بعض الروايات وبطريقة غير مباشرة.

وفيما يخص المبحث الثالث فقد تناول أخطاء المؤلفين، وهنا يُبدي المؤرّخ رأيه في بيان ما هو صحيح معزّزًا ذلك باستعراضه الأدلة التي تعضّد صحة رأيه، وفي المقابل تُظهر بوضوح خطأ رأي الآخرين.

وقد اوضحتُ في المبحث الرابع نقد الروايات الشاذة (الخرافية)، والتي كانت تحمل في طياتها السرد الخرافي الاسطوري والتي لم يقبلها العقل ولا المنطق، ولا تخضع الى سلطة المكان والزمان دون التركيز على المغزى الوعظي والأخلاقي المباشر.

تحليل المصادر والمراجـــع

اعتمدت الدراسة على مصادر ومراجع ودراسات متعددة ومتنوعة اســـهمت فـــي رســـم الصورة التي تم الاشارة اليها في البحث، وقد تفاوتت هذه المصادر والمراجع فـــي معلوماتهـــا والتي افادت البحث ، ولاسيما ان الدراسة تبحث معارف متعددة في طبيعتها .

كتب التراجم:

اعتمدت الدراسة بالدرجة الاولى على كتب التراجم المصريين، وهي الكتب التي تضمنت تراجم السلاطين والامراء والنواب والقضاة، والمثقفين بما فيهم الفقيه والمحدث، والمؤرخ، والاديب، والشاعر، وكذلك الاداريين بمن فيهم الوزراء والكُتّاب.

وفي مقدمة هذه الكتب كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة) لتقي الدين احمد بن علي المقريزي(ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، فقد تضمن هذا الكتاب تراجم من عاصرهم المؤلف، فكتب عنهم وعن اخبارهم دون ان ينقل من كتب أخرى وقد تناول الكتاب فترة مهمة من فترات تاريخ مصر فهو يذكر من كان حيا سنة ٧٦٠هـ، حتى توقف عن الكتابة قبل وفاته بقليل، ونلاحظ ان المؤلف قد خص هذا الكتاب بتراجم الأعيان، ولهذا لا يجد المتتبع تراجم للحرفيين او اصحاب الصناعات، وان المقريزي قد اعتمد في تأليف هذا الكتاب على اتصالاته وملاحظاته الشخصية عن المجتمع، ولاسيما رجال السلطة الحاكمة ورجال القضاء، ورجال الدين، وكذلك ترجم لبعض مشاهير التجار.

وكان لمصنفات ابن حجر العسقلاني شهاب الدين احمد المتوفى سنة(٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الجانب المهم في رفد فصول الدراسة بالمعلومات القيمة والخاصة بتراجم الرجال ومنها كتاب (الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة)، الذي يعد من المصادر التي قدمت مادة تاريخية عن الامراء والسلاطين، وتكمن اهمية هذا الكتاب بما امتاز به من الدقة والشمولية والتفصيل، ويعد هذا المصدر من المصادر الأولية المهمة لقرب مؤلفها زمانا ومكانا من أصحاب التراجم.

كما أفدنا من كتاب (المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي) لجمال الدين يوسف بن تغري بردي(ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، الذي امتاز بالدقة والسعة والشمول، كونه من ابناء السلطة، اذ كان ابوه اتابكاً للديار المصرية فكان يدخل البلاط متى اراد ذلك، ويطلع على الاحداث السياسية والادارية، أو يستمع لأخبارها في البلاط، وبهذا احتوى كتابه على معلومات قيمة أغنت معظم فصول الدراسة فقد استفدت منه في ذكر الطبقة الحاكمة، والاداريين، وكذلك نجده ينتقد الطبقة الحاكمة نقدا لاذعاً، لاسيما الاحداث التي عاصرها والشخصيات الذين خبرها عن قرب وكتب عنهم بشكل دقيق.

وقد صنف الحافظ شمس الدين السخاوي(ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، كتابه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)، على غرار كتاب الدرر الكامنة لابن حجر، وقد احتوى تراجم رجال من عاصرهم او كان قريب منهم من أعيان مصر من العلماء والقضاة والرواة، ويعد هذا الكتاب من الكتب النقدية المميزه، اذ لا نجد مصدراً آخر في التراجم يجاريه في قوة النقد ووضوح العبارات النقدية وجرئتها وكثرتها، ولم يسلم من نقده حتى كبار الشخصيات من معاصريه سواء اكانوا من العلماء أم من الطبقة الحاكمة.

اما كتاب(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن المتوفى سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م) فهو كتاب شامل اعتمد على اغلب الكتب التي سبقته في هذا الفن، فضلاً عن اعتماده على الكثير من الكتب الادبية، والتاريخية، وكتب التراجم، ومشاهداته، وذكره لعلماء عصره، وشيوخه، واورد فيه النحويين واللغويين واخبارهم وفوائدهم ومناظراتهم واشعارهم ومروياتهم، فالكتاب إذاً خلاصة لكتاب واسع جداً في موضوعه، وهذا ما يفسر لنا اختصار التراجم فيه واقتصارها في أغلب الأحيان على ذكر اسم العالم، وتاريخ وفاته، وأسماء أساتذته وتلاميذته، وعناوين مصنفاته، وقد يورد أحياناً نتفاً من أخبار من يترجم لهم وآرائهم المشهورة، وكان قد رتبه على حروف المعجم، وكانت الفائدة منه تكمن في ترجمته للكثير من اللغويين والنحويين ذاكراً مصنفاتهم والقابهم وولادتهم ووفاتهم، ثم نقد بعض المترجم لهم من حيث مهارتهم ومكانتهم اللغوية والأدبية.

كتب التأريخ الحولي:

ومن الكتب المساعدة في هذه الدراسة كتب التأريخ الحولي اذ احتوت معلومات وافية نسبياً عن الاحوال السياسية، وفي مقدمتها، كتاب (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) لبدر الدين محمود المعروف بالعيني (ت ٨٥٥ هـ /١٤٥١م)، فهو من كتب التأريخ التي تنهج منهج الحوليات، وتعود أهمية لما ضمه من معلومات وفيرة عن دولة المماليك، ولاسيما ان المؤلف كان معاصراً لتلك الدولة ومقرباً من سلاطينها، فكان قد شغل مناصب ادارية مهمة منها الحسبة، والقضاء ونظر الأحباس، ثم أخذ يتقرب من سلاطين المماليك، والذي جعله ضمن

حاشيتهم اتقانه للغة التركية، ومعرفته في بعض العلوم منها، النحو، واللغة، والصرف، فقد زودنا كتابه بمادة غنية عن الجوانب الادارية ومن تولى هذه المناصب.

أما كتاب (النجـوم الزاهـرة فـي ملـوك مصـر والقـاهرة) لأبـن تغـري بـردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٧١م) فهو وان كان في التأريخ الحولي الا انه من المصادر المملوكية المهمـة التي تغطي أخبار مصر منذ الفتح الاسلامي حتى عصر المؤلف، إذ قدم لنا معلومات هامة عـن حوادث مصر والقاهرة وادارتها تحت حكم سلاطين المماليك البحرية، وقد افادنـا فـي حـالات التأكيد او النفي لبعض الروايات التاريخية والآراء النقدية، وامتاز هذا الكتـاب بكثافـة المـادة التاريخية الواردة فيه عن عصر المماليك الذي عاصره المؤلف وكان شاهد عيان على الكثير من احداثه وشخصياته.

كتب التأريخ الاداري:

اهتمت كتب الإدارة بتقديم الشرح للكثير من المصطلحات، ومنها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية المستخدمة في الدول والإمارات الإسلامية في مصر والشام، وجاء التأكيد على ذلك عند القلقشندي ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) في مؤلفه (صبح الأعشى في صناعة الانشا) والذي يأتي في طليعة هذا النوع من الكتب، فقد تحدث عن الدواوين والنظم السياسية والادارية في العهد المملوكي، فضلاً عما فيه من معلومات مهمة عن ديوان الانشاء،وما يتضمنه الكتاب من معلومات وأيضاحات هامة في الأُسس التي يقوم عليها نشاط الدواوين.

الكتب اللغوية :

كانت للكتب اللغوية أهمية لا تنكر في رفدها البحث العلمي بمواطن الدقة التي يقتضيها المقام ولاسيما في توضيح المعاني ذات الاصل اللغوي، ففي مقدمة تلك الكتب كتاب مختار

الصحاح للرازي (ت٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)، وكتاب لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) الذي افادني في توضيح مدلولات الكثير من الكلمات والألفاظ، والذي امتاز بشموليته وطرح العديد من الآراء مما يعطي المجال والمرونة في اختيار المفردات الملائمة لإنجاز الدراسة، وكذا كتاب تاج العروس للزبيدي (ت١٢٠٥هـ /١٧٩٠م).

تمهيد

ملامح الحياة السياسية والفكرية في مصر خلال القرن التاسع الهجري

أولا : ملامح الحياة السياسية.

حكمت مصر والشام طبقة عسكرية ارستقراطية وهي طبقة المماليك[١]، وقد قام المماليك بإحياء الخلافة العباسية سنة(٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م)، بمبايعتهم المستنصر بالله وذلك لإضفاء الصبغة الشرعية على حكمهم، وكان أصل المماليك في الغالب من الاتراك القفجاق أو من الشركس القوقاز[٢] وكان ابتداء حكمهم لمصر بعد زوال الدولة الايوبية سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م).

وكان العامل السياسي هو الذي دفع الصالح نجم الدين أيوب الى جلب المماليك والاهتمام بهم واسكانهم جزيرة الروضة[٣]، وذلك لحاجته الى جيش قوي يسانده- للسيطرة على الدولة ودفع خطر التهديدات الخارجية، لإسكانهم فيها، لذلك سموا بـ(المماليك البحرية)، وكان معظم هؤلاء من الاتراك القفجاق (شمالي البحر الاسود)[٤].

وكان للظروف السياسية التي أحاطت بالمنطقة والمتمثلة بحملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر سنة(٦٤٧هـ/١٢٤٩م) وخطر الصليبين ودور المماليك للتصدي لهم والانتصار

---

(١) المماليك، جمع مملوك، وهو يقصد به العبد أو الرقيق، أو هو كل ما ملك واختص في العرف بالرقيق من البشر، والمملوك أصلاً من الامتلاك للشيء، وكان مصدرهم الشراء والأسر في ميدان القتال، ثم الهبات والإهداء وفي شكل ضريبة أو جزية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤ / ص٤٧١-٤٧٢؛ عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، ص ١٣.

(٢) سليمان، تأريخ الدول الإسلامية، ج١/ ص١٥٩.

(٣) جزيرة الروضة : تقع بين مدينة مصر ومدينة الجيزة، وعرفت في اول الاسلام بالجزيرة، وبجزيرة مصر ثم جزيرة الحصن، وعرفت الى اليوم بالروضة . ينظر: المقريزي، الخطط، ج ٢/ ص٧٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٣٤.

عليهم في معركة المنصورة[١] ثم معركة فارسكور[٢] في العام نفسه[٣]، دور كبير في وصول المماليك الى السلطة[٤].

وعلى اثر ذلك قامت دولة المماليك البحرية سنة(٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) وكان من اشهر سلاطينها المعز ايبك، وسيف الدين قطز، والظاهر بيبرس، وسيف الدين قلاوون، وغيرهم من السلاطين[٥] حيث بلغ عددهم ثمانية وعشرون سلطاناً آخرهم السلطان الصالح زين حاجي بن شعبان الذي خلفه برقوق الشركسي في الحكم سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)[٦].

أما المماليك الشراكسة فهم عناصر قوقازية موطنهم الأصلي المنطقة الواقعة شرق البحر الأسود، وقد تعرضت بلادهم إلى غزو التتار في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فازدادت أعدادهم في أسواق الرقيق[٧].

واذا ما علمنا بان السلاطين البحرية كانوا اتراكاً فالبرجية شراكسة، باستثناء اثنين منهم وهما خشقدم وتمربغا فهما روميان، وقد سموا بالبرجية؛ لأنهم أقاموا في أبراج القلعة بالقاهرة[٨]، ويرجع تكوينهم كفرقة جديدة إلى بداية حكم السلطان المنصور قلاوون (٦٦٨-٦٨٩هـ/

---

(١) المنصورة: بلدة انشأها الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب بين دمياط والقاهرة سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ص ٣١٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٩.

(٢) الفارسكور: من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٢٢٨؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٣١.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج٦/ ص٣٦٤-٣٧٩.

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، ج ٢/ ص٣١٠.

(٥) المقريزي، الخطط، ج ٢/ ص ٢٣٦؛ سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص ١٩.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢/ ص٢٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١/ ص٢٢١.

(٧) القلقشندي، صبح الاعشى، ج١/ ص٤٢٠-٤٢١؛ العريني، المماليك، ص ٦٣.

(٨) فروخ، تأريخ الأدب العربي، ج٣/ص ٨٨.

١٢٧٩-١٢٩٠م) الذي أكثر من شراء الشراكسة ليتخلص من صراع المماليك البحرية وليضمن الحفاظ على السلطنة له ولابنائه من بعده[١].

قام السلطان المنصور قلاوون بتربية المماليك تربية عسكرية، وحرص على عدم مغادرتهم القلعة، أما في عهد ابنه الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م)، سمح لهم بالنزول من القلعة اثناء النهار فقط، وهذا ما أدى الى أمرين الأول: انغماسهم في الحياة العامة، والآخر: انهم لم يلبثوا أن استثاروا حقد سائر طوائف الأتراك بسبب ما اصبحوا فيه من نعمة ومكانة رفيعة عند قلاوون وابنه خليل[٢]، وبعد مدة أصبحت اعداد هؤلاء الشراكسة كثيرة وغدوا أصحاب رتب عسكرية فمنهم الأمراء والقادة وفي نهاية المطاف استطاعوا ان يتسلموا السلطنة وان يحكموا البلاد[٣].

وأول سلاطين الشراكسة هو الظاهر برقوق(٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م)، وينسب إلى الخواجا فخر الدين العثماني أحد كبار الرقيق الذي جلبه إلى مصر[٤]، وبذلك قامت دولة المماليك الشراكسة وامتدت للفترة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م)[٥]، وفي السنة الأولى من سلطنته تعرض لمؤامرة حيكت لعزله وأحلال الخليفة المتوكل محله، لكنه اكتشف هذه المؤامرة، فعزل الخليفة المتوكل وأحل محله الخليفة الواثق بالله[٦]، وإن هذه المؤامرة دفعته إلى التطرف واضطهاد من يشك فيهم وبخاصة المماليك البحرية الاتراك، فطرد عدداً كبيراً منهم من وظائفهم ونفى بعضهم إلى الشام، وقد أفرزت هذه الاجراءات ثورة ضد برقوق سنة(٧٩١هـ/١٣٨٨م)

---

(١) المقريزي، الخطط،ج ٢/ص ٢٤١.

(٢)المصدر نفسه، ج٢ / ص٢١٣.

(٣) شاكر، التأريخ الاسلامي- العهد المملوكي،ج٧/ص ٧٠.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٤٧٣؛ المقريزي، السلوك،ج ٣/ص ٤٧٦.

(٥) المقريزي، المصدر نفسه،ج ٣/ ص٤٧٧؛ سليم، عصر سلاطين المماليك،ج ١/ ص٤٠-٤١.

(٦) ابن حجر، إنباء الغمر،ج ١/ ص٢٠٠-٢٠١.

قادها منطاش[1] نائب ملطية[2]، ويلبغا الناصري[3] نائب حلب، وأدت بالنتيجة إلى القاء القبض على برقوق ونفيه الى الكرك[4].

وبعد نفي برقوق استمر النزاع بين الاميرين منطاش ويلبغا مما أعطى برقوقاً الفرصة لاسترداد مكانته، استطاع بمساعدة اصدقائه تحرير نفسه والهرب من سجنه من حصن الكرك وجمع جيشاً وأنزل الهزيمة بأعدائه عند صرخد[5] سنة (٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م) ثم دخل القاهرة [6].

وبذلك بدأت الفترة الثانية من حكم برقوق للمدة من (٧٩٢-٨٠١هـ/ ١٣٨٩-١٣٩٨م)، وفي هذه المدة انشغل بالقضاء على الثورات والفتن الداخلية، مع اجراء العديد من الاصلاحات الداخلية، فابطل الضرائب على الثمار والفواكه، في الوقت الذي كان فيه تيمورلنك يزحف على

---

(١) هو تمربغا بن عبد الله الاشرفي المعروف بمنطاش ولاه الظاهر برقوق نيابة ملطية الواقعة الى الشمال من حلب فلم يلبث ان عصا الطاعة حتى مات قتيلاً على يد اعوان الظاهر نفسه. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٢٦٤؛ العيني، السيف المهند، ص٦٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١/ ص ص٣٧٣-٣٧٦.

(٢) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم بلاد الشام وحاليا تقع في تركيا . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥ / ص١٩٢.

(٣) يلبغا بن عبد الله الناصري اليلبغاري توفى قتيلاً بقلعة حلب وهو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق التي خلع الملك الظاهر فيها من الملك وحبس بالكرك، وكان اصلهُ من أكابر مماليك يلبغا العمري استاذ برقوق، وتولى في ايام استاذه أمرة طبلخاناه، ثم صار أمير مائة ومقدم الف بالقاهرة في دولة الملك الاشرف شعبان. عنه. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١/ ص٣٣٢ -٣٣٣.

(٤) العيني، عقد الجمان، ج ٢٤/ ص٢٨٩.

(٥) صَرخَدُ: بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والدال مهملة، بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٨٧.

(٦) المقريزي، السلوك،ج ٣/ ص٤٦٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٣٦٥.

بلاد الشام، مما اضطر برقوق لقيادة جيشه لمواجهة التتار الذين ما إن سمعوا بمســيرة الجــيش المملوكي حتى فضلوا العودة وكفوا عن الزحف إلى أملاك الدولة الشركسية[1].

وفي سنة (٨٠١هــ/ ١٣٩٨م) وقبل وفاته عهد بالسلطنة لابنه فرج الذي حكــم مــرتين الاولى من (٨٠١-٨٠٨هــ/ ١٣٩٩-١٤٠٥م) لكنه تنازل عن السلطة بسبب الفــتن والثــورات الداخلية التي أضرم نارها الأمراء فيما بينهم بسبب اطماعهم وأحقادهم، فاتفق الأمراء على تولية أخيه عز الدين عبد العزيز بن برقوق عام (٨٠٨هــ/ ١٤٠٥م) والذي لم يحكم الإ مــا يقــارب ثلاثة أشهر، بسبب سيطرة الاتابك بيبرس[2] على شؤون الحكم وهنا اتفقوا على إعادة فرج إلــى الحكم فعاد للمرة الثانية وحكم من ســنة (٨٠٨-٨١٥هـــــ/ ١٤٠٥-١٤١٢م)، وســادت الفــتن والاضطرابات في عهده وحدث قحط عام في البلاد مصحوباً بالوباء مما ادى الــى وفــاة ثلــث السكان، ولكن جاءت نهايته على يد أميرين من أمراء الشام هما شيخ المحمــودي[3] ونــوروز الحافظي[4] اللذان تمكنا من هزيمة فرج وإعدامه[1].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣/ ص٤٧٧؛ سليم، عصر سلاطين المماليك، ج١/ ص٤٢-٤٤.

(٢) بيبرس بن عبد الله، السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي البندقداري، سلطان الديار المصرية، ولد سنة ٦٢٠هــ/ ١٢٢٣م، وأخذ من بلاده صغيراً وأبيع بدمشق، فنشأ بها عند العماد الصائغ، ثم اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري، وبقي في ملكه إلى أن قبض الملك الصالح على أيدكين وصادره، وأخذ بيبرس هذا فيما أخذه منه، وأعتقه الملك الصالح نجم الدين، واستمر بيبرس على ذلك إلى أن مات الملك الصالح نجم الدين . ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٣/ص٤٤٧-٤٤٨.

(٣) شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، السلطان الملك المؤيد، سيف الدين أبو النصر الجاركسي. الرابع من ملوك الشراكسة، والثامن والعشرون من ملوك الترك، تولى السلطة ٨١٥هــ-٨٢٤هــ/١٤١٢-١٤٢١م. ينظر: المصدر نفسه، ج٦/ ص٢٦٣-٢٦٣.

(٤) نوروز الحافظي الظاهري، أول ما رقاه السلطان برقوق خاصكيا ثم أمير آخور عوضاً عن بكلمش سنة ٨٠٠هـــــ/١٣٩٧م، وكان قبل ذلك أمره رأس نوبة، ثم رام القيام على السلطان فنم عليه بعض المماليك فقبض عليه في صفر سنة ٨٠١هــ/١٣٩٨م، وقيد وحمل إلى إسكندرية فسجن بها ثم نقل لدمياط ثم

فأعُطيت بلاد الشام لنوروز، أما شيخ المحمودي فتم تعيينه سلطاناً علــى مصــر باســم (المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي) الذي حكم سنة (٨١٥-٨٢٤هــــ/ ١٤١٢-١٤٢١م)، وقــد حدث نزاع بينه وبين صديقه نوروز نائب الشام، فما كان من المؤيد شيخ المحمودي إلا أن عبّــأ الجند وحملهم إلى الشام، فهزمه وقبض عليه وحز رأسه ثم عاد إلى مصــر، وبعــدها تكــررت ثورات أمراء الشام عليه فشدد عليهم وقتل منهم عدداً كبيراً، ثم مرض وتوفى سنة (٨٢٤هــــ/ ١٤٢١م)[٢].

تولى السلطنة من بعده ابنه المظفر أبو السعادات أحمد سنة (٨٢٤هــ/ ١٤٢١م) والذي لم يحكم سوى ثمانية أشهر، وكان صغيراً، يبلغ من العمر سنة وثمانية اشهر وسبعة ايــام، وبقــي بالحكم تمانية اشهر، فدبر الأمور له ططر الشركسي وأخذ يمهد لسلطنته من بعده وذلــك بــان تزوج من أم السلطان ثم قام بخلعه بعد ذلك وظل المظفر مسجوناً حتى توفى مطعوناً وهو فــي العاشرة من عمره[٣].

وبهذا تولى الظاهر أبو الفتح ططر الظاهري الشركسي السلطنة، وهو من مماليك برقوق لكنه لم يدم في السلطنة إذ توفى في عام توليته[٤].

وبعد الظاهر ططر تولى السلطنة ابنه الصالح ناصر الدين محمــد بــن ططــر (٨٢٤-٨٢٥هــ/ ١٤٢١-١٤٢٢م) حيث بويع بالسلطنة وعمره حينئذ إحدى عشرة سنة فدبر له الأمــر

أفرج عنه في التي بعدها واستقر رأس نوبة كبيراً وصار ناظر الشيخونية وحضر قتال إيتمش، ورجع مع المنهزمين واستقر يتنقل في الفتن. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص٢٠٤.

(١) الصيرفي، نزهة النفوس، ص ٤٤؛ سليم، عصر سلاطين المماليك، ج١/ ص٤٦.

(٢) العيني، السيف المهند، ص ٣٠٥؛ ابن اياس، بدائع الزهور،ج ٢/ ص ٢.

(٣) ابن اياس، المصدر نفسه، ج٢/ ص ١٠؛ زيدان، تأريخ،ج ١/ص ٣٧١.

(٤) العيني، الروض الزاهر، ص ٣٤.

الاتابك جانبك الصوفي[١] وكان لهذا الاتابك أعداء من الأمراء يتزعمهم برسباي الدقماقي[٢] الذي تمكن من القبض على جانبك وسجنه بالاسكندرية، ثم خلع السلطان الصبي وتسلطن محله[٣]، وبذلك تسلم الأشرف برسباي عرش السلطنة سنة (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م)، وقد قضى على الثورات الداخلية.

اما على الصعيد الخارجي فقد غزا قبرص وهزم ملكها، وبعد وفاته خلفه ابنه الملك العزيز يوسف بن برسباي سنة (٨٤١-٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) ثم خلع في العام نفسه[٤]، وتولى بعده الظاهر جقمق العلائي سنة (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م)، وقد همَّ الاتابك قرقماس الشعباني[٥] بأن ينقض على السلطان وينتزع منه السلطنة فوقعت بين الفريقين معركة شديدة في جهة الرميلة انهزم فيها قرقماش، وهرب ثم قبض عليه السلطان وسجنه، ثم قتله سنة(٨١٢هـ/

---

(١) جانبك الصوفي الظاهري برقوق صاحب تلك الوقائع والحروب، فر من محبسه بالاسكندرية وأعيا السلطان، وامتحن جماعة بسببه إلى أن ظهر عند ابن دلغادر، مات في منتصف ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين واختلف في سبب قتله، وكان ظالماً عاتياً جباراً لم يعرف بدين ولا كرم. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٥٧.

(٢) الأشرف برسباي بن عبد الله، أبو النصر الدقماقي الظاهري الجاركسي، سلطان الديار المصرية، الثاني والثلاثون من ملوك الترك، والثامن من ملوك الشراكسة، أخذ من بلاد الجاركس. المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٤٥٦-٤٥٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ ص٢٥٥-٢٥٦.

(٣) الصيرفي، نزهة النفوس، ص ٥٠؛ زيدان، تأريخ، ج١/ ص٣٧١.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور،ج ٢/ص ٢٤.

(٥) قرقماس الشعباني الظاهري برقوق، ويعرف بقرقماس أهرام ضاغ يعني جبل الأهرام لتكبره. أصله من كتابية الظاهر ثم ملكه ابنه فأعتقه وعمله خاصكياً ثم صار في دولة المؤيد من الدوادارية الصغار ثم تأمر بعده عشرة ثم دواداراً ثانياً مع إمرة طبلخاناه، ثم سافر مع السلطان إلى آمد فلما رجع استقر به في نيابة حلب. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٧٦.

١٤٠٩م)، وقضى على العديد من الثورات الاخرى، وبعدها عاشت البلاد في كنفه زمناً هادئاً، ثم مرض فتنازل عن العرش لابنه عثمان[١].

لم يدم حكم عثمان طويلاً اذ تم خلعه في العام نفسه وتولى السلطنة الأشرف اينال العلائي سنة (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٣٥-١٤٦١م)، وقد ساد في عهده الهدوء وقلت خلاله الاضطرابات الداخلية لبعض الوقت، ثم اندلعت تمردات الأمراء ومنها تمرد عام (٨٥٩هـ/١٤٣٧م)، لكنه تمكن من اخمادها، ثم مرض وتنازل عن العرش لابنه أحمد سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦١م)، لكنه خلع بعد فترة قصيرة[٢].

استلم السلطنة بعده الظاهر خشقدم الناصري سنة (٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦١-١٤٦٧م)، وهو رومي اشتراه الملك المؤيد واعتقه وصار خاصكياً عنده، ثم تنقلت به الدولة الى ان جعله اينال اتابكيا لولده فخلعه بعد خمسة اشهر وتسلطن مكانه، وبدأ حكمه بالقبض على الملك المؤيد أحمد بن اينال وسجنه مع أخيه في ثغر الاسكندرية، ثم أرضى الأمراء والجند وفرق عليهم أموالاً طائلة، ومن أعماله أيضاً ارساله حملة لتأديب الفرنجة في رودس[٣]، بعدها مرض في عام(٨٧٢هـ/١٤٦٧م) وتوفى في العام نفسه[٤].

تولى السلطنة بعده الظاهر بلباي المؤيدي (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) وبعد سبعة وخمسين يوماً تم خلعه. وجاء بعده الظاهر تمربغا الناصري (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، لكنه خلع بعد ان حكم المدة نفسها، ثم تولى الأشرف قايتباي السلطنة، ويُعد اكثر من حكم من المماليك الشراكسة حيث دام حكمه(٢٩) سنة من (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م)، ومن أعماله أنه أصلح بعض المساجد

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٢٤.

(٢) المصدر نفسه،ج ٢/ص ٣٧؛ الخربوطلي، مصر، ص ٣٢٢.

(٣) رودس: جزيرة ببلاد الروم مقابل الإسكندرية، وهي اول بلاد الافرنجة، وهي دار صناعة الروم وبها تبنى السفن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٧٨؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢/ص٦٣٩-٦٤٠.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور،ج ٢/ص ٧٠.

كالجامع الازهر، والحرم النبوي الشريف، وانشأ برجاً عظيماً يكون كالحصن لمدينة الاسكندرية[1].

وبعد وفاة قايتباي جاء ابنه الناصر محمد سنة (٩٠١-٩٠٢هـ/ ١٤٩٦-١٤٩٧م) الذي لم يدم حكمه إلا عاماً واحداً، فجاء بعده الظاهر قانصوه (٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)[2]، لكنه قتل بعد ثلاثة أيام من توليه السلطنة، ثم أعيد محمد بن قايتباي للمرة الثانية (٩٠٢-٩٠٤هـ/ ١٤٩٧-١٤٩٨م)[3] وبعد سنتين تم قتله وتسلطن الظاهر قانصوه الاشرفي (٩٠٤-٩٠٥هـ/ ١٤٩٨-١٥٠٠م) إلا أنه خلع، فجاء الأشرف جان بلاط بن يشيك الأشرفي (٩٠٥-٩٠٦هـ/ ١٥٠٠-١٥٠١م) لكنه مات مقتولاً[4]، فتولى الحكم العادل طومان باي (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) وبعد ثلاثة أشهر مات مقتولاً فحكم بعده الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م)[5]. وقد انشغل باعتداءات العثمانيين وسلطانهم سليم وخاض معهم معركة (مرج دابق) في رجب من عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) التي انتهت بهزيمة المماليك[6].

تولى السلطنة من بعده الأشرف أبو النصر طومان باي الثاني (٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م))[7] الذي أخذ يعد العدة للخروج لقتال العثمانيين، ووقعت (معركة الريدانية) في أواخر

---

(١) العصامي، سمط النجوم، ج٢/ ص٣٠٣-٣٠٥.

(٢) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١/ ص٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ ص٧١-٧٧.

(٤) العصامي، سمط النجوم، ج٢/ ص٣٠٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٠٧؛ سليم، الاشرف قانصوه الغوري، ص ٣٣.

(٦) الجبرتي، عجائب الاثار، ج١/ ص٦٥.

(٧) الغزي، الكواكب السائرة، ج١/ ص١٢.

عام(٩٢٢هـ/١٥١٦م) التي انتهت بهزيمة طومان باي ودخول العثمانيين مصر وانهائهم حكم دولة المماليك الشراكسة، وبدء عهد الاحتلال العثماني(١).

ثانياً : ملامح الحياة الفكرية في مصر خلال القرن التاسع الهجري.

شهدت مصر في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ازدهاراً ونشاطاً فكرياً، بدليل كثرة المراكز العلمية والتعليمية المتعددة والمتنوعة، وكثرة العلماء، ومؤلفاتهم، وقد أثّر هؤلاء العلماء في واقع امتهم، وكان السبب في ذلك هو الأمان والاستقرار الذي وجده العلماء في مصر، وهو ما يتلائم مع توجهاتهم، لذا استقر في القاهرة ومدن مصر الأخرى الكثير من العلماء(٢).

لهذا تميز هذا العصر بازدهار شتى العلوم والمعارف، ويعود ذلك الى اهتمام السلاطين المماليك للعلم والعلماء لاسيما علماء الدين حيث اشير إلى أن سلاطين العصر المملوكي أقاموا وزناً كبيراً لهم، وقد استشاروهم مراراً في أمور الدولة العليا، وسمعوا شكاواهم اذا تقدموا اليهم بها، والحقيقة أن العلماء لم يبلغوا هذه المكانة عن فراغ وانما بلغوها بسبب حاجة السلطة المملوكية لهم، اذ كلما كانوا بقربهم كلما كسبوا الرأي العام واسكتوا الاصوات المعارضه لهم(٣)، فقد ذكر أن السلطان برقوق لما أنشأ مدرسته، وقرر فيها شيوخاً يتولون التدريس كان من بينهم علاء الدين السيرامي (ت٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) الذي بالغ برقوق في تعظيمه حتى فرش له السجاد بيده(٤).

---

(١) ابن أياس، بدائع الزهور، ج٣/ص١٠١.

(٢) ينظر عن العلماء الذين لجئوا الى مصر والشام. ابن حجر، الدرر الكامنه، ج١/ ص١٠- ١٤، ٢٤، ٣١، ١٢١-١٣٠؛ ج٢/ ص٨، ٢٨، ٤١-٥٩؛ ج٣/ ص١٧، ٤٣، ٩٧، ١٨٠، ٢٠٣، ٢٣٤، ٢٩٠،٤٢٠ ، ٤٢٩؛ ج٤/ ص٢٧، ٤٧، ١٠٦، ١٢٨، ١٤٨، ٣٣١، ٣٤٧، ٤١٧.

(٣) سليم، عصر سلاطين المماليك ، ج٣/ص ٢١-٢٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣/ ص٥٨٨؛ أبن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٢٨-٣٢٩؛ ابن العماد، شذرات، ج٧/ ص٢٨٦ - ٢٨٨.

لقد اهتم أمراء وسلاطين المماليك بإنشاء المدارس والمراكز العلمية المتمثلة بالمساجد والزوايا وهذه المراكز تعد سبباً أساسياً في تنشيط الحركة العلمية لما ضمته من مدرسين وطلاب ولما يقرر فيها من دروس وهي البيئات الطبيعية التي ينمو فيها العلم ويزدهر(١).

فالسطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢٠م)، الذي كان يتجلى دوره في هذا المجال كما يقول السخاوي "... وكان يحب العلماء ويجالسهم ويكرمهم ويعظم الشعر وحملته "(٢)، والسلطان الملك الظاهر ططر (٨٢٤ه/١٤٢٠م)، " كان يتذوق العلوم والفنون، ومعاشرة الفضلاء والادباء " (٣).

اما الملك الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) فيقول السخاوي عنه: " ذا إلمام بالعلم واستحضار في الجملة لكثره تردده للعلماء في حال امرته ورغبته في الاستفاده ".(٤)

وكذلك من سلاطين المماليك ممن كان حريصا" على عقد المجالس العلمية والأدبية في بلاط ملكه، فالملك الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤٢هـ/١٤٢١-١٤٣٨م) :" كان يحب الاستماع الى العيني في مجلسه وهو يقرأ علية التاريخ التركي وقصصه باللغه العربية ثم يفسر له ذلك ، وذلك لمعرفه العيني كلتا اللغتين..."(٥).

وهناك البعض من السلاطين المماليك اتجهوا إلى الاشتغال بالعلم بعد عزلهم من مناصبهم، واهتموا بمختلف فنونه ومنهم الملك العزيز يوسف بن برسباي (٨٤١-٨٤٢هـ/١٤٣٧-

---

(١) سليم، عصر سلاطين المماليك ، ج٣/ص ٢١-٢٧.

(٢) الضوء الامع ، ج٣/ص٣٠٩.

(٣) العيني، الروض الزاهر ، ص٢١؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٤/ص٢١٠.

(٤) الضوء اللامع ،ج ٣/ص٧٢.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج ١٦/ص٩-١٠.

١٤٣٨م)[١] ، الذي يقول عنه السيوطي " ثم خلع في السادس عشر من ربيع الاخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وسجن بالاسكندرية ، ونظر في فنون العلم والادب"[٢] ، وكذلك السلطان المملوكي احمد بن اينال العلائي (٨٦٥هـ/١٤٦٠م)[٣]، الذي خلع في السابع عشر من رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة ونقل الى الاسكندرية واشتغل بالعلم مدة اقامته بها[٤].

وفي السياق ذاته يجد المتتبع للنشاط العلمي في هذا العصر نفسه أمام ثروه علمية واسعه تتمثل في تلك المجموعه الكبيرة من العلماء الذين برزوا في تلك المدة في شتى فروع العلم والمعرفة لعلماء وأدباء ومفكرين كان لهم أثر كبير في الحركة الفكرية ، ويقف في مقدمتهم القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) صاحب المؤلفات المتعددة[٥]، وتقي الدين المقريزي (٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م) مؤرخ الديار المصرية[٦]، وابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الذي كان من أعلام مصر المشهورين وإمام عصره و وحيد دهره[٧]، والعيني (ت ٨٥٥ه/ ١٤٥١م) الذي كان له معرفه عالية في علوم مختلفه[٨]، والمؤرخ ابن تغري بردي (ت

---

(١) يوسف بن برسباي الدقماقي، السلطان الملك العزيز أبو المحاسن بن السلطان الملك الأشرف أبي النصر، ولد سنه ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، وولي السلطنه في سنه٨٤١هـ/١٤٣٧م، ثم خلع، مات في سنه ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م. السيوطي، نظم العقيان، ص١٧٩.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) احمد بن اينال العلائي، الملك المؤيد ابو الفتح بن الملك الأشرف، ولد بعد سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٥م، تولى السلطنه أثناء مرض ابيه في سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م، ثم خلع منها وكانت أيام سلطنته في غاية الحسن، توفى سنه ٨٩٣هـ /١٣٩١م، السيوطي، نظم العقيان ، ص٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٠.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع ،ج ٢/ص٨ ، ج٦/ص٣٢٢.

(٦) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١ /ص٣٩٤ ؛ السخاوي ، المصدر نفسه ، ج٢/ص٢١ .

(٧) السخاوي، الضوء اللامع ، ج٢/ص٣٦-٤٠.

(٨) المصدر نفسه، ج١٠/ص١٣٢-١٣٣.

٨٧٤هـ/١٤٦٩م) الذي يعد بحق مؤرخاً للمماليك من خلال مؤلفاته العديدة في هذا المجال[١]، وكذلك خلف لنا السخاوي(ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، أبرز موسوعة تاريخيه فـــي بيـــان الحالـــة العلمية في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي والمتمثلة في كتابه (الضوء اللامـــع لأهل القرن التاسع)[٢].

وبهذا نجد أن عصر المماليك لم يكن عصر خمول، وانما كان عصـــر علـــم وفـــن وأدب عصر نتاج العلماء والفقهاء والقادة، عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية ازدهارا فاصبحت البلاد محورا للنشاط العلمي، خاصة بعد أن أصابت بلاد الشام أضرار على يد المغول.

---

(١) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢/ ص٨٠؛ ضاحي، كتاب النجوم الزاهرة، ص٧٨.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب ،ج ٧/ص٣١٧ .

الفصل الأول

نقد الطبقة الحاكمة

المبحث الأول: **نقد السلاطين** .

المبحث الثاني: **نقد الولاة** .

المبحث الثالث: **نقد أمراء الوظائف المرتبطة بالرتب العسكرية**

المبحث الرابع: **نقد القضاة** .

النقد في اللغة: مشتق من فعل(نَقَدَ) ويقال: نقدت الدراهم وانتقدتها: إذا خلصتها من الزيف، والنقد : تمييز الدراهم وتشخيص الزيف منها، وناقدت فلاناً اذا ناقشته في الأمر[1].

ونقد الشيء ينتقده نقداً إذا نقره بأصبعه، ونقد الطائر الحب ينقده إذا كان يلقطه التقاطاً، والإنسان ينتقد الشيء بعينه، وهو مخالسة النظر لئلا يفطن له[2].

أما النقد اصطلاحاً: هو دراسة الرواة والمرويات لتمييز جيدها من رديئها، وعلوم الحديث كلها تعتبر نتاجاً لهذه المهمة التي اضطلع بها المحدثون والحفاظ، ومن أبرز هذه العلوم علمي الجرح والتعديل وعلل الحديث[3].

ويتضح من ذلك ارتباط المعنى الإصطلاحي بالمعنى اللغوي ارتباطا وثيقاً.

أما النقد التاريخي: هو الذي يهدف إلى تصحيح الأخطاء الواردة في الدراسات التاريخية، والبحث عن حقيقة الشيء من حيث كونه أصيلاً أم زائفاً[4]، فضلاً عن تحديد معاني الكلمات، لأنها تختلف أحياناً من حيث المعنى من مكان لآخر[5]، وبهذا فقد قسم النقد الى قسمين: النقد الإيجابي ويهدف إلى التحقق من معنى الألفاظ ومن قصد المؤلف بما كتبه، والعناية التامة بقراءة النص التاريخي ومحتوياته، أما النقد السلبي فيهدف الى حقيقة ان المؤرخين يخطئون ويصيبون فيجب التمييز بين تزوير وكذب المؤرخ وبين خطأ ارتكبه أو معلومة خُدع بها، وينضوي تحت هذا النوع النقد السلبي الهادف إلى التشهير بمؤرخ ما لأهداف خاصة وشخصية، وليس هدف هذا

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ، ج٣/٤٢٥-٤٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٣/ ص٤٢٥-٤٢٦.

(٣) الخطيب البغدادي، أصول الحديث، ص ٢٦٢.

(٤) ضاحي، محاضرات في منهج البحث التاريخي، ص١١٨.

(٥) خليل سعيد، منهج البحث التاريخي، ص١٦٦ .

النقد سوى المس بالمؤرخ بسبب اتجاهاته السياسية أو الفكرية وبسبب دوره الفكري الذي يقوم به في المجتمع[١].

وبهذا فأن النقد يعني الكشف عن عيب او نقص خفي وهذا العيب قد يكون دينياً او ادبياً او سياسياً او اجتماعياً.

أما عملنا في هذه الاطروحة فهو يتحدد في بيان مواقف مؤرخي مصر الذين عاشوا في القرن التاسع الهجري، وآرائهم ووجهات نظرهم وتقييمهم للشخصيات والاحداث التاريخية الواردة في مؤلفاتهم المصنفة في التراجم.

---

(١) عثمان، منهج البحث التاريخي، ص ١١٧-١٤٥؛ رستم، مصطلح الحديث، ص ١٢-٤١.

المبحث الأول

نقد السلاطين

إن من افرازات الأوضاع السياسية التي شهدتها المنطقة أندفاع العلماء نحو تكريس حياتهم لخدمة العلم والمحافظة عليه من الضياع في ظل التردي السياسي الذي عاشته الدول الإسلامية، فاتجهوا بكامل طاقاتهم نحو رفد المكتبات بإسهاماتهم العلمية، وتزويد المجتمع الإسلامي بالكتب القيمة، وحثه على الوعي العلمي، ويمكن تأشير ذلك الأثر الفاعل الذي نهضت به المؤسسات التعليمية في القرن التاسع الهجري، وهو ظاهرة النقد التاريخي عند مؤرخي ذلك العصر، وأسهمت الحركة الفكرية في ذلك القرن بتطور هذا النشاط العلمي، وتمثل ذلك بالجوامع، والمدارس، والخوانق، والزوايا، والربط، وما شيد من مستشفيات ومكتبات علمية، ودور الدولة في رصد الأوقاف لإمداد هذه المؤسسات بكل ما تحتاجه في سبيل نهضة العلم وتشجيع طلابه.

وبرز هذا الأمر جلياً من خلال درجة شيوع تلك المؤسسات على اختلافها، وفي هذا المبحث سنناقش ظاهرة نقد السلاطين عند مؤرخي التراجم المصريين خلال القرن التاسع الهجري.

إن نقد رجالات السلطة لم يقف عند إظهار الجوانب الايجابية والسلبية، وإنما جاوزه إلى إصدار الحكم على الكثيرين من السلاطين والأمراء وأرباب المناصب في الإدارة المملوكية .

لقد اتبع المؤرخون المصريون النقد الايجابي والسلبي للشخصيات المترجم لها، ففيما يتعلق بالجانب الايجابي كان يراعى في السلاطين: الشجاعة، والحزم، والخبرة بالأمور، وعلو الهمة، والرجوع الى الحق والدين، وعدم الجور، ومحبة العلم واحتضان اهله وتشجيعهم، أو ما يقع على أيديهم من فتوحات للإسلام والمسلمين، وهي مقاييس هامة تؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة النقد وتقويمه لهم.

ومن ذلك قول ابن تغري بردي في وصف الملك الناصر داوود بن عيسى بن محمد بن أيوب صاحب حماة (٦٢٤- ٦٥٦هـ/١٢٢٦-١٢٥٨م)[١]، مكانته العلمية بقوله: "وبرع في الفقه، والعربية، والأدب، وصار معدوداً من الفضلاء"[٢]، وقال عنه ايضاً:"وكان أديباً شاعراً، فاضلاً، جواداً، ممدحاً"[٣].

ثم ينتقد بعض سلوكيات هذا السلطان السلبية بقوله:" كان الناصر غير مسعود في حركاته وأموره، وقضى عمره على أقبح حال، فإنه كان غالب أيامه في الغربة عن أوطانه والشتات عن بلاده، وكان مذموم السيرة يحكى عنه أشياء من القبائح منها: أنه كان إذا دخل في الشراب، وأخذ السكر منه يقول: أشتهي أبصر فلاناً طائراً في الهواء، فيرمى به في المنجنيق، ويراه وهو في الهواء، فيضحك ويسر به، ويقول: أشتهي أشم روائح فلان وهو يُشوى، فيحضر ذلك، ويقطع لحمه، ويشوى منه، وهو يضحك. و كان له من هذه الأشياء القبيحة جملة مستكثرة... " [٤].

ويتبين مما سبق ان ابن تغري بردي في نقده لهذا السلطان من جهة يصفه بأنه فاضلاً ومعدوداً من الفضلاء، ومن جهة اخرى يبين قبائحه التي لا تلتقي اطلاقاً مع افعال الفضلاء واصحاب الفضل، وبهذا فأن نقد ابن تغري بردي لم يكن دقيقاً في تقييمه لشخصية هذا السلطان.

---

(١) داود بن عيسى بن محمد بن أيوب، السلطان الملك الناصر صلاح الدين، أبو المفاخر، وأبو المظفر بن السلطان الملك المعظم بن السلطان الملك العادل، ولد بدمشق سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، وتفقه على مذهب ابي حنيفة كما كان والده الملك المعظم. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤/ ص٤١١ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٥/ ص٢٩٤.

(٢) المصدر نفسه،ج ٥/ ص٢٩٤.

(٣) المصدر نفسه ،ج ٥/ص٣٠٠.

(٤) المصدر نفسه ،ج ٥/ص٢٩٤-٣٠٠.

اما عندما ينتقد ابن تغري بردي للسلطان الأيوبي توران شاه (٦٤٧- ٦٤٨هـ/١٢٤٩-١٢٥٠م)[١]، ويبين اخطاءه وسلبياته فيقول: " بدت منه أمور نفرت الناس عنه، منها أنه كان فيه خفة وطيش، وكان والده الملك الصالح يقول: وولدي لا يصلح للملك... وكان توران شاه المذكور لا يزال يحرك كتفه الأيمن مع نصف وجهه، وكثيراً ما يولع بلحيته"[٢].

وفي كتاب آخر له اشار الى ذات المعنى حول هذا السلطان بقوله: " توران شاه بن ايوب، الملك المعظم بن الملك الصالح، ولي سلطنة الديار المصرية بعد ابيه في حدود الخمسين وستمائة، فلم تطل مدته، وقتلته مماليك والده، وكان فيه طيش وخفة، وكان لا يزال يحرك كتفه الايمن مع نصف وجهه، وكثيرا ما يولع بلحيته"[٣].

نلاحظ أن المؤرخ يصف حالات شخصية دقيقة لها علاقة بالجانب السلوكي الفردي فمثل هذه المظاهر من شأنها أن تقلل من هيبة الشخص وتجعله في معرض السخرية والانتقاد.

وتسعى المصادر كل من جانبها الى تسويغ قتل الملك توران شاه لخفة فيه[٤] ، أو كونه غير مطيع لوالده، وانه لا يصلح للملك [٥]، دون التطرق الى السبب الرئيس، لكن يبدو من سرد الأحداث التاريخية ان اغتياله جاء ضمن خطة أعد لها باحكام مماليك والده الملك الصالح أيوب للتخلص منه قبل دخوله الى القاهرة التي بدأت تستعد للاحتفال بالنصر العظيم الذي حققوه على

(١) توران شاه بن أيوب بن محمد، السلطان الملك المعظم بن السلطان الملك الصالح نجم الدين بن السلطان الملك الكامل بن السلطان الملك العادل، سلطان الديار المصرية، تولى الحكم بعد وفاة والده الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولما مات أبوه كان بحصن كيفا. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨/ ص٦٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣/ ص٤٨٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٤/ص١٨٣-١٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤/ص١٨٣-١٨٤.

(٣) ابن تغري بردي، الدليل الشافي،ج١/ص٢٣٠.

(٤) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ،ج ٨/ ص٧٨١ .

(٥) العيني، عقد الجمان، ج ١/ ص٢٣ .

الصليبيين في معركة فارسكور[١]، بعد ما بدا الناس التيمن بوصوله واعتلائه العرش[٢] ، والالتفاف حوله مما أثار مخاوف أمراء المماليك، وغير نظرتهم تجاه ملكهم الجديد الذي كانوا يأملون منه الاقطاعات والمناصب، وتوسيع نفوذهم وسيطرتهم على البلاد لخفته وضعفه، لكن الوقائع أثبتت عكس ذلك، وما كان إبعاده من والده الا خوفاً عليه من المؤامرات والدسائس التي كانت تدبر من أقربائه من البيت الأيوبي ومماليكهم، تلك المؤامرات والدسائس، التي مر بها والده قبل استلامه للحكم وبعده [٣]، وليس لخفة فيه كما تحاول بعض المصادر لصقها به؛ لأن ما أورده الكتبي من رجحان عقله وأدبه وعلومه ينفي ذلك بقوله: " كان الملك المعظم قوي المشاركة في العلوم حسن البحث ذكيا "[٤]، اما المقريزي فيذكر انه جرت بين يديه مباحثات ومناظرات في أنواع العلوم، كما ان تورانشاه قد مهر في العلوم، وعرف الخلاف والفقه والأصول، وكان جده الملك الكامل يحبه لميله الى العلم، ويلقي عليه من صغره المسائل المشكلة، ويأمره بعرضها وامتحان الفقهاء بها في مجلسه [٥] .

فضلاً عن قيادته للجيش المصري ورسمه خطط المواجهة مع الصليبيين، عندما وضع خطة تتلخص بحرمان الصليبيين من الإمدادات والتموين الذي يصلهم من دمياط[٦]، وذلك بقطع مواصلاتهم في نهر النيل، وتحقيقاً لهذا أمر بإنشاء اسطول من السفن الخفيفة، ثم نقلها مفككة

---

(١) معركة الفارسكور: هي المعركة التي تصدى اليها المماليك على الخطر الصليبي الذي كان بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م، وكان من نتائجها انتصار المماليك. ينظر: أبو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين، ص ١٨٤؛ الذهبي، تأريخ الاسلام ، ص ٢٦٧.

(٢) الكتبي، عيون التواريخ ،ج ٢/ ص٤٢ .

(٣) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص ٣٦٦-٣٦٧ .

(٤) عيون التواريخ، ج ٢٠/ ص٤٥ ؛ ابن ايبك الدوادار، كنز الدرر، ج٧ / ص٣٧٤ .

(٥) السلوك ،ج ١/ ص٣٥٣ .

(٦) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر وهي من ثغور الإسلام عندها يصب نهر النيل في البحر . ينظر: القز ويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج١ / ص١٩٣.

على ظهور الإبل الى فروع النيل السفلى خلف خطوط الصليبيين مهمتها اعتراض سفن الصليبيين، اذ تمكنت من أسر عدد كبير من السفن المحملة المؤن والأقوات، وسارعت بانتصار المصريين عند مدينة فارسكور وأسر الملك لويس التاسع [١] .

ويشيد ابن تغري بردي بمكانة الملك الظاهر بيبرس البندقداري(٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م)[٢]، قائلا: " كان الملك الظاهر، ملكاً شجاعاً، مقداماً، خبيراً بالحروب، ذا رأي وتدبير وسياسة، ومعرفة تامة. وكان سريع الحركات، كثير الأسفار، نالته السعادة والظفر في غالب حروبه"[٣].

وكذلك وصفه للسلطان العادل سلامش بن بيبرس(٦٧٨هـ/١٢٧٩م)[٤] بقوله:" كان شاباً مليحاً تام الشكل، طويل الشعر، ذا حياء ووقار، وعقل تام... إنه كان أحسن أهل زمانه، وصار مثلاً يضرب به بين الناس، يقولون: شعر سلامشي"[٥].

---

(١) المقريزي، السلوك،ج ١/ ص٣٥٣-٣٥٤ ؛ سعيد، البحرية، ص ٨٩-٩٠ .

(٢) بيبرس بن عبد الله، السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي البندقداري، سلطان الديار المصرية، ولد سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، وأخذ من بلاده صغيراً وبيع بدمشق، فنشأ بها عند العماد الصائغ، ثم اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري، وبقي في ملكه إلى أن قبض الملك الصالح على أيدكين وصادره، وأخذ بيبرس هذا فيما أخذه منه، وأعتقه الملك الصالح نجم الدين، واستمر بيبرس على ذلك إلى أن مات الملك الصالح نجم الدين. الكتبي، فوات الوفيات،ج١/ ص٢٣٥-٢٣٦؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٣/ص٤٤٧-٤٤٨.

(٣) المنهل الصافي، ج٣/ ص٤٥٦.

(٤) سلامش بن بيبرس السلطان الملك العادل بدر الدين بن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري، جلس على تخت الملك عند ما خلعوا أخاه الملك السعيد، وخطبوا له، وضربوا السكة باسمه، وصار سلطان الديار المصرية. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥/ ص١٠٤؛ العيني، عقد الجمان، ج١/ص١٦٥-١٦٦؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج٦/ص١٣-١٤.

(٥) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٦/ص١٤.

ثم لم يكتف بذكر الصفات الحسنة وإنما ذكر انعكاسات السلوك الشخصي على الأحوال العامة، ومن ذلك ما جاء في ترجمة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون(٧٥٥-٧٦٢هـ/١٣٥٤-١٣٦١م)[(١)]، " وكان كريم النفس، باراً لأهله وأقاربه، يميل إلى فعل الخير والصدقات... وكان له همة عالية، ومعرفة تامة، وله مآثر بمكة المشرفة، وعمر بها أماكن، واسمه مكتوب في الجانب الشرقي، وعمل في زمانه باب الكعبة الذي هو بابها الآن، وكسا الكعبة الكسوة التي هي اليوم في باطنها، وأشياء غير ذلك"[(٢)].

كما ذكر في ترجمة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م)[(٣)]، ما نصه: " كان ملكاً جليلاً، شجاعاً، مهاباً، كريماً، ليناً هيناً، محبباً للرعية، قيل إنه لم يلِ الملك في الدولة التركية أحلم منه، ولا أحسن منه خُلُقاً وخَلْقاً. وكان محباً للعلماء والفقهاء وأهل الخير، مقتدياً بالأمور الشرعية... وكان له محاسن كثيرة، وكانت أيامه بهجة، وأحوال الناس في أيامه هادئة مطمئنة، والخيرات كثيرة، ومشي سوق أرباب الكمالات في زمانه من كل علم وفن"[(٤)]. ويظهر مما تقدم أن أحوال السلاطين وتصرفاتهم قياساً

---

(١) حسن بن محمد بن قلاوون، السلطان الملك الناصر أبو المعالي ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي، مولده في سنة٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م، أقيم في السلطنة بعد خلع أخيه المظفر سيف الدين حاجيٍّ في سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م. المقريزي، درر العقود، ج٢/ص٢٦-٢٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥/ص١٢٥-١٢٦.

(٢) ابن تغري بردي، المصدر نفسه،ج٥/ ص ١٢٦-١٢٨

(٣) الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، السلطان الملك الأشرف أبو المفاخر ابن الملك الأمجد بن السلطان الملك الناصر بن السلطان الملك المنصور، ولد سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م، تولى الحكم بعد خلع ابن عمه الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد. المقريزي، درر العقود،ج ٢/ص١٢٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٦/ص٢٣٢.

(٤) ابن تغري بردي، المصدر نفسه،ج ٦/ص٢٤٧.

إلى انعكاسات أفعالهم على الرعية تركت اثراً في أحداث العصر على صاحبهم او أتى بعدهم، وهذا ما رصده مؤرخو التراجم المصريين.

ويذكر ابن حجر في ترجمة الظاهر برقوق الذي حكم المدة الأولى(٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٩م) المدة الثانية(٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٩٠-١٣٩٩م)(١) :" كان شهما شجاعا ذكيا، خبيرا بالأمور، إلا أنه كان طماعا جدا بحيث لا يقدم على جمع المال شيئا، ولقد افسد أحوال المملكة بأخذ البذل على الولايات في وظيفة القضاة والأمور الدينية" (٢).

نستنتج من هذا الحكم الصادر عن ابن حجر أن صفة الطمع المثبتة على المترجم له، وما يتبع ذلك من الوهن الوظيفي، هي سمة عهده، لأنه الحاكم والناس على دين ملوكهم كما يقال.

لكن نلاحظ أن ابن تغري بردي يخالف ابن حجر في هذه الترجمة فيصف الظاهر برقوق بأنه:" كان يكره جمع المال وكان يتروى في الشيء المدة الطويلة ويستشير الأمراء وغيرهم فيما يفعله من الولاية والعزل وغير ذلك، وكان يتصدى للأحكام بنفسه، وينزل يومي السبت والثلاثاء الإصطبل السلطاني للحكم بين الناس، ولم تكن عنده الدعوى لمن سبق، ولو كان عنده، بل يقول له: حتى تسمع كلام خصمك ما يقول فيك هو أيضاً؛ فلهذا كانت حقوق الناس غير ضائعة"(٣).

وكان حريصاً على إقامة ناموس المملكة وشعائر السلطنة، وترتيب السلف فيما وضعوه، كخدمة الإيوان، والموكب والأعياد، وكان يحب أهل الخير والصلاح. وكان يقوم للقضاة والفقهاء وأهل الخير، وهذا شيء لم يعهد من ملك قبله في الدولة التركية؛ وتنكر للفقهاء بعد حبسه

---

(١) برقوق بن آنص، السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق العثماني اليلبغاوي الجاركسي، سلطان الديار المصرية، القائم بدولة الجراكسة، جلبه خواجا عثمان من بلاده، وكان اسمه ألطنبغا، وقيل سودون. فلما اشتراه الأتابك يلبغا العمري الخاصكي سماه برقوقا لنتو في عينيه. ينظر:ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٣/ص٢٨٥-٢٨٦.

(٢) انباء الغمر، ج ٢/ص٦٨.

(٣) المنهل الصافي،ج ٣/ص٣٣٦.

بالكرك[١]؛ من أجل أنهم أفتوا بقتله، ومع ذلك كان لا يترك إكرامهم، وكان كثير الصدقات[٢]، وكان برقوق يتصدق على يده في سنة واحدة بخمسين ألف دينار[٣].

وربما يعود السبب في هذا الاختلاف بين هذين المؤرخين حول السلطان المذكور الى تحيز ابن تغري بردي الى جانبه كونه ينتمي الى المجتمع المملوكي، فضلاً عن أن اباه الأمير تغري بردي كان أحد الأمراء اللامعين في عهد السلطان الظاهر برقوق، اذ كان يحتل منصب أتابك الديار المصرية، فربما شعر ابن تغري بردي ان اتهام الظاهر برقوق بتلك التهم انما يمس كبار المسؤولين في عهده، ومنهم والده لذلك دافع عنه وأشاد به[٤]. ثم أن رواية ابن حجر(ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) ورأيه حوله هو المرجح لاسيما انه أقرب زماناً لعهد السلطان المذكور من ابن تغري بردي(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

أن الذي دفع ابن حجر الى نقد الظاهر برقوق هو أن هنالك شواهد تاريخية تؤكد ما قام به الظاهر برقوق وهي ما ذكره ابن حجر نفسه : ففي السنة الأولى من سلطنته تعرض لمؤامرة حيكت لعزله واحلال الخليفة المتوكل(٧٧٩-٧٨٥هـ/١٣٧٧-١٣٨٣م) محله، لكن برقوقاً اكتشف هذه المؤامرة وأحبطها فعزل الخليفة المتوكل واحل محله الخليفة الواثق بالله(٧٨٥-٧٨٨هـ/١٣٨٣-١٣٨٦م)[٥].

ويبدو أن هذه المؤامرة كانت سبباً في دفع برقوق إلى التطرف واضطهاد من يشك فيهم وبخاصة البحرية الأتراك، فطرد عدداً كبيراً منهم من وظائفهم ونفى بعضهم إلى الشام، على أن

---

(١) الكرك : قلعة قريبة من البحر في أطراف بلد سيس من جهة الغرب والشمال. ينظر: أبو الفداء، المختصر، ج٤/ص٢٣٦ .

(٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ص٣٣٧-٣٣٨.

(٣) المصدر نفسه،ج ٣/ص٣٣٨.

(٤) أسند برقوق لتغري بردي والد المؤرخ عدة مناصب منها أمير عشرة ، ورأس نوبة النوب، ثم رتبة أمير مائة، ومقدم ألف، ثم نيابة حلب. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١/ ص٢٨٦،ج١٢/ ص٣٧.

(٥) إنباء الغمر، ج١/ ص٢٠٠-٢٠١.

هذه الإجراءات أدت إلى قيام ثورة في شمال الشام ضد برقوق في سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م) تزعمها منطاش نائب ملطية ويلبغا الناصري نائب حلب، حيث زحفت جموعهم نحو دمشق ثم القاهرة وسيطروا عليها فهرب برقوق ثم القى القبض عليه ونفي إلى الكرك [١].

ونقرأ في ترجمة الناصر فرج بن برقوق الذي حكم المدة الأولى (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٩-١٤٠٥م) والمدة الثانية(٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥-١٤١٢م)[٢] ما نصه : " ولقد كان الناصر هذا أعظم الناس خذلانا لدين الإسلام وأشأمهم طلعة على المسلمين، والعجب أنه لما ولد أقبل يلبغا الناصري ومنطاش فبشرا به أباه فسماه بلغاق- يعني فتنة- فلما خلص أبوه من الكرك سماه فرجا، فكان أسمه الأول هو الحقيقي"[٣].

وقال ابن تغري بردي حينما وصف حال مصر والشام في أيامه: " كان الناصر أشأم ملوك الإسلام، فإنه خرب بسوء تدبيره جميع أراضي مصر وبلاد الشام... وخرب حلب وحماة وبعلبك ودمشق، حتى صارت دمشق كوماً ليس بها دار، وقتل من أهل الشام مالا يحصى عدده... وطرق ديار مصر الغلاء من سنة ست وثمانمائة، فبذل أمراء دولته جهدهم في ارتفاع الأسعار، بخزنهم الغلال وبيعهم لها بالسعر الكثير... ورفعوا سعر الذهب حتى بلغ إلى مائتين وأربعين درهماً، كل مثقال، بعد ما كان بعشرين درهماً، وأهمل عمل الجسور بأراضي مصر،

---

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ١/ص٣١٧-٣١٨ .

(٢) فرج بن برقوق بن أنس الناصر بن الظاهر أبو السعادات بن الظاهر الجركسي المصري، ولد سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، الجاركسي الأصل، سلطان الديار المصرية، والبلاد الشامية، والأقطار الحجازية؛ وهو السلطان السادس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، والثاني من الجراكسة، وأمه أم ولد رومية تسمى شيرين، ماتت في سلطنته. ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤٠١ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ص١٦٨.

(٣) المقريزي، السلوك،ج٣/ص١٥١.

وكل ذلك من سعد الدين بن غراب[1]، وجمال الدين يوسف الأستادار[2] وغيرهما، فكانا يأخذان الحق والباطل ويأتيان له به لئلا يعزلهم من وظائفهم، ثم ماتوا، فتم هو على ذلك يطلب المال من المباشرين فيسدون بالظلم، فخربت البلاد لذلك، وفشا أخذ أموال الناس، هذا مع تواتر الفتن واستمرارها بالشام ومصر، وتكرار سفره إلى البلاد الشامية، فما من سفرة سافر إليها إلا وينفق فيها أموالاً عظيمة، زيادةً على ألف ألف دينار، يجبيها من دماء أهل مصر ومهجهم... وخرب من القاهرة وأملاكها وظواهرها زيادة عن نصفها، ومات من أهل مصر في الغلاء والوباء نحو ثلثي الناس، وقتل في الفتن بمصر مدة أيامه خلائق لا تدخل تحت حصر، مع مجاهرته بالفسوق، من شرب الخمر، وإتيان الفواحش، والتجرؤ العظيم على الله جلت قدرته"[3].

وبهذا نجد أن الحكم في ترجمة فرج ليس مرده الأخذ بظاهر الأمر من استبدال لما صاحبه من التسميات، ولكنه مبني على أن أسمه الذي يحمله من قبيل الأضداد قياسا الى ما سرده من الأعمال المصاحبة له في مصر والشام، هذا فضلاً عن ان موقف ابن تغري بردي من هذا السلطان ربما يعود الى العلاقة المتشنجة بين السلطان المذكور ووالد المؤرخ حيث أشترك والد المؤرخ في التمرد الذي قام به الأمراء ضد السلطان في بداية حكمه ولما قبض على

---

(١) سعد الدين ابن إبراهيم ابن عبد الرزاق بن غراب، ولي نظر الخاص في دولة الظاهر برقوق ثم ولي الوزارة ونظر الجيش والاستادارية في دولة الناصر فرج الأولى، ثم ولي أمير مائة ومقدم ألف في دولة الناصر فرج الثانية، وكان له مكارم وافضال وهمة عالية في العمل ساعده في الارتقاء بمناصب الدولة المهمة يشبك الشعباني الدوادار. ينظر: ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢/ص٢١١، ٢١٦.

(٢) يوسف بن احمد بن محمد بن احمد بن جعفر البيري الحلبي البجاسي، وقد صحب ابن غراب الذي توج عند السلطان برقوق ليوليه الوزارة عوضا عنه إلا انه امتنع وطلب الاستادارية عوضا عن سعد الدين الذي توجه إلى الشام في سنة ٨٠٧ هـــ/١٤٠٤م، ومنذ ذلك الحين صار حاكم الدولة ومديرها إلى أن قبض عليه الناصر فرج لاتهامه بالتآمر عليه أيام سلطنته الثانية. ينظر: المصدر نفسه،ج ٢/ص٢٦٠.

(٣) النجوم الزاهرة، ج٣ /ص ٤٨٦.

المتمردين اعدم من اعدم وسجن من سجن وكان والد المؤرخ من بين المسجونين[١]. وفي عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م أمر السلطان بالقبض على تغري بردي فهرب الى حلب، فارسل السلطان جيشاً لقتاله هو ونائب حلب وهزمهم فهرب تغري بردي الى بلاد التركمان[٢].

أما السخاوي فقد قال عنه: " ولد في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة في وسط فتنة يلبغا الناصري ومنطاش فسماه أبوه بلغاق ثم سماه فرجاً فكان اسمه الحقيقي هو الأول... استقر في المملكة بعهد من أبيه،... واختلف مماليك أبيه عليه كثيراً ونزل الشام مراراً في مماليك أبيه وغيرهم وتصافف هو في عسكره وشيخ ومن انضم إليه باللجون[٣]، فانكسر وفر على الهجن إلى دمشق، فدخل قلعتها وتبعه شيخ ومن معه فحاصروه إلى أن نزل إليهم بالأمان فاعتقل، واستفتوا العلماء فأفتوا بوجوب قتله لما كان يرتكبه من المحرمات والمظالم والفتك العظيم، فقتل في ليلة السبت سابع عشر صفر المذكور، ودفن بمقابر دمشق، وكان سلطاناً مهيباً فارساً كريماً، فتاكاً ظالماً، جباراً منهمكاً على الخمر واللذات، طامعاً في أموال الرعايا " [٤].

هكذا نجد السخاوي جمع في تقييمه له بين الجانبين السلبي والايجابي على خلاف ابن تغري بردي الذي اختصر على النقد السلبي على الرغم من شهرة السخاوي في نقد تراجم كتابه الضوء اللامع، مما يؤكد ما ذهبنا اليه من تفسير لسبب موقف ابن تغري بردي من هذا السلطان.

وكذلك عندما ينتقد بعض المؤرخين، الملك الناصر بن الاشرف صاحب زبيد (٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠٠-١٤٢٤م)[٥]، حيث يقول: ولم تحمد سيرته، وكان من شرار بني رسول ملوك

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢/ ص٤١٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٨٧-٢٨٨.

(٣) اللجّونُ: بفتح أوله وضم ثانيه وتشديده، واللجن واللزج واحد، وهو بلد بالأردن وبينه وبين طبرية عشرون ميلاً والى الرملة مدينة فلسطين أربعون ميلاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ص١٩.

(٤) الضوء اللامع،ج ٦/ص١٦٨.

(٥) احمد بن إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يحيى ابن عمر بن علي بن رسول، الملك الناصر بن الاشرف صاحب زبيد وغيرها من بلاد اليمن، ملك بعد موت أبيه الملك الأشرف إسماعيل في شهر ربيع

اليمن، وفي أيامه خربت غالب بلاد اليمن لكثرة ظلمه وعسفه، ولعدم سياسته وتدبيره، واستمر على ذلك الى أن توفى[١]، وكان غير مشكور السيرة[٢].

وقد اتفق السخاوي فيما أورده ابن تغري بردي بقوله: " فلم تحمد سيرته وجرت له كائنات وكان فاجراً جائراً من شرار بني رسول وفي أيامه خرب غالب بلاد اليمن لكثرة ظلمه وعسفه وعدم سياسته وتدبيره ولم يزل على ذلك حتى سقطت صاعقة على حصنه المسمى قوارير من زجاج خارج مدينة زبيد فارتاع من صوتها وتمرض أياماً ثم مات في سادس عشر جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ " [٣].

وكذلك ما ذكره المقريزي في نقد السلطان الأشرف برسباي(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) واصفاً عهده وشخصيته بقوله: " كانت أيام هدوء وسكون إلا أنه كان له في الشح والبخل والطمع مع الجبن وسوء الظن ومقت الرعية وكثرة التلون وسرعة التقلب في الأمور وقلة الثبات أخبار لم نسمع بمثلها، وشمل بلاد مصر والشام في أيامه الخراب وقلت الأموال بها وافتقر الناس وساءت سير الحكام والولاة مع بلوغ آماله ونيل أغراضه وقهر أعاديه وقتلهم بيد غيره"[٤].

في حين وصفه ابن تغري بردي قائلاً: " كان ملكاً جليلاً، مهاباً، عارفاً، سيوساً، حازماً، شهماً، فطناً، له خبرة بالأمور، ومعرفة، وتدبير، محباً لجمع المال... وكان يتصدى للأحكام، ويباشر أحوال المملكة، غالبها بنفسه، وكان متواضعاً، حسن الخلق، غير سباب، لين الجانب، طوالاً، دقيقاً، ذا شيبة نيرة، وهيبة حسنة، متجملاً في حركاته، حريصاً على ناموس الملك، وكان

الأول سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، وملك بعده ابنه المنصور عبد الله. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٤٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ص٢٣٩-٢٤٠.

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٤٤.

(٢) ابن تغري بردي، الدليل الشافي ،ج١/ص٤١.

(٣) الضوء اللامع،ج ١/ص٢٤٠.

(٤) درر العقود، ج١/ ص٤٧٦-٤٨٢.

يميل إلى فعل الخير، ويكثر من الصوم، ولا يتعاطى شيئاً من المسكرات. وكانت أيامه في غاية الحسن من الخير، ورخاء الأسعار، وعدم الفتن مع طول مكثه في السنة "[١].

وقد يعود هذا الاختلاف في وصف هذا السلطان الى ان ابن تغري بردي، اصبح في عهد السلطان برسباي على صلة وثيقة بالبلاط ولا سيما السلطان نفسه، حتى اصطحبه في بعض رحلاته للصيد والنزهة، كما اصطحبه بوصفه واحدا من الامراء في حملته على مدينة آمد سنة(٨٣٦هـ/١٤٣٢م)[٢]. ونرى ان هذه الصلة قد أثرت على ابن تغري بردي في تقييمه لهذا السلطان اي ان نقده غير موضوعي بسبب تلك العلاقة فحاول ان يثني عليه ويمدحه لأنه اصبح من خواصه.

أما في نقد السلطان اينال الاجرود العلائي(٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م)[٣]، وهو من أتابك العساكر بالديار المصرية، تنقل في عدة وظائف وأعمال الى ان ولاه الملك الظاهر جقمق الدوادارية الكبرى[٤] في سنة(٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م)، فقد وصف بأنه:" كان جاهلا قبيح الشكل بدين الجسم بخيلا شحيحا، سيئ الاعتقاد محبا لجمع الأموال، قليل الخير والتدبير، غير محب للعلماء،

---

(١) المنهل الصافي، ج٣/ص٢٧٤-٢٧٥.

(٢) ضاحي، كتاب النجوم الزاهرة، ص٣٣.

(٣) اينال العلائي الظاهري ثم الناصري ويقال له الأجرود، اشتراه الظاهر برقوق هو وأخوه طوخ وهو أكبرهما من جالبهما علاء الدين فأعتق طوخاً وانتقل هذا بعده لولده الناصر فرح فأعتقه وصار خاصكياً إلى أن تأمر عشرة في أيام المظفر وصار من رؤوس النوب ثم من الطبلخاناة ثم رأس نوبة ثاني ثم ولاه الأشرف نيابة غزة في سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م. السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ص٣٢٨-٣٢٩.

(٤) هي وظيفة إدارية شاملة الذي يليها أمير عشرة، وهي كلمة فارسية مكونة من مقطعين تعني ماسك الدواة، وقد أطلقت على مقدم البريد للسلطان. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١/ص١٠٤؛ المقريزي، الخطط، ج١/ص٦٦٦.

ساقط الهمة، دام ملكه الى ان توفى بعد مرض أصابه مدة اثنى عشر يوما، وتسلطن بعده ولده الشهابي احمد، ولقب بالمؤيد، وفرح جميع الناس"[١].

وهكذا فان ابن تغري بردي أوضح في نقده لهذه الشخصية ضحالة معرفته، ودمامة شكله، وسوء خلقه، وسلبية سلوكياته، وموقف الناس وفرحهم بموته.

نستنتج من هذا أن ابن تغري بردي وبحكم عمله بالبلاط لم تكن العلاقة مع هذا السلطان وطيدة، وهذا ما أشار له ابن الصيرفي حينما ذكر أن المؤرخ ابن تغري بردي لم يزر البلاط الحكومي في عهد ذلك السلطان إلا مرة أو مرتين كل عام[٢].

اذاً على هذا النحو كانت تقييمات المؤرخين المصريين للسلاطين، اذ تراوحت بين ذكر الجوانب السلبية والايجابية، وكانت تدفع بعض المؤرخين دوافع شخصية في ابداء آراء في هذين الاتجاهين.

---

(١) ابن تغري بردي، الدليل الشافي،ج١/ص١٧٥-١٧٦.

(٢) انباء الهصر ، ص١٧٨ .

المبحث الثاني

نقد الولاة

الوالي: لغة واصطلاحاً

عرفت الولاية لغةً على أنها من وَلَي الشيء وولى عليه ولايةً، والولاية بالفتح المصدر والولاية بالكسر الاسم مثل الإمارة والنقابة(١).

أما معنى كلمة والي في ألاصطلاح، فهو المتصرف عن السلطان في الوعيد والترغيب(٢). والولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل. وإذا لم تجتمع تلك الصفات في الوالي لا يجوز أن يطلق عليه لقب الوالي(٣).

ورصد مؤرخو التراجم في الولاية ما رصدوه في السلاطين، ومن ذلك ما قاله ابن تغري بردي في ترجمة أيبك بن عبد الله الصالحي(ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)(٤)،"ولى نيابة قلعة دمشق وحسنت سيرته لمهابته ووقاره وحشمته"(٥).

وكذلك نلحظ في ترجمة والي القاهرة ودمياط بلبان المحسني (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م) اذ وصفه ابن حجر بقوله: " كان والي القاهرة ثم ولي نيابة دمياط وكان خيراً مشكوراً "(٦).

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ / ص٤٠٧.

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ / ص٨٦.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ / ص٤٠٦.

(٤) أيبك بن عبد الله الصالحي، الأمير عز الدين، المعروف بالزراد، من المماليك الصالحية النجمية. ولى نيابة قلعة دمشق. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ص١٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٣/ص١٣٦.

(٦) الدرر الكامنة،ج١/ص٤٩٤.

ثم لم يكتف بعض المؤرخين بذكر الصفات الاخلاقية فحسب بل شمل المظهر الخارجي الذي يعد من الأمور التي تعطي صورة واضحة للشخصية القيادية، ومن ذلك ما ذكره ابن تغري بردي في ترجمة والي القاهرة جانبك بن عبد الله اليشبكي الساقي(ت ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م)[١]، حيث قال: " كان شاباً ظريفاً، عارفاً بأنواع الملاعبة، وفيه ذكاء وفطنة، وعنده مشاركة ومذاكرة حلوة، وكان متجملاً في مركبه وملبسه ومماليكه، وبالجملة كان نادرة في أبناء جنسه"[٢].

أما فيما يختص بالنقد السلبي نلحظ ان المؤرخين المصريين حينما يذكرون نقدهم للولاة المصريين يستعملون ألفاظاً تشير الى الظلم والقبائح والمعاصي التي ارتكبها بعض الولاة.

وهذا واضح في نقد ابن تغري بردي لإسماعيل بن محمد بن أيوب الملك الصالح عماد الدين أبو الجيش بن الملك العادل(ت ٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، كان صاحب بعلبك[٣] وبصرى[٤]، ثم حكم دمشق بعد موت أخيه الأشرف موسى، سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، وبدت منه أشياء قبيحة، من ذلك أنه استعان بالفرنج على قتال ابن أخيه، ثم أخذت منه دمشق في ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، وعاد إلى بعلبك أيضاً، فلم يهنأ بها، وحصلت له حروب وخطوب، فانكسر والتجأ إلى حلب، وخرجت من يده بصرى وبعلبك.

---

(١) جانبك بن عبد الله اليشبكي الساقي، وإلي القاهرة، من مماليك الأمير يشبك الجكمى الأمير آخور، اتصل بخدمة الملك الأشرف برسباى وصار خاصكياً، ثم صار ساقيا إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بعد سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م، بإمرة عشرة، ثم ولاه رأس نوبة من جملة رؤوس النوب، ثم ولاه ولاية القاهرة على كره منه، بعد عزل منصور بن الطبلاوى. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤/ ص٢٣٥-٢٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٣٧.

(٣) بعلبك: بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة ، مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج١ / ص ٤٥٣.

(٤) بصرى : مدينة بالشام من أعمال دمشق وهي قصبة مشهـورة عند العرب قديماً وحديثاً. المصدر نفسه، ج١ / ص٤٤١ .

ولأضفاء المصداقية على نقده لهذا الوالي نجد المؤرخ يدلل ببيتين شعريين قالهما أحد الشعراء(احمد بن المعلم بن البديع) ليبين سوء ادارته المالية.

ضيَّع إسماعيل أموالنا ... وخرّب المَعْنى بلا مَعْنى

وراح من جِلِّق هذا جزا ... منَ أفقر الناس وما استغنى[١].

واختصر نقده في الدليل الشافي بقوله:" استولى على دمشق غير مرة ويخرج منها على أقبح وجه، كان غير مشكور السيرة "[٢].

وكذلك عندما انتقد ابن تغري بردي والي طرابلس إياس بن عبد الله الجرجاوي(ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)[٣]، الذي صار اتابك دمشق الى ان طلبه الظاهر برقوق الى القاهرة، فهو كما ذكره رجل عسوف، ظلم أهل طرابلس في ولايته الى ما لا نهاية، وذكر عنه أشياء توجب الكفر[٤].

اما والي القاهرة احمد بن عمر الحلبي، المعروف بابن الزين (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م) ، الذي تولى عدة وظائف، ثم ولي القاهرة، في عهد السلطان الظاهر برقوق، فينتقده ابن تغري بردي بقوله: " كان من الظلمة... ولما ولي القاهرة شدد على الناس، واجرى على أرباب الجرائم أنواع العذاب، ومنع النساء من المتنزهات والتوجه الى الترب لزيارة القبور، وصار من ظفر بها

---

(١) المنهل الصافي، ج٢/ ص٤٢٠-٤٢١.

(٢) الدليل الشافي،ج١/ ص١٢٨.

(٣) إياس بن عبد الله الجرجاوي الأمير سيف الدين، كان أولاً من أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم تنقل في عدة أعمال بالبلاد الشامية، حتى إنه ولي نيابة طرابلس غير مرة، آخرها في سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية، إلى أن عزله الأمير دمرداش المحمدي الظاهري، نائب حماة. وتوجه إياس أتابكاً بدمشق، فأقام بها يسيراً. وطلب إلى القاهرة وصودر وأهين إلى أن مات. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٤٢٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ ص١٢٤.

(٤) المنهل الصافي،ج٣/ ص ١٢٤-١٢٥.

منهن يضربها ضربا مبرحا، وله أشياء من هذا النمط في العسف، ولا حاجة في التطويل في ترجمة مثل هذا الرجل"[١].

وهذا الوالي ذكره السخاوي فقال:" وكان جباراً ظالماً غاشماً، لكن كان للمفسدين به ردع ما، مات في ثاني عشر ربيع الأول سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وهو معزول" [٢]. وهنا نلحظ ان السخاوي التمس له العذر في استخدامه للعنف والتعسف والتعذيب ضد المفسدين، وشخص فائدته في ردعهم.

وقدم ابن تغري بردي نقداً لوالي القاهرة الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن الطبلاوي(ت ٨١٤هـ/ ١٤١١م)[٣]، حيث قال: قتله الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق عَلَى مَا اتهم بهِ من جهة خوند بنت صروق مطلقة الملك الناصر المذكور – في ليلة السابع والعشرين من ذي القعدة سنة(٨١٤هـ/ ١٤١١م)، بعد أن قتل الناصر بنت صروق المذكورة فِي ذلك اليوم... وكان غير مشكور السيرة، كما هو عادة ظلمة الولاة، عفا الله عنه[٤].

أما السخاوي فبعد أن نقل حادثة قتله انتقد صاحب الترجمة قائلاً: " ولم يكن بمشكور السيرة جرياً على عادة الولاة فأراح الله المسلمين منه فقد كان ساعياً في الأرض بالفساد" [٥].

وبهذا نلحظ موقفا موحداً من هذين المؤرخين ضد هذا الوالي.

وكذلك كان الرأي في والي القاهرة تاج بن سيفا الشوبكي الدمشقي القازاني(ت٨٢٩هـ/١٤٣٥م)، أذ انه "عاصر عدد من السلاطين المماليك واتصل بخدمة الأمير شيخ المؤيد المحمودي نائب دمشق، بالتمسخر والدعابة وصار يغسله ويحلق رأسه، ولا زال

---

(١) المنهل الصافي، ج٢/ ص٤٩.

(٢) الضوء اللامع، ج٢/ ص٥٨.

(٣) أحمد بن محمد الامير شهاب الدين بن الطبلاوي. كان والي القاهرة وكاشف الوجه الشرقي من أعمالها. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٥٠.

(٤) المنهل الصافي، ج٢/ ص١٥٠.

(٥) الضوء اللامع، ج٤/ ص٢١٤.

يتقرب إليه بأنواع الهزل إلى أن صار من ندمائه، فلما تسلطن شيخ المذكور وتلقب بالملك المؤيد، قرب التاج هذا وولاه ولاية القاهرة، وأنعم عليه بإمرة، ثم ولاه أستادارية الصحبة [(١)] ، لأنه كان يحسن طبخ الطعام، ثم ولاه حسبة القاهرة، كل ذلك لدعابة كانت فيه لا لحسن سيرته ومعرفته، ولا زال ينتقل من وظيفة إلى أخرى حتى صار له كلمة في الدولة وحرمة، وأثرى فعند ذلك طغى وتجبر، وظلم وعسف، وأخذ يتجاهر بالمعاصي والفسوق، وصار لا يكف عن قبيح، وهو مع ذلك قبيح المنظر والشكل، فإنه كان شيخا طوالا غليظا، كث اللحية، وهو من مساوئ الملك المؤيد شيخ، بل من الأوباش الذين قربهم، ومن الانذال الذين رقاهم" [(٢)]. وابن تغري بردي حينما يذكر ذلك انما ينتقد هذا الوالي ومن نصبه بهذا المنصب.

أما في فترة السلطان الأشرف برسباي(٨٢٥-٨٤١هـ) " فقد أخذ أمره في الانحطاط مما أدى الى إبعاده، ووقعت له أموراً وحوادثاً منها أني دخلت يوماً إلى الأمير أزبك الدوادار في الدولة الأشرفية فوجدته قد ألقى التاج هذا على الأرض وضربه ضرباً مبرحاً لأمر أوجب ذلك، وكان شيخا جاهلا، مسرفا على نفسه، مستخفا بالمحرمات متجاهرا بذلك، وداره كبعض الخانات لما بها من أنواع القبائح، وكان لا يحجب زوجته زهور الجنكية من أحد، ويعجبه محبة بعض أعيان الدولة لها، وكانت داره بسويقة الصاحب بالقرب من دار سكنها منذ قدم من دمشق إلى أن مات" [(٣)].

ومن هذا النص نجد ان هذا المؤرخ قد رصد السلوك الشخصي السلبي لهذا الوالي مبدياً سخطه عليه لاسيما وأنه قد خبره عن قرب وشاهد أفعاله، كما يمكن ملاحظة ذلك من خلال العبارات الواردة في النص.

---

(١) الاستادار الصحبة: اسم يتركب من كلمتين فارسيتين أولهما استد ومعناها السيد أو الكبير وثانيهما دار ومعناها ممسك وبذلك يكون المقصود من كلمة استادار الذي يتولى قبض المال. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/ ص٤٥٧.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤/ ص٥-٦.

(٣) المنهل الصافي، ج٤/ ص٧.

وعلل ابن تغري بردي موقفه منه قائلاً: " ولم يكن بيني وبين المذكور عداوة توجب الحط عليه، فإنه كان أقل من ذلك، وإنما حملني على ما ذكرته غيرة الإسلام، فإنه كان شيخاً ضالاً مضلا، عليه من الله ما يستحقه"[١].

وكذلك نلحظ ان السخاوي يؤيد ابن تغري بردي في ذكر انتقاده لهذا الوالي بقوله: " ولقد كان عاراً على جميع بني آدم لما اشتمل عليه من المخازي التي جمعت سائر القبائح وأربت بشاعتها على جميع الفضائح" [٢].

وكذلك نلحظ أن هنالك من الولاة من اتصف بسلوك غير أخلاقي واشتهر بالفساد الذي أثر على الحياة الإجتماعية، ومن هؤلاء الأمير دولات خجا بن عبد الله الظاهري، سيف الدين، والي القاهرة ومحتسبها(ت ٨٤١هــ/ ١٤٣٧م):" وكان هذا ظالماً غاشماً، ولي كشف الوجه القبلي[٣] فتعدى الحد في العقوبة حتى كان يأمر بأن ينفخ في دبر من يريد عقوبته حتى تندر عيناه وينفلق دماغه"[٤]. والمؤرخ بذكره لهذا النوع من العقوبات انما يرصد بشاعة بعض الولاة في الافراط في استخدام القوة ضد الرعية.

أما رأي ابن تغري بردي به فيقول: " كان المذكور من جملة المماليك السلطانية، ودام على ذلك دهراً طويلاً إلى أن جعله الملك الأشرف برسباي كاشفاً ببعض أقاليم الوجه البحري[٥]،

---

(١) المصدر نفسه، ج٤/ ص٨.

(٢) الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٥.

(٣) ويقصد بالوجه القبلي الجزء الجنوبي من البلاد ويشار إليه بالصعيد أو أعلى الأرض. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٢٩٢ وص ٢٩٨؛ المقريزي، الخطط، ج١/ ص ١٤؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٢٥؛ مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، ص ٣٢٢.

(٤) ابن حجر، انباء الغمر، ج ٢/ ص٨٣.

(٥) ويقصد بالوجه البحري الجزء الشمالي من القاهرة حتى مصب النيل في بحر الروم (المتوسط) ويعبر عنه بأسفل الأرض أو مصر السفلى. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣ / ص ٢٩٢ وص ٢٩٨ ؛ المقريزي، الخطط، ج١ / ص ١٤؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٢٥ .

فأظهر في ولايته من الظلم والعسف ما صيره بعد ذلك والياً بالقاهرة، فلما ولي القاهرة أطلق عدة من المحابيس أرباب الجرائم، وهدد من أمسكه منهم ثانياً بالتوسيط، فوسط جماعة منهم عندما ظفر بهم. ولما كثر ظلمه، عزله السلطان عن الولاية، وولاه الكشوفية، ففعل في الكشوفية أيضاً ما لا يليق ذكره. ثم عزل عن الكشوفية، وطلبه السلطان وولاه حسبة القاهرة، عوضاً عن القاضي صلاح الدين محمد بن نصر الله، فأظهر في حسبة القاهرة أيضاً من الظلم والعقوبة للباعة، ما هو مشهور عنه؛ فلم تطل أيامه، وأخذه الله بالموت بالطاعون في يوم السبت أول ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وقد قارب السبعين تخميناً، و كان شيخاً تركياً، للقصر أقرب، ذا لحية بيضاء، وضيعاً في الدول، وعنده ظلم وعسف وجور، إلا أنه كان قليل الطمع فتاكاً" [١].

بينما ذكر في كتاب آخر:" وكان مسرفا على نفسه لا دنيا ولا دين"[٢].

ونقل ابن تغري بردي ترجمة أخرى تعطي صورة واضحة للسلوك الديني والأخلاقي المنحرف لصاحب الترجمة قائلاً: " عزم السلطان الملك الأشرف على أن يولي الحسبة لرجل ناهض فذكر له جماعة فلم يرضهم، ثم قال: عندي واحد ليس بمسلم، ولا يخاف الله وأمر فأحضر إليه دولات خجا الظاهري برقوق المعزول عن ولاية القاهرة [٣]، ولولا أنه شاع ذكره لكثرة ولاياته وأرخه جماعة من أعيان المؤرخين، ما ذكرته في هذا كتاب ونزهته عن ذكر مثله" [٤]. أي ان المؤرخ يحاول الاعتذار للقارئ عن ذكر مثل هذه الشخصية في كتابه.

---

(١) المنهل الصافي، ج٥/ ص٣٣٠-٣٣١.

(٢) الدليل الشافي ،ج١/ ص٢٩٩.

(٣) النجوم الزاهرة، ج٤/ ص١٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٢٦.

وسار السخاوي على خطى شيخهِ ابن حجر والمقريزي في ترجمته فيقول: "دولات خجا الظاهري برقوق الذي استقر في الحسبة وكان والي القاهرة... وكان عسوفاً جباراً كثير الشر، يصفه من يعرفه كالاشرف برسباي أنه ليس بمسلم، وأنه لا يخاف من الله وقد شاخ" (١).

وهكذا فانه لولا رصد هؤلاء المؤرخين لسياسات بعض الولاة التعسفية واستغلالهم لمناصبهم لما علمنا هذا الجانب من حياتهم ولظلت تلك السياسات في طي النسيان ولربما اصبحوا من الولاة الخيرين، وتلك خصلة تصب في صالح مؤرخي التراجم المصريين الذين حرصوا على ذكر حقيقة هؤلاء الولاة.

---

(١) الضوء اللامع، ج٣ / ص٢٢١.

المبحث الثالث

نقد أمراء الوظائف المرتبطة بالرتب العسكرية

قسم مؤرخو عصر المماليك الأمراء الى طبقات ذات مراتب عسكرية، وعينوا الوظائف المرتبطة بكل مرتبة، فالطبقة الأولى هي طبقة أمراء عشرة[١]، وأمراء المئة ومقدمي الألوف، ومن هؤلاء الأمراء يكون أكابر أرباب الوظائف والنواب الخارجون عن حضرة السلطان من أمثال نائب الإسكندرية ونائب الوجهين القبلي والبحري والمتولين للنيابات الكبيرة في البلاد الشامية[٢].

أما الوظائف التي تقتضي أن يكون أربابها من مقدمي الألوف ويكونوا بخدمة السلطان بالقاهرة، فهي: الاتابكية ويعبر عن صاحبها بأتابك العساكر[٣]، ويلي الاتابكية وظيفة أمير سلاح[٤]، ويأتي بعده أمير مجلس[٥] ثم الداوادار[٦]، ويليه حاجب الحجاب[١] ومن واجباته أن

---

(١) أمير عشرة: مرتبة حربية، يكون في خدمة صاحبها عشرة فوارس، ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤/ ص٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ ص١٤؛ المقريزي، الخطط، ج٣/ ص٣٥٠-٣٥١.

(٣) أتابك العساكر: الاتابك او الاطابك معناه الوالد او الامير باللغة التركية، والمراد به ابو الامراء، وهو اكبر الامراء المتقدمين بعد النائب، وتتألف كلمة اتابك من (أتا) بمعنى الاب او الشيخ المحترم لكبر سنه، (بك) بمعنى امير، وفي الاصطلاح مربي الامير، ويطلق على امير امراء الجيش لقب(اتابك العسكر). القلقشندي، المصدر نفسه، ج٤/ ص١٨؛ دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص١٣.

(٤) أمير سلاح: وهو لقب على الذي يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير، ويجمع على أمراء سلاح والسلاح الة القتال. القلقشندي، المصدر نفسه، ج٥/ ص٤٢٨.

(٥) أمير مجلس: وهو لقب يطلق على من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره ويجمع على أمراء ومعناه ظاهر والأحسن فيه أن يقال أمير المجلس بتعريف المضاف إليه وتكون الألف واللام فيه للعهد الذهني إما مجلس السلطان أو غيره. القلقشندي، المصدر نفسه، ج٥/ ص٤٢٨.

(٦) الدوادار: لقب يطلق على من يحمل دواة السلطان او الأمير أو غيرهما ، ويتولى أمرها مع ما ينضم إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك. المصدر نفسه، ج٥/ ص٤٣٤.

يفصل فيما يقع بين الجند والأمراء من نزاع واختلاف في أمور الإقطاعات[٢]، يأتي بعد ذلك الاستادار[٣] الذي يتحدث في أمر بيوت السلطان من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان[٤].

أما الطبقة الثانية من الأمراء فهي طبقة أمراء الطبلخاناه[٥]، ومن الوظائف التي بحضرة السلطان ما يقتضي أن يشغلها أمراء طبلخاناه وهم الداوادار الثاني[٦]، ورأس نوبة النوب الثاني[٧]، والحاجب الثاني، والزردكاش[٨]، ومقدم المماليك[١][٢].

---

(١) حاجب الحجاب: منصب مملوكي كان صاحبه يقوم مقام النائب في الولايات، واليه يشير السلطان، واليه يتقدم من يتعرض ومن يرد، واليه يرجع عرض الجند ، فهو يتصف بين الامراء والجند تارة، وتارة بمراجعة نائب السلطان. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٢٠؛ دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٦١.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ ص١٩-٢٠؛ المقريزي، الخطط، ج٣/ ص٣٣٩؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج٢ / ص٤١.

(٣) الاستادار: اسم يتركب من كلمتين فارسيتين أولهما استد ومعناها السيد أو الكبير وثانيهما دار ومعناها ممسك وبذلك يكون المقصود من كلمة استادار الذي يتولى قبض المال. القلقشندي، المصدر نفسه، ج٥/ص٤٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٠.

(٥) أمير طبلخاناه: هو لقب أطلق على الأمراء الذين يلحق بهم دق الطبول أمام قصور السلاطين وأمراء المماليك. المصدر نفسه، ج٥ / ص٢٥٢ .

(٦) الداوادار الثاني: وهو اسم أطلق على أشخاص يكونوا أعوان للدوادار، أطلق عليهم نفس اسمهِ مع أضافه كلمة عددية له للتعريف بموقعه فيقال مثلاً الدوادار الثاني، والدوادار الثالث، والدوادار الرابع، ويخضعون إدارياً لإشراف الدوادار الكبير. ينظر: المصدر نفسه، ج١/ ص١٣٩.

(٧) رأس النوبة: من الوظائف الكبيرة في الجيش المملوكي، وكان متوليها مسؤولا عن إدارة شؤون فرقة المماليك السلطانية، وتتطلب مسؤوليته أن يكون له أعوان في إدارة أعماله، ومنها رؤوس النوب وهم اربعة امراء يرأسهم مقدم ألف يشرفون على المماليك السلطانية.العمري التعريف بالمصطلح الشريف،ص١٦٧.

(٨) الزردكاش: وهي لفظة عجمية وكأن معناها صانع الزرد، والزرد وتشتمل على أنواع السلاح من السيوف والقسي العربية والنشاب والرماح والدروع المتخذة من الزرد الماتع والقرقلات المتخذة من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر والأصفر. القلقشندي،صبح الاعشى، ج٤/ ص١١.

فقد نظر إليهم مؤرخو التراجم المصريون من زاوية حسن السيرة او ذمها، وما يتبع ذلك من الطيش وشدة الوطأة على الناس أو كفكفة الشر عنهم، ومن ذلك فقد وصفتهم كتب التراجم، بقبح السيرة، وشدة السطوة، أو الجود والمهابة، والحشمة، والأدب والخير.

أما نقد الأمراء فقد نظر المؤرخون المصريون إليهم من زاوية حسن السيرة أو ذمها، كما جاء في ترجمة سودون بن عبد الرحمن الظاهري (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)(٣) حيث وصف بأنه: "كان اميرا جليلاً، شجاعا مقدما، عارفاً، سيوساً، وافر الحرمة، متجملا في ملبسه ومركبه، نالته السعادة في نيابته لدمشق، وطالت ايامه"(٤).

واختلف المقريزي في تقييم سيرة صاحب الترجمة مع ابن تغري بردي حيث قال: "وكان مصراً على ما لا تبيحه الشريعة من شهواته الخسيسة، وأحدث في دمشق أيام نيابته بها عدة أماكن لبيع الخمر، ووقوف البغايا والأحداث، وضمنها بمال في كل شهر، فاستمرت من بعده، واقتدى به في ذلك غير واحد، فعملوا في دمشق خمارات مضمنة بأموال، من غير أن ينكر عليه أحد ذلك"(٥).

---

(١) مقدم المماليك: وهو لقب على الذي يتولى أمر المماليك للسلطان أو الأمير من الخدام الخصيان المعروفين الان بالطواشية، ومقامه فيهم نحو مقام رأس النوبة ولفظ المقدم والمماليك معروف. ينظر:، ج٥/ ص٤٢٨؛ دهمان، معجم، ص ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢١.

(٣) سودون بن عبد الرحمن الظاهري برقوق. كان من خاصكيته، ثم ترقى في أيام ابنه الناصر حتى صار مقدماً، ثم ولي نيابة غزة، ثم كان ممن خرج مع قايتباي المحمدي عن الطاعة فلما انكسر رفقاؤه فر إلى قرا يوسف صاحب بغداد ثم قدم على ططر حين كان بالبلاد الشامية مع المظفر بن المؤيد فأكرمه ثم جعله مقدماً بالديار المصرية إلى أن استقر به الأشرف برسباي في الدوادارية الكبرى ثم في نيابة الشام. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦/ ص١٥٢-١٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٦/ ص١٥٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣/ ص٤١٥.

وربما يعود هذا التباين في تقييم شخصية هذا الأمير بين المؤرخين كونه من مجتمع المماليك الذي ينضم اليه المؤرخ ابن تغري بردي ووالده على خلاف المؤرخ المقريزي الذي هو عربي الأصل لا يهمه ان يرفع من شأن الأمراء المماليك اذا ما كانوا سيئيين.

وذهب بعض المؤرخين الى ذكر لفظ مختصر يعطي صورة عن سيرة ذلك الشخص بعبارة(مشكور السيرة)، ومن ذلك ما وصفه السخاوي في نقد أقبردي المظفري(ت٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م)[١]" وكان مشكور السيرة"[٢]. وهي جملة مختصرة لا تعطي صورة واضحة عن حقيقة ايجابيات الشخصية المترجمة.

كما جاء في ترجمة سودون المحمدي المؤيدي (ت ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)[٣]، " كان شجاعاً مشكور السيرة سليم الباطن عنده حشمة وكرم"[٤].

وكذلك يصف لنا ابن تغري بردي الامير أسنباي الزرد كاش (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)[٥]، والذي كان مصدره في نقل أخبار بعض المترجمين، فيقول: " وكان

---

(١) أقبردي المظفري، عمل رأس نوبة الجمدارية في أيام المؤيد ثم أمير عشرة في أيام الظاهر جقمق ثم صار من رؤس النوب الصغار ثم أرسله أمير الركب لأول مرة ثم وجهه إلى مكة مقدماً على المماليك السلطانية بها بعد سودون المحمدي. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٣١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٣١٦.

(٣) سودون المحمدي المؤيدي شيخ ويعرف بسودون اتمكجي يعني الخباز، صار خاصكياً بعد أستاذه المؤيد ثم استقر رأس نوبة الجمدارية في أيام الأشرف ثم أمره الظاهر عشرة وجعله من رؤوس النوب ثم أمير اخور ثالث ثم أميراخور ثاني ولم يلبث أن مات في رجب. ينظر: المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٨٦.

(٥) أسنباي بن عبد الله الظاهري الزردكاش، الأمير سيف الدين، هو من أعيان المماليك الظاهرية برقوق، اشتراه برقوق لما كان أتابكا في سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م، وأعتقه ورقاه إلى أن صار من جملة زردكاشية السلطان، واستمر على ذلك إلى أن مات الملك الظاهر برقوق، وتسلطن ولده الملك الناصر فرج وقدم تيمورلنك إلى البلاد الشامية في سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، فأسر أسنباي من جملة من أسر من العساكر المصرية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٤٣٢-٤٣٣.

بيننا صحبة أكيدة، وهو أحد من كنت آخذ عنه تراجم من لا أدركته من الأمراء الظاهرية، واجتمع مرة عندي مع الشيخ تقي الدين المقريزي، فلما اجتمعا أخذا في ذكر ما جرى من الحوادث في الدولة الظاهرية برقوق وهلم جرا إلى دولة الأشرف برسباي، فسكت المقريزي وتكلم أسنباي على الأنصاف إلى أن انصرفا وتفرقا، ثم بعد ذلك سألت عنه من الشيخ تقي الدين فقال: ما رأيت من يحفظ الحوادث والوقائع برمتها مثل هذا "(١) ، لذلك وصفه قائلا: " كان تركي الجنس، وعنده فصاحة ومعرفة وعقل، حافظاً لما رأى من الحوادث"(٢).

ونلحظ في منهجية النقد التاريخي عند بعض المؤرخين المصريين أنهم يتصفون الى حد ما بالأمانة العلمية وعدم المجاملة ، وهذا ما يؤكده المقريزي الذي كانت له صحبة مع سودون الظاهري(ت ٨٠٣هــ/ ١٤٠١م)(٣)، قد رسم لنا شكل العلاقة التي ربطت بينهما بقوله: " ولقد صَحِبتُ سودون هذا مدة وأطاعه الله لي وأوصل إليّ بواسطته نعمة ورياسة وأذله لي، فلم أر منه ما أكره قط "(٤).

ولعل منهجه الصحيح في النقد هو الذي يعطي لنا صورة عن بعض جوانب سياسة هذا الأمير، وصفاته السلوكية فيقول: " كان فيه من شراسة الخلق وشدة البطش وسرعة الغضب وكثرة الشح وزيادة الطمع "(٥).

---

(١) المنهل الصافي، ج٢/ ص٤٣٤-٤٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٤٣٤-٤٣٥.

(٣) سودون الظاهري، يعرف بسيدي سُودون ابن اخت السلطان، الذي قدم من بلاد الجركس صغيرا فرباه الظاهر برقوق في داره، فلما قبض عليه الأمير يلبغا الناصري وسيره الى الكرك فسجن بها، خرج معه بثلاثة من صغار مماليكه هم سُودون هذا، وقطلوبغا الكركي، وآقباي الكركي، فقاموا بخدمته مدة إقامته بالكرك وساروا معه الى قتال اهل الشام، فما زالوا معه حتى قدم الى مصر واستقر بقلعة الجبل. المقريزي، درر العقود،ج٢/ ص ١٠١-١٠٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦/ ص١١١-١١٢.

(٤) درر العقود، ج٢/ ص ١٠١-١٠٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٢/ ص ١٠١-١٠٣.

أما رأي ابن تغري بردي فيقول: " كان أميراً جليلاً ذا شكالة حسنة، ووجه صبيح. كان ربعة في الناس، وكان عارفاً بأنواع الفروسية، متجملاً في ملبسه ومركبه ومماليكه، نشأ في السعادة " [١].

ولكن رأي السخاوي المؤيد للمقريزي والمخالف لابن تغري بردي جاء على النحو الآتي :" أنه كان ظالماً عاتياً بخيلاً متكبراً سيء الخلق دميم الخلقة كثير الشر وهو الذي فتح باب الشر بعد موت الظاهر، قال ويقال إنه دفن في قيده بدمشق"[٢].

ونستشف مما ذكر آنفا أن مؤرخي مصر خلال القرن التاسع الهجري، عندما نقدوا لأمراء المماليك المصريين استخدموا ألفاظاً تشير الى الظلم والشرور، وكذلك يذكرون ألفاظاً تعبر عن الكرم والشجاعة أو الفاظاً نقدية مثل: (لا للسيف ولا للضيف)[٣]، (لا ذات ولا أدوات)[٤] ، تعبيرا على أن صاحب الترجمة لا يصلح لشئ، أضافة الى أنه ليس لديه أي مؤهلات لهذا المنصب، أي ليس لديه خبره او تجربة تكون له سلاحاً في منصبه، وكذلك قضية تكرار ألفاظ تدل على الشراهة في جمع الاموال ويراد منها اخذ الأموال بطرق غير مشروعة أي عن طريق الرشوة وغيرها، وأحيانا يشير الى لفظ غير مشكور السيرة تعبيراً عن جميع تلك الألفاظ.

فعند نقد أحد أمراء الألوف بالقاهرة وهو، أقبردى بن عبد الله، المعروف بالمنقار(ت٨٢٠هـ/١٤١٧م)[٥] اذ وصفه ابن تغري بردي بقوله: " وكان غير مشكور السيرة، مشهوراً بالظلم والعسف وقبح الشكل "[١].

---

(١) المنهل الصافي، ج٦/ ص١١٥.

(٢) الضوء اللامع ، ج٣/ ص٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ ص١٩٧،ج٤/ ص٢٤١-٢٤٢، ج٧/ ص١٦.

(٤) المصدر نفسه،ج١/ ص٢٤٥، ص٢٥٠،ص٥٠٠، ج٦/ ص١٧٩.

(٥) آقبردي بن عبد الله المؤيدي، المعروف بالمنقار، الأمير سيف الدين، أحد المماليك المؤيدية، وأحد مقدمي الألوف بالديار المصرية في دولة أستاذه، اشتراه المؤيد في حال إمرته وخدمه في أيام تلك الفتن إلى أن

أما رأي السخاوي بصاحب الترجمة، فينتقده بعبارة تلخص رأيه بشكل عام ومختصر اذ قال :" ولم يكن مشكور السيرة"[٢]. وعلى الرغم مما عرف عن السخاوي في توسعه في تراجم الشخصيات الواردة في كتابه الا انه احياناً يكون مختصراً في تقييم تلك الشخصيات.

أما في نقده لأحد نواب دمشق وهو سودون بن عبد الله الأشقر برقوق (ت ٨٢٧هـــــ/١٤٢٤م)[٣]، وهو من جملة أمراء دمشق في عهد السلطان برسباي، فإننا نلحظ أن ابن تغري بردي عندما ترجم له فأنه جارى المقريزي وأيده في ترجمته له اذ قال: " قال المقريزي: وهو أحد المماليك الظاهرية الذين أنشأهم الملك الناصر فرج، وكان عيباً كله لشدة بخله وفسقه وظلمه، قلت هو كما قال المقريزي وزيادة"[٤]. بينما يذكره في الدليل الشافي : "وكان "وكان لا للسيف ولا للضيف"[٥].

وكذلك نواب الشام، فنجد ان المقريزي يستند الى نقد مترجمه، واصدار الحكم عليه او له الى ما بدر منه من تصرفات، او عرف عنه من اثار.

تسلطن المؤيد قربه ورقاه وولاه نيابة الإسكندرية، وجعله أمير مائة مقدم ألف، ثم عزل عن نيابة الإسكندرية عند توجهه إلى البلاد الشامية، وأخذه صحبته وهو مريض في محفة إلى أن وصل إلى دمشق مات بها. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٤٨٧-٤٨٨.

(١) المصدر نفسه ،ج٢/ ص٤٨٧-٤٨٨؛ الدليل الشافي، ج١/ ص١٣٩-١٤٠.

(٢) الضوء اللامع، ج٢/ ص٣١٦.

(٣) سودون بن عبد الله الظاهري، الأمير سيف الدين المعروف بسودون الأشقر، هو من المماليك الظاهرية برقوق، وممن ترقى في الدولة الناصرية فرج حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج٦/ ص١٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٦/ ص١٤٩.

(٥) الدليل الشافي، ج١/ ص٣٣١.

ونجد هذا السلوك عند أَزدمر بن عبد الله من على جَان الظاهري، المعروف أزدَمر شَايَا(ت٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)[1]، اذ وصفه ابن تغري بردي: " ... فباشر النيابة مدة يسيرة فلم تحمد سيرته وعزل، وصار حاجبا بحلب، وكان من مساوئ الدنيا شكلا ومعنى، ذميما سيء الخلق بخيلا شحيحا، وكان يتجمل بالملبس، فيلبس أحسن الملبوس، ويتختم بالخواتم المثمنه، كل ذلك لينبل في أعين الناس فلا يتم له ذلك"[2]. بينما أضاف في الدليل الشافي ما نصه: " وكان دميم الخَلق مذموم الخُلق من الظلمة" [3].

نستنتج من ذلك أن هذه الشخصية كانت لها سلبيات لم تكن خافية على المجتمع حينئذ، وأن كل ما فعله هذا الأمير هو التظاهر أمام المجتمع لكي يكون من الشخصيات النبيلة، ولكن لم يتم له ذلك.

ومن الوظائف التي تكون في خدمة السلطان، وهي وظيفة رأس النوبة، والتي تولاها مامش المحمدي(ت٨٣٠هـ/١٤٢٦م)[4]، الذي وصف بأنه: " كان قبيح السيرة متجاهراً

---

(١) ازدمر بن عبد الله بن علي جان الظاهري، الامير عز الدين المعروف بازدمر شيا ، احد مقدمي الالوف بديار مصر، ثم نائب ملطية، ثم من جملة امراء حلب، وهو من صغار المماليك الظاهرية برقوق، وممن صار ساقيا في الدولة الناصرية فرج، ثم تنقل حتى صار من جملة امراء الطبلخاناه وراس نوبة في الدولة المؤيدية شيخ، ثم صار من جملة امراء الالوف في اوائل سلطنة الملك الاشرف برسباي، ودام على ذلك سنين الى ان اخرج لنيابة ملطية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٣٥٢-٣٥٣.

(٢) المنهل الصافي، ج٢/ ص٣٥٣.

(٣) المصدر نفسه،ج١/ ص١١٤-١١٥.

(٤) مامش المحمدي، اشتراه السلطان المؤيد شيخ في أيام إمرته ثم جعله خاصكياً ثم بعد مدة أمير عشرة ثم صار بعد موته طبلخاناه ورأس نوبة ، فدام أشهراً ثم قبض عليه الأتابك ططر بدمشق وحبسه في جملة المؤيدية. السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٢٣٥.

بالمعاصي بحيث يهجم البيوت من الأبواب أو الطيقان سيما في أيام أستاذه وضربه مرة على ذلك ثم صار يعتذر لمن يشتكيه له بجنونه فقد كان ما تقدم مع جنون وعفة" [١].

ومن الامراء بيبغا بن عبد الله المظفري برقوق(ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)[٢]، اتابك العساكر بالديار المصرية، الذي كان:" أميراً جليلاً، مهاباً، شجاعاً، معظماً في الدولة، وعنده تعصب لمن يلوذ به ومروءة، لكنه كان سيئ الخلق، قوي النفس، وله بادرة وخسة إلى الغاية مع سلامة باطن" [٣].

ونستنتج من هذا النقد الاجتماعي الذي شخص ظاهرة سلبية اجتماعية، ان هذا الأمير لا يضع الشيء في محله أي انه كريم في مواضع لا يصلح بها الكرم، لذا وصف كرمه بالجنون ومن المعروف أن الجنون حاله اضطراب تجعل صاحبها غير مستقر على حال، وفي بعض الأحيان أن هنالك اختلاف في ذكر صاحب الترجمة، فقد انتقد ابن تغري بردي نقدا سلبيا، ولكن وجدناه عند السخاوي نقدا ايجابيا، وهذا ما جاء في نقد جان بك بن عبد الله القرماني الظاهري برقوق(ت٨٦١هـ/١٤٥٦م)[٤]، أحد أمراء الطبلخانات، وثاني رأس نوبة، ثم أمير مائة، ومقدم ألف، وحاجب الحجاب، كان مهملا لا ذات ولا أدوات[١].

---

(١) المصدر نفسه، ج٦/ ص٢٣٥.

(٢) بيبغا بن عبد الله المظفري الظاهري، الامير سيف الدين، اتابك العساكر بالديار المصرية، اصله من مماليك الظاهر برقوق، ثم تنقل في الدولة الناصرية فرج الى ان صار امير مائة ومقدم الف بالديار المصرية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ ص٤٨٩-٤٩٠.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ ص٤٩٢.

(٤) جانبك بن عبد الله القرماني الظاهري، الأمير سيف الدين حاجب الحجاب بالديار المصرية، أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وتأمر عشرة بعد موت الملك المؤيد شيخ، بعد أن قاسى خطوب الدهر ألواناً حتى أنه سمر على جمل ورسم بتوسيطه في الدولة الناصرية فرج، ثم شفع فيه وحبس ثم أطلق، ولما تسلطن الملك الأشرف برسباى جعله من جملة معلمى الرمح، واستمر على ذلك إلى أن تسلطن

أما ما ذكره السخاوي فأنه يخالف بعض الشيء ما ذكره ابن تغري بردي، حيث قال: " كان عاقلاً ساكناً، عارفاً بأنواع الرمح، غير متجمل في مركبه وملبسه لشحه فيما قيل "(٢). وهكذا جمع السخاوي النقد الايجابي والسلبي، لكن جرحه لهذا الامير بناه على قول سمعه فيه مما يضعف رأيه هذا.

وذكر ابن تغري بردي أحد امراء العشرات بالقاهرة وهو الأمير شهاب الدين احمد بن نوروز الخضري الظاهري(ت ٨٥٢هـــ/ ١٤٤٨م)(٣)، حاجب حلب(٤)، وأحد أخصاء الظاهر جقمق ومماليكه قائلاً: " وكان رجلا أشقر، معتدل القامه، مهملا عاريا من كل فن، مسرفا على نفسه " (٥)، أما في الدليل الشافي فيقول : " وكان غير مشكور السيرة، من الأوباش الذين قدمهم الملك الظاهر جقمق" (٦).

الملك الظاهر جقمق غير اقطاعة بعد مدة، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناة، ثم ولاه رأس نوبة. ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج١/ ص٣٧٤؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج٣ / ص٥٩.

(١) ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١/ ص٢٣٨.

(٢) الضوء اللامع،ج٣ / ص٥٩.

(٣) احمد بن نوروز الخضري الظاهري، احد امراء العشروات بالقاهرة، واحد اخصاء الملك الظاهر جقمق ومماليكة، ولد سنة ٨٠٢هــ/١٣٩٩م نشأ يتيما، واتصل بخدمة الملك الظاهر جقمق صغيرا، والملك الظاهر اذ ذاك من جملة امراء الطبلخاناه، فدام في خدمته الى ان صار في الدولة الاشرفية برسباي امير اخور. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٢٥١-٢٥٢.

(٤) الحجابة وظيفة من وظائف الدولة ، والمتقلد لها يسمى الحاجب، وكانت مهمة متوليها حفظ باب السلطان أو الملك والاستئذان للداخلين عليه، أي حجب الحاكم عن الناس وغلق بابه دونهم في أوقات محددة . ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤ / ص١٩-٢٠؛ المقريزي، الخطط، ج٣ / ص٣٣٩ ؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٤١.

(٥) المنهل الصافي، ج٢/ ص٢٥٢.

(٦) الدليل الشافي ،ج١/ ص٩٤.

بينما سجل السخاوي عبارة نقدية توضح رأيه بهذه الشخصية حينما قال: " ولا يذكر بخير ولا دين"[١]. وحينما يكون الاجماع على تقييم شخصية أحد الأمراء من مؤرخين كبيرين متعاصرين لا يمكن لنا الا أن نأخذ بهذا التقييم.

ونجد ذلك في نقد أمراء رأس نوبة النوب، ومنهم تمرباى بن عبد الله السيفي(ت ٨٥٢هــ/ ١٤٤٨م)[٢] الذي" كان مهملا، عاريا من كل علم وفن، شرس الأخلاق، خبيث اللسان، بخيلا غير شجاع، إلا أنه كان عفيفا عن المنكرات، وله بر على الفقراء، عفا الله عنه"[٣]. وقريب من هذا المعنى جاءت ترجمته عند السخاوي حيث قال: " وكان عفيفاً متصدقاً... مع شراسة خلق وبذاءة لسان" [٤]. وربما نظر السخاوي في ترجمة هذا الأمير عند ابن تغري بردي فأختصرها.

وعندما ذكر ابن تغري بردي اقطوه الموساوي(ت ٨٥٣هــ/ ١٤٤٩م)[٥]، فقد وصفه بأنه من أصاغر المماليك الظاهرية برقوق،" خلع عليه بكشف الجسور وتوجه إلى ما ندب إليه، فلم تشكر سيرته"[٦]. أي انه انتقد فساده الاداري.

---

(١) الضوء اللامع، ج٢/ ص٤٤٠.

(٢) تمرباى بن عبد الله السيفي، أصله من مماليك الأمير تمربغا المشطوب، ثم خدم بعد موته عند الأمير ططر وحظى عنده وجعله دوادارا ثالثاً، فاستمر على ذلك دهراً إلى أن توفى الأمير جانبك الأشرفي عوضه من غير إمرة، بل استمر على إقطاعه المذكور نحو أشهر، وأنعم عليه بإمرة عشرة، إلى أن صار من جملة الطبلخاناة. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤/ ص٩١-٩٣.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤/ ص٩١-٩٣.

(٤) الضوء اللامع، ج٣/ ص٣٩.

(٥) آقطوه بن عبد الله الموساوي الظاهري، الأمير سيف الدين، هو من أصاغر المماليك الظاهرية برقوق، ومن أنيات الأتابك يلبغا الناصري، وممن صار من جملة الدوادارية الصغار في الدولة المؤيدية شيخ إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ ص٦-٧.

(٦) المصدر نفسه، ج٣/ ص٨.

ومقارنة مع ما كتبه هذا المؤرخ في كتابه النجوم الزاهرة عن صاحب الترجمة، نجده يستعمل عبارة (فلم تشكر سيرته)(ولم يكن مشكور السيرة)، ثم قال: " وكان عفيفاً عن الفواحش، إلا أنه كان فيه البخل وسوء الخلق وتعبيس الشكالة"[١].

أما رأي السخاوي فيؤيد ما ذكره ابن تغري بردي وصف صاحب الترجمة، بنفس الألفاظ النقدية التي استخدمها ابن تغري بردي حيث قال: " ولم يكن مشكور السيرة " [٢].

أما وظيفة استادار الصحبة التي تقضي أن يكون أربابها بأمرة عشرة فمنهم: مغلباي بن عبد الله الجقمقي الساقي(ت ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) [٣]،" كان من مساوئ الدنيا شكلا وفعلا واعتقادا"[٤].

وفصل السخاوي في نقده له بقوله: " كان فيما قيل سيء السيرة ظالماً بخيلاً سفيهاً سيئ الأخلاق جباناً قليل المعرفة كثير الدعوى" [٥]. والذي يمكن تسجيله انه في العديد من الحالات نجد ان ابن تغري بردي يستمد معلوماته عن المترجمين معايشة لهم أو مشاهدة لأنه معاصر لأغلبهم في حين ان السخاوي احياناً يستمد معلوماته سماعاً والسبب في ذلك يعود الى أمرين هما ان ابن تغري بردي كان من مجتمع المماليك ذاته وكانت له حرية في الوصول الى مراكز

---

(١) النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٣٣٩.

(٢) الضوء اللامع، ج٢/ ص٣١٩.

(٣) مغلباي بن عبد الله الجقمقي الساقي، ، ثم استادار الصحبة، كان من مماليك جقمق الارغون شاوى الدوادار نائب الشام، وترقى في الدولة الاشرفية حتى صار ساقيا، ثم انعم عليه بإمرة عشرة، وجعله استادار الصحبة، ودام على ذلك الى ان اخرجه الظاهر جقمق الى الشام على أمرة، ثم قبض عليه بدمشق، وحبس بقلعتها، الى ان توفى. ينظر: ابن تغري بردي، الدليل الشافي ،ج٢/ ص٧٣٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص٨٤.

(٤) ابن تغري بردي، المصدر نفسه ،ج٢/ ص٧٣٧.

(٥) الضوء اللامع، ج١٠/ ص١٦٥.

القرار ومعايشة الأمراء ومشاهدتهم ثم ان الكثير من الأمراء الذين ترجمهم ابن تغري بردي لم يعاصرهم السخاوي لانه توفى بعده بأكثر من عقدين تقريباً.

وكذلك كزل العجمي الظاهري(ت ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م)[١]، " كان عارفاً بأنواع الفروسية كالرمح والنشاب قوي اللعب إلى الغاية لكن بغير ترتيب ولا رونق وكونه غير شجاع ولا مشكور السيرة في دنياه ودينه متعاظماً مستخفاً بالناس خصوصاً المعلمين مع كون فيهم من هو أعرف منه وأحسن لعباً؛ ويذكر بمروءة وعصبية عفا الله عنه"[٢].

وكذلك نلحظ ان ابن تغري بردي قد انفرد في نقد هؤلاء الأمراء عن غيره من المؤرخين، والسبب في ذلك ان علاقته بالسلاطين والامراء جعلته على اتصال مباشر بالبلاط المملوكي والتي مكنته من الحصول على كثير من المعلومات عن الأحداث التي كان هؤلاء من المشاركين فيها[٣]، وهذا ما لاحظناه عند استعماله عبارات نقدية مختصره، تعطي عدة معاني لصاحب الترجمة، ومن هذه العبارات، "مهملا ممن لا يُؤبَه له"[٤]،" وكان مهملاً لا يعتد به في الدول"[٥]، ومن هؤلاء هم:

---

(١) كزل العجمي الظاهري برقوق المعلم، كان خاصكياً لسيده ثم بشمقداراً، ثم أمره عشرة، وجعله استادار الصحبة ثم قدمه الناصر وولاه الحجوبية الكبرى، وحج في أيامه أمير المحمل ثم أبقاه المؤيد على التقدمة خاصة وجعله أمير جدار إلى أن نفاه لدمشق بعد مدة ثم أمسكه ووقعت له حوادث إلى أن بقي أمير طبلخاناه في أيام الأشرف وسكن بداره في البرقية على عادته أولاً، ثم حصل له بعد سنة ثلاثين فالج تعطل به ولزم الفراش إلى أن مات . السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٢٢٨.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٢٢٨.

(٣) المنهل الصافي،ج١/ ص٢٨٦.

(٤) ابن تغري بردي، الدليل الشافي ،ج١/ ص٢٢٢-٢٢٣.

(٥) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦/ ص١٧٣.

سودون البردبكي(ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م)[١]، احد أمراء العشرات بالديار المصرية، ثم نائب دمياط، " كان مهملاً لا يعتد به في الدول"[٢]. وكذلك نجده في ترجمة سودون السودوني(ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)[٣] الظاهري برقوق أحد أمراء العشرات ثاني حاجب الحجاب، ثم صار من جملة الحجاب، وكان شيخاً ضالاً، لا ذات ولا أدوات، عفا الله عنه[٤]، ويصفه ابن تغري بردي في كتاب آخر:" كان شيخا مسرفا على نفسه، جاهلا مهملا، عديم المروءة"[٥].

أما طُوخ بن عبد الله(ت ٨٦٢هـ/١٤٥٨م)[٦]، أحد أمراء الألوف بديار مصر، فهو ممن أنعم عليه الظاهر جقمق، لكنه كان غير مشار إليه في الدولة، وممن ليس له ذكر، وأشيع بإخراج إقطاعه مرارا، ثم ولي أمرة مجلس في الدولة الاشرفية إينال الاجرود، الى أن مات في سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م، وكان مهملا لا للسيف ولا للضيف[٧].

---

(١) سودون بن عبد الله البردبكي الظاهري برقوق من صغار مماليكه، وتأمر عشرة بعد موت المؤيد شيخ ثم ولاه الظاهر جقمق نيابة دمياط واستمر بها حتى مات. المصدر نفسه، ج٦/ ص١٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٦/ ص١٧٣.

(٣) سودون بن عبد الله السودوني، صار في أيام الأشرف من جملة حجاب القاهرة ثم نفاه الظاهر برقوق إلى القدس ثم شفع فيه وأقام بالقاهرة بطالاً ثم أنعم عليه بامرة عشرة مع الحجوبية ثم نقل إلى الحجوبية الثاني على إمرته ثم نفي إلى القدس أيضاً ثم أعيد على إمرة عشرة مع الحجوبية الثالثة ثم نفي للقدس أيضاً ثم أعيد على الحجوبية فقط إلى أن مات. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٧٩.

(٤) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦/ ص١٧٩.

(٥) الدليل الشافي ،ج١/ ص٣٣٧.

(٦) طوخ بن عبد الله من تمراز الناصري، المعروف(بُيني بازق)، هو من مماليك الملك الناصر فرج، قدم الديار المصرية صحبة الملك الظاهر ططر، وصار من جملة أمراء العشرات بها، ثم صار من جملة رؤوس النوب في الدولة الأشرفية برسباي، ودام على ذلك مدة سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إلى إمرة طبلخاناة، ثم صار رأس نوبة ثانياً. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ ص١٥.

(٧) المصدر نفسه، ج٧/ ص١٦؛ الدليل الشافي ،ج١/ ص٣٧١-٣٧٢.

وهذا ما نجده ايضاً في ترجمة الامير جانبك بن عبد الله الظاهري، المعروف بقرا جانبك، توفى في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري[١] " لم يكن جانبك هذا ممن له كلمة في الدول، ولا عليه أبهة الأمراء، وإنما هو كأحد الأجناد، وهو كما قيل لا للسيف ولا للضيف" [٢].

وبهذا نجد أن صاحب هذه الترجمة ممن ليس له اعتبار أو مكانة في المجتمع المملوكي ولاسيما عند السلاطين، كما رسم لنا ابن تغري بردي صورة ذلك.

---

(١) جانبك بن عبد الله الظاهري، المعروف بقرا جانبك، الأمير سيف الدين، أحد أمراء العشرات وزرد كاش السلطان، وهو من مماليك الملك الظاهر جقمق، اشتراه لما كان أميراً وأعتقه، وجعله من جملة مماليكه إلى ، تسلطن، جعله خاصكياً، ثم رأس نوبة الجمدارية، وإلى أن أنعم عليه بإمرة عشرة في سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م . ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤/ ص٢٤١.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٤١-٢٤٢.

المبحث الرابع

نقد القضاة

القضاء في اللغة والاصطلاح:

جاء القضاء في اللغة بمعنى الحكم والجمع أقضية[١]، وهو إحكام وإتقان العمل والفراغ منه[٢]، ويأتي بمعنى اللزوم لهذا سمي القاضي قاضيا لأنه يلزم الناس[٣]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٤]، أي إلزم بما شئت واصنع ما بدا لك[٥]، ويكون قد سمي قاضياً لإيجابه الحكم على من يجب عليه، لأن (قضى) تأتي بمعنى أوجب[٦]، فالقاضي إذن هو القاطع والمحكم للأمور[٧].

وعلى الرغم من ورود القضاء في اللغة بمعانٍ مختلفة، إلا أن جميعها ترجع الى معنى إنقطاع الشيء وتمامه[٨]، ومن يتولى هذه المهمة يطلق عليه إسم (القاضي) لأنه يمضي الإحكام ويحكمها، او يطلق عليه اسم (الحاكم) لمنعه الظالم من الظلم[٩].

---

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص٥٤٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٥/ ص١٨٦.

(٢) السمناني، روضة القضاة، ج١، ص٤٩ ؛ ابن منظور،المصدر نفسه، ج١٥/ ص١٨٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٠/ ص٢٩٧.

(٣) الطرابلسي، معين الحكام، ص٣.

(٤) سورة طه: اية ٧٢.

(٥) الطرابلسي، معين الحكام، ص٦.

(٦) مسلم، الجامع الصحيح، ج٣/ ص١٣٣٦.

(٧) الازهري، تهذيب اللغة، ج٩/ ص ٢١١-٢١٢ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٠/ ص٢٩٧.

(٨) الازهري، المصدر نفسه، ج٩/ ص٢١١؛ الزبيدي، المصدر نفسه، ج١٠/ ص٢٩٦.

(٩) مسلم، الجامع الصحيح، ج٣/ ص١٣٣٦.

أما القضاء إصطلاحاً وشرعاً فقد عرف " بأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعا للتنازع"[١]، لان القضاء بحقيقته هو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام، وقضى القاضي أي لزم الحق أهله[٢].

فهو إذن الحاكم الذي يحل الخلافات بين الذين يقصدونه من الشكاة فيحكم بين المذنبين الذين ثبتت إدانتهم بحكم القانون، من ناحية أخرى فهو القيام بالأحكام الشرعية وتنفيذها بحسب أوامر الشرع وقطع المنازعات[٣].

وقد راعى المؤرخون المصريون في القضاة أمورا أهمها التورع والعفة، وغزارة علم، والمعرفة بالأمور الشرعية، وحسن السيرة، كنحو قول ابن تغري بردي في ترجمة قاضي القضاة نجم الدين المقدسي الحنبلي (ت ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)[٤]، "وكان فاضلاً ذكياً، وله قدرة على الحفظ، وله مشاركة في علوم... وكان مشكور السيرة، مهاباً، وقوراً في الدول، تام الشكل، بديناً"[٥].

وفي ضوء ذلك ذكر ابن حجر في ترجمة علي بن مخلوف النويري قاضي القضاة(ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)[٦] " وكان كثير الأفضال، حسن المودة، كثير المروءة، وافر الاحتمال، عظيم

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٢٠؛ زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج١/ ص٢٤٤.

(٢) الطرابلسي، معين الحكام، ص٦؛ الانباري، النظام القضائي، ص٥١.

(٣) القلقشندي، مآثر الانافة، ج١/ ص٧٧.

(٤) أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن قدامة، قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس، مولده سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م، ولي قضاء دمشق بعد أن عزل والده نفسه، وكانت إليه مع القضاء خطابة الجبل والإمامة بحلقة الحنابلة، ونظر أوقاف الحنابلة. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٣٣٠.

(٥) المصدر نفسه، ج١/ ص٣٣٠.

(٦) علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري المالكي قاضي القضاة زين الدين، ولد سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م ،اشتغل على مذهب مالك ومهر وعمل أمين الحكم ثم استقر في القضاء في أواخر سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م فباشره إلى أن مات إلا أن الناصر عزله لما رجع من الكرك في سنة

البر لأهل العلم والاشتغال، عارفاً بالأحكام من جهة الدُّرْبة والتجربة"[1]، أما في الدرر الكامنة فيقول: " اشتغل على مذهب مالك ومهر... وكان مشكور السيرة كثير الاحتمال والإحسان" [2].

يمكننا أن نزن التراث العلمي والنتاج الثقافي لأي شخصية، من خلال النظر إلى مؤلفاته وما تحويه تلك المؤلفات من أطروحات علمية وآراء فكرية في مجالات لا تتصف بطبيعتها بالأحادية، كأن يكون التأليف في علم الفقه فقط أو العقائد أو علم آخر، بل تتعدى هذا المعنى لتشمل التنوع ولأكثر من مجال علمي .

ونرى هذا اللون من التأليف عند قاضي القضاة أبي إسحاق الحنفي المعروف بابن عبد الحق(ت ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)[3]، " كان إماما فقيها بارعا مصنفا، أفتى ودرس، وانتفع به الطلبة... وحسنت سيرته، وتفقه به جماعة من الأعيان، وله التصانيف المفيدة، من ذلك شرحه على الهداية وضمنه الآثار، ومذاهب السلف، واختصر السنن الكبرى للبيهقي في خمس مجلدات، واختصر كتاب التحقيق لابن الجوزي في مجلد، واختصر ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي حفص ابن شاهين في مجلد، وله المنتقى من فروع المسائل في مجلد، وله نوازل الوقائع في مجلد، وله

٧١١هـ/١٣٢٥م وأمر القاضي الشافعي أن يتخذ نائبا مالكيا من جهته فاستتاب القاضي بدر الدين بن رشيق ثم أعيد ابن مخلوف. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص١٢٧-١٢٨.

(١) رفع الاصر، ج١/ ص١٢٣.

(٢) الدرر الكامنة، ج٣/ ص١٢٧-١٢٨.

(٣) إبراهيم بن علي بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم، قاضي القضاة أبو إسحاق الحنفي المعروف بابن عبد الحق، مولده بدمشق، كان إماما فقيها بارعا مصنفا، أفتى ودرس، وانتفع به الطلبة، ودام على ذلك بدمشق إلى أن طلبه الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى القاهرة، وولي بها قاضي قضاة الديار المصرية، بعد وفاة قاضي القضاة شمس الدين الحريري، ودرس بالقاهرة، وأفاد وأشغل مدة إقامته بها. ينظر: ابن حجر، رفع الاصر، ج١/ ص٩-١٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/١٢٧-١٢٨.

إجازة الإقطاع، وله إجازة الأوقاف زيادة على المدة، ومسألة قتل المسلم بالكافر، وغير ذلك، وكان يقرئ في علوم كثيرة، وله مشاركة في الأدب وغيره"(١).

ومن هذا البيان يتضح لنا نبوغ هذا القاضي بالأمور الشرعية اولاً، ونشاط الجانب المعرفي لديه ثانياً، والذي يعد من أهم مقومات القاضي.

وذهب بعض المؤرخين الى ذكر منزلة المترجم له من القضاة، ومكانته العلمية، كأن يكون نبيها بالفقه، أو عارفا بالأصول، حسن التلاوة والسيرة، وكذلك مكانته لدى العامة والخاصة في الدولة، وهذا ما نجده في ترجمة، قاضي القضاة شهاب الدين بن الصالحي(ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)(٢) الذي وصف بأنه " كان إماما فقيها، عارفا بالأصول والفقه والفروع، أقام بحلب ثلاثا وثلاثين سنة، وهو مشكور السيرة، محببا إلى أهل بلده لعفته ولدينه، ولغزير علمه، ثم طلب إلى الديار المصرية فلبث بها مدة يسيرة، وولي قضاء الإسكندرية مسؤولا في ذلك، فتوجه إليها وباشر الحكم بها"(٣).

ومن القضاة محمود بن محمد الحنفي(ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م)(٤)، الذي أمتدح لأنه " كان حسن المباشرة مشكور السيرة، عفيفاً وله حرمة عند الترك وغيرهم"(٥). وهذا ما نجده في سيرة

---

(١) ابن تغري بردي ، المصدر نفسه، ج١/١٢٧-١٢٩.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عمر، قاضي القضاة شهاب الدين الصالحي الحنفي، قاضي القضاة بالإسكندرية. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٠٨-٢٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٠٩.

(٤) محمود بن محمد بن إبراهيم بن سنبلي الحنفي، تفقه ومهر في المذهب وناب في الحكم عن جمال الدين ابن العديم ثم ولي قضاء حلب عوضاً عن محب الدين ابن الشحنة وذلك في سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م فباشر مدة يسيرة ثم انفصل ثم عاد واستمر إلى أن مات . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٣٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٣٣.

القاضي محي الدين المدني (ت ٨١٨هـ/١٤١٥م)[١] الذي " كان ديناً فاضلاً عفيفاً، كثير التلاوة، متنسكاً ورعاً، مشكور السيرة"[٢].

اما قاضي دمشق يحيى بن حسن الحيحاني(ت ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)[٣] فقد" كان مشكور السيرة في أحكامه مع فضيلته، له تعاليق جيدة وعلق بأطرافه بعض جذام فصبر"[٤].

ونلحظ أن المقريزي ينقد أقرانه المعاصرين من القضاة بالفاظ تبين موقفه السلبي منهم" فلم يزل على سوء السيرة "[٥]، " فلم تحمد سيرته"[٦]، وان بعض هؤلاء القضاة قد ترددوا على المقريزي وهو في دمشق، وقد صحب بعضهم واطلع على سيرتهم، فقد ذكر المقريزي أن القاضي احمد بن عبد الله بن شهاب الدين النحريري المالكي(ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)[٧]، الذي أصبح من القضاة الذين عينهم الملك الظاهر برقوق على المماليك الشامية، فولاه قضاء المالكية بمدينة طرابلس الشام ، فباشر القضاء أسوأ مباشرة، وكان كما قيل:

---

(١) أحمد بن الحسين بن إبراهيم، القاضي محي الدين، الدمشقي، كان والده من المدينة النبوية، ثم رحل إلى دمشق واستوطنها، وولد له أحمد، فنشأ بدمشق، وطلب العلم، وتولى كتابة الإنشاء، وصحب القاضي بدر الدين محمد بن مزهر، وصحب القاضي فتح الدين فتح الله كاتب سر الديار المصرية، فاستكتبه في الإنشاء وعول عليه في المهمات السلطانية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٨٨-٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٨٩.

(٣) يحيى بن حسن بن محمد بن عبد الواسع المحيوي الحيحاني، نسبة لحيحانة بليدة في المغرب – المغربي المالكي قاضي دمشق. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص٢٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١٠/ ص٢٢٥.

(٥) درر العقود، ج١/ ص١٦٧-١٦٩.

(٦) المصدر نفسه، ج١/ ص٣٦٦.

(٧) أحمد بن عبد الله النحريري شهاب الدين القاضي المالكي، قدم إلى القاهرة وهو فقير جداً، فاشتغل وأقرأ الناس في العربية، ثم ولي قضاء طرابلس فسار إليها، فنالته محنة من منطاش ضربه فيها بالمقارع وسجنه بدمشق، فلما فر منطاش رجع إلى القاهرة، فسعى إلى أن ولي قضاء المالكية في المحرم سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر،ج١/ ص٢٥٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٧٢-٢٧٣.

لقد كشف الإثراءُ منك خلائقاً ... من اللؤم كانت تحتَ ثوْبٍ من الفقر[١].

" فلم يزل على سوء السيرة حتى صرف في يوم العشرين من ذي القعدة فلم تكتمل له سنة، فساءت سيرته في مباشرته، وقبحت أحدوثته بما أظهر من خسة النفس وضعة القدر وخبث العنصر ولؤم الطباع، الى أن أخذه الله بالموت سنة ثلاثة وثماني مئة غفر الله له، فلقد رافقته في مباشرته، فكان من أقبح ما رأيت سيرة وأسوأ من عرفت سريرةً " [٢].

ومن الملاحظ أن المقريزي في هذه العبارات انتقد شخصاً معاصراً له نقداً لاذعاً دون خوف من أهله أو مريديه، وهذا ما يصعب القيام به في عالمنا اليوم لوجود محددات اجتماعية ومحاذير قانونية.

أما ما جاء في كتاب رفع الإصر عن هذا القاضي فنصه " وكان يتغانى لبس الصوف القُبرصي، بحيث كان يتغالى في ذلك، فلا يلبس منه إلا ما يستعمل له بالعناية والرعاية، فاتفقت له كائنة بطرابلس... وكان قبيح الفعل والصفة، مشوه الخِلْقة والمنطق، مبغضاً إلى رفقته ومن دونهم، من وجوه البلد وأعيانها وعَوامِّها، فحضر يوماً مجلساً عند السلطان، فتكلم بجفاء وسوء أدب، فأقيم ثم عزل بعد أيام، فكانت ولايته عشرة اشهر"[٣].

أما رأي ابن تغري بردي في هذا القاضي فقد اعتمد على آراء المقريزي فيه وختم ترجمته له بالقول: " فباشر القضاء أسوأ مباشرة إلى أن صرف قبل أن يكمل السنة"[٤].

وهكذا اتفق ثلاثة من ابرز مؤرخي عصر المماليك على انتقاد هذا القاضي نقداً سلبياً بما لا يدع مجالاً للشك في انه كان سيء السلوك والسيرة.

ونلحظ أن المقريزي أحياناً عندما ينقد شخصية ما، يذكر ايجابياتها، والعلم الذي وصل اليه، وبعدها يذكر سيرته وسلوكياته الأخلاقية، فعندما ذكر معاصره القاضي احمد بن إسماعيل

---

(١) الابشيهي، المستطرف ، ج١/ ص٤٢٤.

(٢) درر العقود، ج١/ ص١٦٧-١٦٩.

(٣) ابن حجر، رفع الإصر، ج١/ ص٢٠.

(٤) المنهل الصافي، ج١/ ص٣٥٣.

بن خليفة بن خليفة بن عبد العال، شهاب الدين بن عماد الدين الحسباني الدمشقي القاهري الشافعي(ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م)(١)، قال :" ... والذي تفقه على يد أبيه وغيره، وطلب بنفسه فأكثر جدا بدمشق والقاهرة، ولم يزل يسمع حتى سمع ممن دون شيوخه، مع ذكاء وتفنن، وكتب تفسيرا أجاد في تهذيبه لو كمل، وعلق على(الحاوي) في الفقه شرحا، وشرح(الفية ابن مالك) في النحو، وكان بارعا فيه، أخذه عن ابي حيان، وناب في الحكم بدمشق مدة، ثم ولي قضاء القضاة بها غير مرة فلم تحمد سيرته، وكان لا يزال يخرج على السلطان، ويترامى على الشر، ويلج في مضائق الفتن حبا في الرياسة" (٢).

واختلف ابن تغري بردي بعض الشيء عن المقريزي في تقييم شخصية هذا القاضي حيث قال: " كان إماما عالما فقيها، بارعا في الفقه، والعربية، والحديث، وغير ذلك، أفتى ودرس سنين، وولي قضاء القضاة الشافعية بدمشق وخطابتها غير مرة، وقدم القاهرة مرارا عديدة" (٣).

وهنالك من القضاة ممن اتصفوا بسيرة علمية حسنة، لكن أخذ عليهم بعض السلوكيات الخاطئة، ومن بينهم قاضي قضاة الديار المصرية عبد الرحمن بن علي التفهني، المصري الحنفي(ت ٨٣٥هـ/١٤٣١م)(٤)، وليها بعد رغبة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن الديري،"

---

(١) أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال، قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس الدمشقي الشافعي المعروف بابن الحسباني، مولده في سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م واشتغل في حياة أبيه وبعده، وأخذ عنه وعن غيره وسمع الكثير وقرأ بنفسه، وطلب الحديث فأكثر من الأجزاء والمسانيد، ومهر في الفن وضبط الأسماء واعتنى بتحرير المشتبه وكتب بخطه أشياء، وناب في الحكم. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٤٢-٢٤٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص١٥٣.

(٢) درر العقود، ج١/ ص٣٦٦.

(٣) المنهل الصافي، ج١/ ص٢٤٢.

(٤) عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن، قاضي القضاة زين الدين ابو هريرة التفهني المصري الحنفي، ولد سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م، صار من قضاة دمياط، ثم طلب العلم ولازم خدمة العلامة بدر الدين محمود الكلستاني قبل ان يلي كتابة السر، وناب في الحكم مدة طويلة، ثم ولي القضاء استقلالا بالديار المصرية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ ص١٩١-١٩٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٩٨.

وكان حسن العشرة، كثير العصبية لأصحابه، عارفاً بأمور الدنيا عارفاً بمخالطتهم، على أنه يقع منه في بعض الأمور لجاج شديد يعاب به ولا يستطيع أن يتركه"[١].

وينقل لنا ابن تغري بردي تفاصيل عن شخصية القاضي التفهني، وجانب من حكمه وقضيته مع شخص يدعى الميموني، فيقول: " وكان فقيهاً عالماً، متبحراً في المذهب، بصيراً في الأحكام إلا أنه كان سيئ الخلق... وكان يظهر عليه الغضب بسرعة، فكان إذا حنق اصفر وجهه وارتعد... وواقعته مع الميموني مشهورة من حكمه بسفك دمه، وعقد بسبب ذلك مجالس، والميموني يحاججه عن نفسه ويقول له: اتق الله يا عبد الرحمن، أنسيت قبقابك الزحاف وعميمتك القطن، فلما يسمع التفهني هذا ذلك يرجف ويقول حكمت بسفك دمك، والتفت إلى قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر لينفذ، فقال له ابن حجر على مهل حتى يسكن غضب قاضي القضاة، فعند ذلك انفض المجلس ونجا الله الميموني من يده إلى أن مات الميموني المذكور بأجله وثبت جنونه، وله أشياء من هذه المقولة، عفا الله عنه وغفر له " [٢]. وهكذا بين لنا ابن تغري بردي جزئية من سلوك هذا القاضي تدخل ضمن باب السلبيات.

أما قاضي قضاة مصر، محمد بن احمد بن يوسف السفطي الشافعي (ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)[٣]، فذكره ابن تغري بردي بأنه : " صاحب العظمة بأوله والأهوال بآخره ... وكان غير مشكور السيرة في أفعاله وأحواله، مع كثرة عبادة وتلاوة" [٤].

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٩٨.

(٢) المنهل الصافي، ج٧/ ص١٩٣-١٩٤؛ الدليل الشافي، ج١/ ص٤٠١-٤٠٢.

(٣) محمد بن أحمد بن يوسف بن حجاج، قاضي القضاة ولي الدين السفطي الشافعي، ولد سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م، وأخذ الفقه عن الجلال البلقيني، والبرهان البيحوري، والنحو عن الشطنوفي، ولازم العز بن جماعة، والعلاء البخاري، وولي مشيخة الجمالية عن نور الدين علي بن الشيخ ولي الدين العراقي، ثم ولي قضاء القضاة بالديار المصرية. السيوطي، نظم العقيان، ج١/ ص٤٧.

(٤) الدليل الشافي، ج٢/ ص٥٩٩.

أما أحواله فقال عنها السخاوي: " وأظهر في أيام عزه وولايته من شراسة الخلق وحدة المزاج والبطش وبذاءات اللسان أموراً يستقبح ذكرها هذا مع التعبد والاجتهاد في العبادة ليلاً ونهاراً، من تلاوة القرآن، وقيام الليل والتعفف عن المنكرات والفروج، حتى إنه كان في شهر رمضان يختم القرآن الكريم في كل ليلة في ركعتين، وأما سجوده وتضرعه فكان إليه المنتهى، وكانت له أوراد هائلة دواماً، فكان بمجرد فراغه من ورده يعود إلى تسلطه على خلق الله وعباده... ولا زال على ذلك حتى نفرت القلوب منه، وكثر الدعاء عليه، حتى لقد شاهدت بعض الناس يدعو عليه في الملتزم بالبيت العتيق في هدوء الليل" [١]. وعلى الرغم من أن السخاوي بالغ في ذكره لمسألة ختم المترجم للقرآن في ركعتين، الا أنه رسم صورة واضحة عن ازدواج في سلوك هذا القاضي، فعلى الرغم من أنه فقيه ويعلم ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، لكنهُ على الرغم من تعبده المشهود له، فأنه يصب جام غضبه على الناس ظلماً ويسيء التعامل معهم.

وذكر السخاوي ان سبب التعبد والظهور بهذا المظهر هو بقصد الانتفاع بجاهه تزاحم الفضلاء في حضور درسه ببيته[٢].

أما السيوطي فقد ذكره اجمالاً بقوله: " ولي قضاء القضاة بالديار المصرية، ثم عزل وأهين"[٣].

وفي بعض الأحيان يصف ابن تغري بردي صاحب الترجمة بألفاظ نقدية مختصرة بدون تفصيل تعبيرا عن حالته، وهذا ما يخص قاضي قضاة ديار مصر، محمد بن يوسف الركراكي المغربي المالكي، قاضي قضاة ديار مصر، مات قاضيا بحمص في سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م، كان غير مشكور السيرة.[٤]

---

(١) الضوء اللامع، ج٧/ ص١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٧/ ص١٢٢.

(٣) نظم العقيان، ج١/ص٤٧.

(٤) الدليل الشافي ،ج٢/ ص٧١٣-٧١٤.

ونستنتج من ذلك أن بعض من تولوا منصب قاضي القضاة كان لهم أفعال وسمعه سيئة، وهذا ينافي مكانة هذا المنصب الذي يعد من أركان الحياة الإدارية وموضوعه:" التحدث في الأحكام الشرعية وتنفيذ قضاياها، والفصل بين الخصوم، ونصب النواب للتحدث فيما عسر عليه مباشرته بنفسه، وهي أرفع الوظائف الدينية، وأعلاها قدراً، وأجلها رتبةً"(١).

كما يصفها ابن شاهين الظاهري بقوله: " وقضاة القضاة أعظم الأركان وقعاً وأعمها نفعاً، وعليه مدار مصالح الأمة عقلاً وشرعاً، والقصد بهم نصب ميزان العدالة في الأحكام، وفصل القضاء بين الأنام عند الخصام"(٢)، كما يقوم قاضي القضاة بالإشراف على جميع القضايا المتعلقة بمهامه كإمامة المسلمين في الصلاة والإشراف على دار الضرب(٣).

وفي أكثر الأحيان نلاحظ أن المؤرخين يصفون القضاة بعبارة تكون مختصرة ولكنها تحمل معنى كبيراً مثل: لفظ(سيء السيرة)، ومنهم: إسماعيل بن محمد بن محمد بن عبد الله بن هانئ اللخمي الغرناطي(ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، ولي قضاء المالكية بحماة، وهو أول مالكي ولي القضاء بها، ثم قضاء الشام، ثم أعيد إلى حماة، ثم دخل مصر، فاقام يسيرا، وشرح تلقين أبي البقاء في النحو، وقطعة من التسهيل، وكان يحفظ من الشواهد كثيرا جدا، ولم يكن في المالكية بالشام مثله في سعة علومه، فساءت سيرته جداً (٤).

ذكره السيوطي بقوله: " وبالغ ابن كثير في الثناء عليه، وقال كثير العبادة وفي لسانه لُثغة في حروف متعدده ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه استتاب ولده، وكان سيء السيرة جدا "(٥). وربما ما ذكره ابن كثير كان أحد أسباب اتهامه في انه سيء السيرة، وذلك انه عين ابنه نائباً في القضاء.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٤ / ص ٣٥.
(٢) زبدة كشف الممالك ، ص٩٠.
(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٩ / ص ٣٤-٣٥.
(٤) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٨١.
(٥) بغية الوعاة، ج١/ ص٤٥٦.

وكذلك القاضي احمد بن علي بن عبد الله بن علي، الحنبلي القاضي شهاب الدين ابن الحبال الطرابلسي(ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، ولي القضاء بطرابلس، وصار أمر البلد إليه، وكان يقوم على الطلبة ويرد عنهم، ويتعصب لعقيدة الحنابلة، ثم نوه به ابن الكويز[١] فنقل إلى قضاء دمشق، فدخلها سنة ٨٢٤هـ/١٤٢٠م، فاستمر إلى أن صرف في سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م ، بسبب ما اعتراه من ضعف البصر والارتعاش وثقل السمع، وكانت الأمور بسبب ذلك تخرج كثيرة الفساد، وكان مع ما أصابه كثير العبادة ويلازم صلاة الجماعة، وكان منصفاً لأهل العلم قليل البضاعة في الفقه؛ ورحل إلى طرابلس فمات بها سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م[٢].

أما ما ذكره السخاوي عنه فقد اعتمد فيه على مؤرخ شامي اذ قال: " قال التقي بن قاضي شهبة: وكان قد باشر مباشرة رديئة باعتبار أنه كان لا يبصر ولا يهتدي لشيء ففسد النظام وأثبت أشياء مزمنة ومع ذلك مشت لكونه في نفسه جيداً والنائب وغيره يعتقدونه فهلك بسبب ذلك خلق كثير واستفتى عليه علماء الشافعية والحنفية والحنابلة فأفتوا بعزل القاضي بالعمى وآخر أمره لم يبق له فهم ولا بصر إلا اليسير، كل ذلك مع كثرة عبادته على كبر سنه وإلمامه بالحديث وكونه ليس في الفقه بذاك"[٣]. ان اعتماد السخاوي على مؤرخ شامي هو ابن قاضي شهبة(ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م) في نقل ترجمة قاضي شامي من طرابلس، يحسب في صالحه كونه يتحرى المصادر المعاصرة والقريبة زماناً ومكاناً.

ومن القضاة من كان يتصف بأنه كثير التزوير والتعلق على أملاك الناس ووظائفهم بالتزوير، ومنهم : القاضي ناصر الدين ابن خطيب نقيرين الشافعي... واشتغل قليلاً، وترامى على الدخول في المناصب إلى أن ولي قضاء حلب سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م ، فباشرها مباشرة

(١) هو القاضي علم الدين داود ابن الكويز من مواليد الكرك من أسرة ذميه يهودية حديثة العهد بالإسلام وكان أباه من كبار الكرك النصارى. المقريزي، السلوك، ج٤/ ص٦٤٣، ص٦٥٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢١٣؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣/ ص٢٠.

(٢) ابن حجر، انباء الغمر، ج٢/ ص٧٢.

(٣) الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٦.

سيئة، فعزل بعد سنة ونصف وتوجه إلى القاهرة ليسعى من اجل الحصول على منصب ما، فأعاده السلطان الظاهر إلى الأمير تغري بردى نائب حلب فحصلت له محنة وإهانة وحبس بالقلعة، ثم عاد إلى القضاء في سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م، فباشرها قليلاً، ثم صرف بعد سنة، واستمر ينتقل في البلاد بطالاً إلى أن عاد إلى ولاية قضاء حلب، ثم عزل ثم ولي قضاء دمشق مرة، وطرابلس أخرى، ثم سجن(١)، وكان ابن خطيب نقيرين قليل البضاعة كثير الجرأة كثير البذل والعطاء إلا أنه يتعانى التزوير بالوظائف والدور ينتزعها من أهلها بذلك(٢).

وأضاف السخاوي على ما ذكره قائلاً انه: " وكان كريماً سمحاً إلا أنه كثير التزوير والتعلق على أملاك الناس ووظائفهم بالتزوير، ولم يكن مشكور السيرة في الأحكام بحلب سيما في ولايته الأولى"(٣). وهكذا فأن هذا القاضي كان لا يصلح للقضاء بسبب عدم تمكنه فقهياً، ولذلك فانه تمكن عن طريق البذل والرشاوى ان يحصل على المنصب، ولكنهُ على الرغم من ذلك امتلك العقارات عن طريق التزوير.

ومن القضاة من كان يتصف بأنه قليل العلم وبالأخص في الفقه باعتباره اساس في اصدار الاحكام القضائية، ومن هؤلاء القضاة ابو عبد الله السعدي الاخنائي الدمشقي الشافعي(ت ٨١٦هـ/١٤١٣م)(٤)، ولي قضاء غزة ثم حلب في سنة سبع وتسعين، ثم دمشق، ثم الديار

---

(١) المصدر نفسه، ج١٠/ ص١٤-١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١٠/ ص١٤-١٥.

(٣) الضوء اللامع، ج١٠/ ص١٥.

(٤) محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة الشمس أبو عبد الله السعدي الأخنائي الدمشقي الشافعي. ولد سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٥م بدمشق، وكان يذكر أنه من ذرية شاور وزير الفاطميين. المقريزي، السلوك، ج٣/ ص١٦٧؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤١٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٩/ ص١٣٦.

المصرية مراراً ثم لدمشق فوليها مراراً أيضاً ثم امتحن غير مرة[١]، ووصفه المقريزي بقوله:" وكان قليل العلم" [٢].

ووصفه ابن حجر بقوله: " وكان شكلاً ضخماً حسن الملتقى كثير البشر والإحسان للطلبة عارفاً بجمع المال كثير البذل له على الوظائف والمداراة للأكابر مع قلة البضاعة في الفقه وربما افتضح في بعض المجالس لكن بذله وإحسانه يستره"[٣].

ونقده السخاوي معتمداً على أقوال بعض سابقيه فيه كقول المؤرخ ابن خطيب الناصرية: " كان شكلاً حسناً رئيساً ذا همة عالية وحشمة "[٤]. وعلى قول المقريزي في" إنه كان عار من العلم تردد إلى دمشق مراراً وصحبته بها وكان من رجال الدهر العارفين بطرق السعي وأما الآخرة فما أحسب له فيها من نصيب إلا أن يشاء ربي شيئاً إنه غفور رحيم عفا الله عنه"[٥]. وهذا القاضي شبيه لسابقه من حيث قلة العلم واستخدام الرشاوي في الحصول على المناصب.

نستشف مما ذكر عن القضاة ويمكن تسجيل بعض الامور منها: ان القضاة كانوا من اكثر الشخصيات المترجمة التي انتقدها مؤلفوا التراجم المصريين، وقد يعود ذلك الى حساسية منصب القضاء وكونه على مساس مباشر بحياة الناس ومصالحهم، وكون فساد القضاة وظلمهم للرعية هو خلاف الغاية من وجود ذلك المنصب وهو احقاق الحق والحكم بالعدل بين الناس، ومنها ايضاً ان المؤرخين ركزوا في نقدهم للقضاة على مدى أحقيتهم للمنصب واهليتهم له من الناحية العلمية، ومدى التزامهم بشروط منصب القضاء وأهمها الحكم بالعدل بين المتخاصمين.

---

(١) السخاوي، المصدر نفسه، ج٩/ ص١٣٦.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣/ ص١٦٧.

(٣) انباء الغمر، ج١/ ص٤١٣.

(٤) الضوء اللامع، ج٩/ ص١٣٦-١٣٧.

(٥) الضوء اللامع، ج٩/ ص١٣٦-١٣٧.

الفصل الثاني

نقد الطبقة الإدارية

المبحث الأول: نقد الوزراء

المبحث الثاني: نقد كاتب الإنشاء

المبحث الثالث: نقد المحتسبين

المبحث الرابع: نقد ناظر الجيش

تميز حكم المماليك البحرية والبرجية بقيام تنظيمات إدارية جديدة اعتمدت في إدارتها على طبقة من الموظفين الكبار مارسوا حق التصرف في كل الأمور السلطانية الإدارية التي يتولون مهامها.

فأعتمد هذا الجهاز الإداري الضخم الذي عرفته دولة المماليك على مجموعة كبيرة من الدواوين كان يديرها موظف خاص عرف باسم ناظر او رئيس(١) وله ميزانية خاصة وعدد من الموظفين يتبعونه وينفذون أوامره، وقد استمرت هذه الدواوين في النمو والتطور طوال عصر سلاطين المماليك، حتى صارت لها أوضاعها الثابتة ونظمها الراسخة وتقاليدها الموروثة أداريا وتنظيميا، ومن أهم هذه الدواوين وأكثرها انعكاساً على استقرار السلطنة هي ديوان الاحباس(٢)، وديوان الخاص(٣)، وديوان الإنشاء(٤).

---

(١) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٩٨؛ النابلسي، لمع القوانين، ص٢٠-٢٥.

(٢) ديوان الأحباس: وهي وظيفة عالية المقدار وموضوعها أن صاحبها يتحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة وما هو من ذلك على سبيل البر والصدقة لأناس معينين. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤/ ص٣٩.

(٣) لقد انبثق هذا الديوان عن ديوان النظر، فقد كان يشرف على شؤون السلطان المالية ومراقبة الخزانة السلطانية والانفاق على شؤون الدور السلطانية. ينظر: القلقشندي، المصدر نفسه، ج١/ ص ٤٦؛ المقريزي، الخطط، ج١/ ص٨٧.

(٤) ديوان الإنشاء: وهو من الدواوين المهمة، فمنه صياغة الكلام وترتيب المعاني في المكاتبات والولايات والمساحات والاطلاقات، وسمي أيضاً بديوان الرسائل أو ديوان المكاتبات، أما كاتب الإنشاء فهو ما يشير الى توقيع كُتّاب الإنشاء على الرسائل الإدارية التي استعملت من أهل الديوان أو صاحب التوقيع لتوقيعه على حواشي القصص والرقع التي تخرج من دركاه السلطان، أو ديوان الوزير، أو حتى صاحب الديوان. ينظر: القلقشندي، المصدر نفسه، ج١ / ص٩٠.

أما فيما يتعلق بسلطة الوزير فان الغياب واضح في نفوذه وتقلص مسؤولياته حتى أن سلطاته أصبحت لا تتعدى النظر في أمور الدولة المالية مشاركة مع ناظر الدواوين[١][٢].

ومن النظم الإدارية هي الحسبة وكانت في مدن الإسلام وظيفة جليلة كالقضاء، وهي تابعة للخلافة، ولكن منذ أن انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة في أيام المماليك، واصبحت جميع السلطات بيد السلطان، فأن الأخير كان هو الذي يولي الوظائف الدينية بما فيها الحسبة[٣].

وأن هذا المنصب كان يليه المتعممون أي العلماء، لأنه كان يشترط فيمن يتولاه ان يكون عارفا بإحكام الشريعة، ولكن هذا المنصب انحط في أغلب عصر المماليك على سمو مكانته، بسبب فساد المماليك، حتى صار أقل الوظائف[٤].

وفي هذا الفصل سنبحث النقد الموجه من قبل مؤرخي التراجم المصريين للوظائف والمؤسسات الادارية والقائمين عليها ونبدأها بمنصب الوزارة.

---

(١) ناظر الدواوين: يقوم بنظر الدواوين المعمورة والصحبة الشريفة ومهمتهُ التحدث في الاموال وتفقد صرفها وله يُرفع أليه حسابها لينظر فيه ويدققه، فضلا عن مساعدته للوزير في تسيير أعمال وزارته. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤/ ص٣١ ؛ دهمان، معجم الالفاظ ، ص ١٥٠.

(٢) ينظر: المقريزي، السلوك،ج٥/ ص١٠٠؛ عاشور، مصر في العصور الوسطى، ص٨٢.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص١٢٨.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى،ج١١/ ص٢١١.

المبحث الأول

نقد الوزراء

الـــــوزارة: لغـــة واصطلاحـــاً

اختلفت المصادر في اشتقاق لفظ الوزارة، فقيل إنها مأخوذة من (الوزر)[١] بكسر الواو وسكون الزاي كما في قوله تعالى{ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ}[٢]. وهو بمعنى الثقل لأن الوزير يحمل عن الخليفة أو السلطان أو الملك أعباء الدولة والحكم[٣].

وقيل إنها مأخوذة من (الوَزَرَ) بفتح الواو والزاي وهو الملجأ والمعتصم[٤]. كما في قوله تعالى{ كَلاَّ لا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [٥]، لأن الخليفة أو السلطان يلجأ إلى رأيه وتدبيره ومعونته عند نزول الشدائد ووقوع النوائب، وقيل إن اللفظ مشتق من الأزر[٦]، وهو الظهر كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام { وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} [٧]، وقيل قد تكون الكلمة مأخوذة من (المؤازرة)[٨]. وقال القلقشندي أن الوزارة مشتقة من الأوزار وهي الأمتعة[٩].

ولم يقتصر المؤرخون المصريون على ترجمة وزراء العصر المملوكي، بل أرخوا لسابقيهم ومن ذلك قول ابن تغري بردي في وصف الوزير نصير الدين البغدادي(

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٧ / ص١٤٥.

(٢) سور الشرح، اية ٢-٣.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٠٨.

(٤) الماوردي، أدب الوزير ، ص٩ ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص١٥٣.

(٥) سورة القيامة، آية ١١-١٢.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٥ / ص٧٣.

(٧) سورة طه، الآية ٢٩-٣٢.

(٨) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٣.

(٩) صبح الاعشى، ج٥ / ص ٤٤٨.

ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م)[1]، حيث قال:" وربما قرأ القرآن كله وهو قائم من أول الليل إِلَى السحر... فلما قبض عَلَى القمي نائب الوزارة خلع عَلَيْهِ خلعة الوزارة وركب إِلَى الديوان فِي موكب الوزارة، وصارت الأمور كلها بيده ينفذها ويدبرها بذهن ثاقب وسياسة وعقل ودربة، ولَمْ تزل طريقته محمودة وأموره مرضية وهو أعلى الناس منزلة عند الخليفة، فإنه كانت بينه وبين الخليفة رضاع، وكان جيد الخط رشيق القد، والعبارة"[2].

وبهذا نجد أن ابن تغري بردي قد انتقد هذا الوزير انتقادا إيجابيا لسياسته في إدارة هذا المنصب من الناحية السياسية، أما من الناحية الدينية فقد نوه إلى حفظه للقرآن.

ثم لم يكتف المؤرخون بذكر الصفات الحسنة وإنما أشاروا الى ذكر انعكاسات السلوك الشخصي للوزير على ادارة الوزارة، ومن ذلك ما ورده ابن تغري بردي في ترجمة الوزير فخر الدين ابراهيم الشيباني(ت٦٩٣هـ/١٢٩٣م)[3]، ما نصه: " كان قليل الظلم، فيه إحسان للرعية... وذكره غير واحد وأثنى عليه بالعلم والفضل، وكان له نظم ونثر"[4].

---

(١) أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن الناقد، الوزير الرئيس أبو الأزهر بن أبي السعادات البغدادي، نشأ فِي السعادة والنعمة، وحفظ القرآن العزيز وجوده وأتقنه، واشتغل وتفقه، ولازم ابن شبيب الواسطي النحوي حَتَّى برع فِي ذَلِكَ ثُمَّ عانى الكتابة والبلاغة ومهر فيهما، ونظم ونثر وغلب عَلَيْهِ الدين والتقوى، وكَانَ يكثر من التلاوة فِي المشاهد والمزارات ليالي الجمع. ينظر:الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣/ ص٤٢؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٥٣-١٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص١٥٤-١٥٥.

(٣) إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد، الوزير الكاتب فخر الدين الشيباني الإسعردي، ولد سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٥م، تنقل في الخدم، وباشر في جهات، ونالته السعادة والتقدم وطال عمره، ولي وزارة الصحبة للملك السعيد، ثم وزر مرتين للملك المنصور، وناب عنه في ديوان الإنشاء، ثم إنه خدم في ديوان الإنشاء في الدولة الصالحية وهلم جرا إلى أوائل الدولة الناصرية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٣٦-١٣٧.

(٤) المنهل الصافي، ج١/ ص١٣٧-١٣٨.

وذهب بعض المؤرخين الى ذكر منزلة المترجم له ومكانته، كنحو قول ابن حجر في ترجمة الوزير شهاب الدين البارزي(ت ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)[١]، النص الاتي:" رجل جيد كثير البر والتودد والتواضع من بيت كبير... وكان حسن الملتقى والود من بيت مشهور... كانت له ديانة متينة وسيرته مشكورة"[٢].

ونلاحظ في ترجمة الوزير ابن زنبور (ت ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)[٣]،:" كان عنده رئاسة وكرم على ذويه، وكان جماعة للأموال والأملاك حتى صار يضرب بسعادته المثل، ومع هذا كان عنده تواضع وحشمة، وحلم"[٤].

أما فيما يخص النقد السلبي فنلاحظ أن المؤرخين المصريين عندما ذكروا نقدهم للوزراء المصريين استعملوا ألفاظ تشير الى الظلم والقبائح والمعاصي، وأحيانا يكتفون بلفظ غير مشكور السيرة.

---

(١) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حبان بن محمد ابن منصور بن أحمد، القاضي الصاحب شهاب الدين أبو العباس الجهني الحموي الشافعي، المشهور بابن البارزي، نسبة إلى باب ابرز أحد أبواب بغداد، وكان أصله أبرزي ثم خفف لكثرة الدور فقيل البارزي، نزيل دمشق، مولده في شوال سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، تولى الوزر بمدينة حماه، وولي نظر الأوقاف بدمشق، توفى بظاهر دمشق. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص١٧٨؛ السيوطي، نظم العقيان، ج١/ ص٥٧.

(٢) الدرر الكامنة، ج١/ ص١٧٨.

(٣) عبد الله بن أحمد بن إبراهيم، الوزير الصاحب علم الدين ابن تاج الدين الشهير بابن زنبور، القبطي المصري، كان وزيراً، ثم ولي نظر جيشها ونظر الخاص، اجتمعت له هذه الوظائف الثلاثة معاً ولم تجتمع لأحد قبله، ولما اجتمعت هذه الوظائف له عظم في الدولة، ونالته السعادة. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٦٦؛ ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٧/ ص٦٩-٧٠.

(٤) المنهل الصافي، ج٧/ ص٧١.

اذ نلاحظ ذلك في وصف الوزير عبد الكريم ابن الرويهب (ت٧٤٨هـ/١٣٨٢م)[١] حيث وصف بأنه: " كان خاملاً في ولايته، غير مشكور السيرة في مباشرته"[٢].

ورصد بعض المؤرخين السلوك العام لبعض الوزراء، وميزوا بين السياسة الإدارية، والسلوك الأخلاقي المتدني ، ومن هؤلاء الوزير ابن أبي شاكر عبد الوهاب (ت ٨١٩هـ/ ١٤١٩م)[٣]، فنلاحظ أن المقريزي ذكر محاسنه قائلاً: "فباشر الوزارة مباشرة مشكورة، وضبط تعلقاتها ضبطا جيدا، فهابته الكتاب وخافوا منه لما يعرف به من تمكنه في الصناعة" [٤].

---

(١) عبد الكريم بن الرويهب، الصاحب الوزير كريم الدين القبطي المصري، وزير الديار المصرية، وزر ثلاث مرات، ولم يرزق السعادة في وزارته، وحصل له محن، ونكب غير مرة، ثم عزل ولزم داره إلى أن توجه إلى بلاد الصعيد بسبب رزق له فمرض بها، وانحدر في مركب عائداً إلى القاهرة فمات بها. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ ص٣٥١-٣٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٥٢؛ الدليل الشافي،ج١/ ص٤٢٦.

(٣) عبد الوهاب بن عبد الله المدعو ماجداً بن موسى بن أبي شاكر أحمد بن أبي الفرج إبراهيم تقي الدين بن الفخر بن التاج بن العلم بن التاج المصري الحنفي، ولد سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م ونشأ في حجر السعادة واشتغل بالفقه وغيره وتميز في الكتابة وتنقل في المباشرات إلى أن باشر نظر ديوان المفرد حتى مات، وكذا باشر استادارية الأملاك، والمستأجرات والأوقاف وعظم عند الناصر بحسن مباشرته، ثم ولي نظر الخاص بعد موت المجد بن الهيصم، ثم قرر في الوزارة بعد صرف التاج بن الهيصم . ينظر: المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص٣٦٦-٣٦٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ ص٣٨٣-٣٨٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص١٠٢.

(٤) درر العقود، ج٢/ ص٣٦٨-٣٦٩.

لكنه يعود فيقول عنه:" إلا أنه كان منهمكا في اللذات التي لا تباح تحليلا، ماكرا، سيء الباطن، غدارا، عريقا في الظلم، ولم يكن له همة سوى بطنه وفرجه، ولولا خلو الوقت لما كان أهلاً للسيادة، ومع ذلك فلم يخلف بعده مثله في معرفة الكتابة والمباشرة بجلب المال"(١).

ومقارنة مع ما ذكره عنه المؤرخ ابن تغري بردي نقرأ نقداً ايجابياً لا اشارة سلبية فيه :" وكان رحمه الله حسن الإسلام، جيد الاعتقاد في الفقهاء والصالحين، وكان يتجنب النسوة النصارى ويكره دخولهن إلى داره، وهذا أمر عظيم في الأقباط، ومن فعل ذلك منهم يكون قوي الإيمان، وكان فيه الخير، وعمر مدرسة بين السورين ظاهر القاهرة، ووقف عليها عدة أوقاف، وعمر الرباط بمكة مقابلة باب جياد – أحد أبواب المسجد الحرام – ولم يكمله"(٢).

بينما ذكره السخاوي قائلا: " فباشرها– اي الوزارة– مباشرة حسنة وشكره الناس كلهم وحدث في وزارته الوباء فلم يشاحح أحداً في وارثه بحيث كثر الدعاء له ولكن لم تطل مدته بل مات بعد تسعة أشهر وذلك يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة سنة تسع عشرة وكان بعيداً من النصارى متزوجاً من غيرهم وهي علامة حسن إسلام القبطي سيما مع كثرة فعله الخير والصدقة ومحبته في أهل العلم وأن كان منهمكاً في اللذات شديد الوطأة على العامة موصوفاً بالدهاء وبالجملة فقد باشر الوزارة برفق لم يعهد مثله وكان عارفاً بالمباشرة جيد الكتابة"(٣). وهكذا نجد السخاوي قد مزج بين ترجمتيّ المقريزي وابن تغري بردي له.

ونستنتج مما سبق أن هذا الوزير كانت له المقدرة والمؤهلات في النظم الإدارية أي في اختصاصه، وبالأخص في مهنة الكتابة، ولكن نلاحظ أن المقريزي قد ركز على سلوكه وأعطاه وصفاً اخلاقياً ودينياً، وأن هذه الصفات السيئة لا تؤهله لهذا المنصب، لولا خلو تلك المرحلة من الرجال الذين يمكن أن يشغلوا تلك المناصب لكان هو بعيداً عن الوزارة.

---

(١) المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص٣٦٨-٣٦٩.

(٢) المنهل الصافي، ج٧/ ص٣٨٣-٣٨٤.

(٣) الضوء اللامع، ج٥/ ص١٠٣.

ولا نعول على رواية ابن تغري بردي لأنه لم يعاصره، إذ توفى هذا الوزير ولم يزل ابن تغري بردي طفلا صغيرا، ورواية المقريزي هي الأقرب الى الصحة لأنـه عـاش معـه فـي القاهرة، فضلا عن توليه منصب الحسبة الذي يتيح له معرفة الشؤون الإداريـة مـن أصـحاب القرار.

ونلاحظ أن مؤرخي مصر خلال القرن التاسع الهجري، عندما ينتقـدوا الـوزراء المصـريين يستخدمون ألفاظاً تشير الى الظلم والشرور، وكذلك يذكرون ألفاظاً تعبر عن أن صاحب الترجمة لا يصلح لشئ، أو ليس لديه أي مؤهلات لهذا المنصب، أو خبرة أو تجربة تكون له سلاحاً فـي منصبه، وكذلك نلاحظ قضية تكرار الألفاظ التي تدل على حرص الشخصية المنتقده على جمـع الاموال بشتى الطرق سواء أكانت مشروعة أم غير مشروعة.

فالمقريزي قال عن الوزير تاج الدين الأرمني(٨٢١هـ/ ١٤١٨م)(١): "فوضع السيف في العرب وأسرف في سفك الدماء وأخذ الأموال، وتجاوز الحد والمقدار والظلم، ثم طلب الزيادة في العلو والفساد في الأرض، فبذل للناصر أربعين ألف دينار، فولاه وظيفة الاستادارية عوضا عن الأمير تاج الدين عبد الرزاق ابن الهيصم في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثمان مئة، فوضع يده في الناس بأخذ أموالهم بغير شبهة من شبه الظلمة حتى دخل الرعب على كل بريء... وسر الناس بعزله سرورا كثيرا"(٢).

---

(١) عبد الغني بن عبد الرزاق بن ابي الفرج، الأمير الوزير المُشير الاستادار وكاشف الوجه البحـري مـن الأمير الوزير الاستادار تاج الدين الارمني الأصل، كان جده من جملة النصارى الارمن واسلم، وكان أبـوه ممن ولي الوزارة والاستادارية، وولد فخر الدين هذا في شوال سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، وعـرف الحسـاب، وكتب الخط الجيد فلما نقل أبوه من ولاية قطيا الى الوزارة في الايام الظاهرية برقوق ولاه السلطان موضعه في قطيا، فباشر ولاية قطيا ونظرها مدة وزارة ابيه، ثم صرف عنها وأعيد اليها عدة مرار في الأيام الناصرية فرج ابن الظاهر برقوق. ثم ولي كشف الشرقية في سنة ٨١٣هـ /١٤١٠م. ينظر: المقريزي، درر العقـود، ج٢/ ص ٣٠٤-٣١١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٢٤٨-٢٤٩.

(٢) درر العقود، ج٢/ ص ٣٠٤-٣١١.

لكن للأسف لم يوجه المقريزي نقداً للسلطان الناصر فرج الذي اطلق يـد هـذا الـوزير فـي مصائر الناس ظلماً وعدواناً، وباع له منصب الوزارة بيعاً.

وأضاف المقريزي قائلاً:" وكان جبارا، قاسيا، شديدا، جلدا، عبوسا، بعيدا عن الترف، قتل من عباد الله مالا يحصى، وخرب إقليم مصر بكماله، وأفقر أهله ظلما وعتوا وفسادا في الأرض ليرضي سُلطانهُ، فأخذه الله أخذا وبيلا، ولعذاب الآخرة أخزى، نسأل الله العافية"(١). ويلاحـظ أن المؤرخ فسر نهايته تفسيراً دينياً.

ونقده ابن تغري بردي بقوله: " لا ينكر عليه ما كان يفعله من الظلم والجور، فإنه كان من بيـت ظلم وعسف، وكان عنده جبروت الأرمن، ودهاء النصارى، وشيطنة الأقباط، وظلم المكسة، فإن أصله من الأرمن، وربي مع النصارى وتدرب بالأقباط، ونشأ مع المكسة بقطيا، فاجتمع فيه من قلة الدين وخصائل السوء ما لا يوصف كثرة، لعمري هو أحق بقول القائل:

مساوئ لو قسمن على الغواني ... لما مهرن إلا بالطلاق(٢)

قيل إنه لما دفن بمدرسته سمعه جماعة من الصوفية وغيرهم وهو يصيح في قبره، وتداول هـذا الخبر على أفواه الناس، قلت: وما خفاهم أعظم إن شاء الله تعالى، فلله الحمد والمنة بهلاك مثـل هذا الظالم في عنفوان شبيبته إذ لو طال عمره لكان ظلمه وجوره يملأ الأقطار"(٣). وتقليل ابـن تغري بردي لظلم هذا الوزير كما هو واضح من قراءة السطور اعلاه كان تفسيراً آخر مفاده ان النشأة بين متولي جمع المكوس الاقباط هي التي جعلت منه ظلوماً.

وهنا تدخل الأساطير والخرافات للتشفي بالوزير الميت ومحاولة التنقيب عما تحمله الناس مـن ظلم بسببه وردعاً لمن يحاول ان يقوم بما قام به ثانية.

---

(١) المصدر نفسه، ج٢/ ص ٣٠٤-٣١١.

(٢) الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ج٤/ ص٤٠٧. وفي الديوان وردت كلمة(جُهّزن) بدلا من كلمة (مهرن).

(٣) المنهل الصافي، ج٧/ ص٣١٧.

وفي كتاب آخر له قال ابن تغري بردي عنه: " كان من الظلمة المشهورين، وهو أحـــد أســـباب خراب بلاد الصعيد... وكان من المفسدين في الأرض، فأراح الله العباد منه، والله يلحق به مـــن بقى من أقاربه، لتنقطع هذه السلالة النجسة من بين المسلمين"(١)، ونأخذ على ابن تغري بـــردي اصداره حكماً مطلقاً على اسرة كاملة هي اسرة ذلك الوزير إذ لا تزر وازرة وزر اخرى، فـــلا يمكن أن يأخذهم بجريرته.

أما ما ذكره السخاوي عنه فنصه : " فوضع السيف في العرب وأسرف في سفك الـــدماء وأخـــذ الأموال فلما قبض على مخدومه، واستقر ابن الهيصم في الاستادارية عوضه بذل الفخر أربعين ألف دينار، واستقر في ربيع الآخر سنة أربع عشرة مكانه، ولم يلبث أن صرف في ذي الحجـــة منها بعد أن سار سيرة عجيبة من كثرة الظلم وأخذ الأموال بغير شبهة أصلاً والاســـتيلاء علـــى حواصل الناس بغير تأويل ففرح الناس بعزله وعوقب"(٢).

ويتضح مما ذكر أن في هذا الوزير عدة صفات منها، صفة دينية، قليل الدين، وصفة أخلاقيـــة، أنه فاسق متجاهر بالمعاصي، مشهوراً بالظلم، والسر في تماديه بظلم الناس وأخذ اموالهم عنـــوة هو سكوت السلطان الناصر عن ظلمه وعدم القيام بردعه، والسبب انه اشترى المنصـــب مـــن السلطان بمبلغ كبير مما اطلق يديه في ظلم الناس واتباع وسائل شتى في جمـــع المـــال مـــنهم، وسيرة هذا الوزير شبيه بسيرة الوزير ابن محب الدين المشير(٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)(٣)، إذ " كـــان

---

(١) الدليل الشافي،ج١/ ص٤٢٠-٤٢١.

(٢) الضوء اللامع، ج٤/ ص٣٤٩.

(٣) الحسن بن عبد الله، المعروف بابن محب الدين الطرابلسي، الأمير بدر الدين المشير، الوزير الأســـتادار، كان أبوه من مسالمة طرابلس، وكان ممن تعاني الخدم في الديوان، ونشأ ولده على ذلك إلى أن اتصل بخدمة الأمير شيخ المحمودي نائب طرابلس، ولزم خدمته حتى صار شيخ المذكور كافل مملكة الخليفة المستعين بالله العباس أخلع عليه بأستدارية السلطان بالديار المصرية، وتولى نيابة اسكندرية عوضاً عن خليل التوريزي ثـــم عزل وأعيد إلى الاستادارية، وكان قد ولي الوزارة أيضاً في الدولة المؤيدية في وقت. ابـــن تغـــري بـــردي، المنهل الصافي، ج٥/ ص٨٥-٨٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٠٢.

رجلاً طوالاً، ظالماً، مسرفاً على نفسه، منهمكاً في اللذات، قليل الخير كثير الشر، وكــان ينــوع الظلم في أخذ الأموال فأخذه الله من حيث يأمن"[1]. بينما ذكره السخاوي بقوله: " وكــان ظالمــاً منهمكاً في اللذات قليل الخير كثير الشر، وأنه كان أهوج ظالماً عسوفاً طماعــاً"[2]. يلاحــظ أن السخاوي اعتمد في نقدهِ لهذه الشخصية على ترجمة ابن تغري بــردي لــه، غيــر أنــه تــرك الاوصاف الجسدية له والعيوب الخلقية لأنه اعتنى بالسلوك الشخصي دون الأوصاف الظاهريــة التي لا تعني هذا المؤرخ.

وكــذلك مــا جــاء فــي وصــف الــوزير الصــاحب تــاج الــدين بــن الهيصــم (ت ٨٣٤هــ/١٤٣٠م)[3]،" كان شيخاً، للطول أقرب، وبإحدى عينيه خلل وعنده إقدام وجرأة، مع ظلم وعسف، لم تشكر سيرته في ولاياته"[4].

ووصفه في كتابه الآخر بقوله:" كان من كبار الظلمة الأقباط وأنجاسهم"[5] بينما وصفه السخاوي قائلاً:" كان شيخاً مقداماً جريئاً مع ظلم وعسف ولذا لم تشكر سيرته في ولاياته"[6].

---

(١) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٥/ ص٨٥-٨٨؛ الدليل الشافي،ج١/ ص٢٦٣.

(٢) الضوء اللامع، ج٣/ ص١٠٢.

(٣) عبد الرزاق بن إبراهيم تاج الدين بن سعد الدين القبطي المصري، يقال انه من ذريــة المقــوقس، ولــد بالقاهرة ونشأ بها فتميز في المباشرة وتنقل في الخدم إلى أن ولي كتابة المماليك في أيام الناصر فرج وكــان أحد الأسباب في نكبة الجمال الاستادار واستقر بعده في وظيفته وذلك في سنة اثنتي عشرة ثم بعد الاستادارية ولي الوزر؛ ووقعت له كوائن فيهما إلى أن عزله المؤيد واستمر في داره بطالاً إلى أن استقر به الأشرف في نظر المفرد مع الزين عبد القادر بن عبد الغني ابن أبي الفرج الاستادار فلم ينتج أمره وعزل وتعطــل حتــى مات. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ ص٢٥٤؛ السخاوي، المصدر نفسه، ج٤/ ص١٩١.

(٤) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٥٤.

(٥) الدليل الشافي ،ج١/ ص٤١١.

(٦) الضوء اللامع، ج٤/ ص١٩١.

وشخص لنا السخاوي حالة الضعف والفساد التي انتهت اليه الوزارة، فقد اعتلى هذا المنصب الاداري المهم في الدولة المملوكية متعهد اللحم، وهذا ما نجد في الوزير محمد البباوي(ت ٨٦٩هـ/١٤٦٤م)[١] اذ قال:" لزم طريقته في الفحش والإفحاش... وبالغ في الظلم والعسف والجبروت والاستخفاف بالناس ومزيد المصادرة والإقدام على الكبير والصغير وغير ذلك مما هو مستفيض... وبالجملة فكان من مساوئ الزمان"[٢].

ويعود موقف السخاوي من هذا الوزير، ان منصب الوزارة يعد من ارفع واجل المناصب، فلا يجوز ان يعتليه شخص بمثل هذه الصفات، فضلاً عن ظلمه للرعية[٣].

ونسجل مما تقدم ان اعتلاء البباوي منصب الوزارة يعكس اثاراً سلبية على الواقع الاداري في ذلك العهد.

---

(١) محمد البباوي، نسبة لببا الكبرى من الوجه القبلي، كان فيها خفيراً وراعياً وقدم القاهرة فخدم بعض الطباخين، ثم عمل صبياً عند –عبد القادر الطباخ ويعرف بابن إبراهيم؛ كان طباخاً بالقلعة فصاهره البباوي على أخته– ثم ترقى فصار معاملاً ، رجل واشتهر بين الأكابر فولاه السلطان نظر الدولة طمعاً في ماله وتزياً بزي الكتبة وتسمى بالقاضي بعد المعلم مع كونه عامياً جلفاً ثم رقاه إلى الوزر ولم يعلم وليه أوضع منه مع كثرة من وليه من الأوباش في هذا القرن. السخاوي، المصدر نفسه، ج٦/ ص١٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٦/ ص١٧٩.

(٣) ضاحي، الفساد الاداري، ١٠٢–١٠٣.

المبحث الثاني

نقد كاتب الإنشاء

ازدهر فن الكتابة وبلغ الكتاب منازل رفيعة لدى سلاطين المماليك حتى بلغت مكانة الكتاب وقاربت منازل اصحاب السيوف وكبار القضاة، وقد كان رئيس الكتاب هو صاحب ديوان الإنشاء، وهو من الدواوين المهمة، فمنه تتم صياغة الكلام وترتيب المعاني في المكاتبات والولايات والمساحات والاطلاقات ومناشير الاقطاعات[١] وسمي أيضاً بديوان الرسائل أو ديوان المكاتبات[٢]، اما كاتب الإنشاء فهو ما يشير الى توقيع كُتّاب الإنشاء على الرسائل الإدارية التي استعملت من أهل الديوان أو صاحب التوقيع لتوقيعه على حواشي القصص والرقع التي تخرج عن السلطان، أو ديوان الوزير، أو حتى صاحب الديوان، وكاتب الدست[٣][٤].

وقد وصف النابلسي ديوان الإنشاء بقوله: " ديوان الإنشاء عظيم المقدار كثير الأخطار وهو خزينة الأسرار شريف بمراسلة السلطان"[٥]. فهو على جانب خطير الأهمية في إدارة شؤون الحكم والإدارة، لأن مهمته كانت مرتبطة بالمكاتبات الرسمية الخاصة بالدولة وهي المكاتبات التي ترد إلى السلطان من خارج الدولة وداخلها[٦].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ / ص٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١ / ص٩٠.

(٣) الدست كرسي من أربعة كراسي لكتاب يكتبون بما يريده السلطان ويضعون توقيعهم بدله بأذنه نيابة عنه وترسل للتنفيذ. صبح الأعشى، ج ١/ص٥٢-٥٣؛ دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٧٥.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١/ ص٥٢-٥٣.

(٥) لمع القوانين ، ص٢٤.

(٦) المقريزي ، الخطط ، ج٢/ ص٢٢٦.

أما متوليه فقد كان يطلق عليه اسم صاحب ديوان الإنشاء[1]، وكان يولى من قبل السلطان بتوقيع شريف على أن يكون من خاصته ومن الموثوق بهم ليطالعه بخفايا أمور المملكة مما قد يخفيه النائب عن السلطان، وبرأيه يستضاء في مشكلاتها وعلى تدبيره يعول في مهماتها وإليه ترد المكاتبات وعنه تصدر ومن ديوانه تكتب للولايات السلطانية كافة ويقوم توقيعه على القصص في نفوذ الأوامر مقام توقيع السلطان وجميع ما يعلم عليه السلطان من جليل وحقير في مزرته حتى ما يكتب من ديوان الجيش من المناشير وما يكتب من ديوان الوزارة وديوان الخاص وغيرهما [2].

ونظرا لأهمية هذا الديوان وخطورته، فقد كان متوليه يختار من أرفع الناس طبقة، ومن الذين يتصفون بالمروءة والحشمة، ويتمتعون بمستوى علمي وفني ولغوي جيد[3]، فضلاً عن معرفته بآيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم ﷺ وأن يكون عارفا بسير الخلفاء والملوك ملما بتواريخ الأمم[4].

---

(١) وربما جمع لفظ الديوان تعظيما لمتوليه فقالوا صاحب دواوين الانشاء بالممالك الإسلامية لان لفظ ناظر الديوان أعلى من لفظ صاحب الديوان. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ / ص١٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١ /ض١٣٦-١٣٧.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٨ / ص١٩١ ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٤٣٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣/ ص١٠٣؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٩٩.

(٤) النابلسي ، لمع القوانين، ص٢٤؛ الظاهري، المصدر نفسه، ص٩٩.

وهذا ما نجده عند ابن تغري بردي في وصف الكاتب إسماعيل بن إبراهيم التنوخي المعري(ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م)[١]، حينما قال: " وكان متميزاً في كتابة الإنشاء، جيد النظم، ديناً متصوناً، صحيح السماع، من بيت كتابة وجلالة "[٢].

وامتدح بعض المؤرخين الكاتب ابن القيسراني(ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)[٣] فقد ذكره ابن تغري بردي بقوله: " كانت له همة عالية، وفضل غزير، وذات لطيفة، ونفس شريفة، ونظم ونثر، ودرس بالفخرية على مذهب الشافعي"[٤].

وقال ابن حجر مادحاً الكاتب عبد الله بن جعفر التهامي عفيف الدين أبو جعفر(ت ٧١٤هـ/ ١٣١٤م)[٥] فقد ذكره بقوله:" ومهر في الآداب وقال الشعر الحسن وكتب للمؤيد باليمن، وكان

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أبي المجد، مسند الشام تقي الدين شرف الفضلاء أبو محمد التنوخي المعري الدمشقي، ولد سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وسمع الحديث من عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ، وابن ياسين الزولعي الخطيب، وحنبل، وابن طبرزد، والكندي، وأجاز له جماعة وروى الكثير، واشتهر وتفرد بأشياء كثيرة، وكان كاتب الإنشاء لنور الدين الشهيد، وكتب هو للناصر داود. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٣٨٣-٣٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٨٤.

(٣) عبد العزيز بن محمد وقيل عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد، القاضي عز الدين أوب محمد بن شرف الدين أبي عبد الله بن الصاحب فتح الدين أبي بكر بن الصاحب عز الدين أبي حامد المخزومي الحلبي، كاتب الإنشاء بالديار المصرية، المعروف بابن القيسراني، ولد سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م ، وهو من بيت كبير في الشاميين وسكن مصر، وولي تدريس المدرسة الفخرية بالقاهرة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣١٧؛ ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٨٥.

(٥) عبد الله بن جعفر التهامي عفيف الدين أبو جعفر، أحد كتاب الإنشاء للملك المؤيد صاحب اليمن، ولد قبل سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٠م. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٢٥٣.

يملي على أربعة أنفس قريضاً من فيه على وفق غرض مستدعيه من غير لعثمة ولا فأفأة ولا تمتمة في أوزان مختلفة وقوافي غير مؤتلفة"[١].

أما الكاتب ابن فضل الله(ت٧١٧هـ/ ١٣١٧م)[٢] فقد ذكره ابن تغري بردي بقوله:" كان إماماً فقيهاً، كاتباً بليغاً، أديباً مترسلاً، كتب المنسوب الفائق، وتنقل في الخدم حتى صار صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية مدة طويلة، وكان مخاديمه يعظمونه ويحترمونه مثل: الملك الأشرف خليل ابن قلاوون [٣]، والملك الناصر محمد بن قلاوون[٤]، والملك حسام الدين لاجين[٥]، وكان

---

(١) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٥٣.

(٢) شرف الدين ابو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله القرشي العدوي، العمري، ولد سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م بدمشق، وهو أول كاتب سر ولي بديار مصر من بني فضل الله، وهو أن الملك الأشرف خليل بن قلاوون لما تغير على كاتب سره عماد الدين إسماعيل بن الأثير قال لنائبه الأمير بدر الدين بيدرا: انظر لي غيره، وكان الأمير لاجين السلاح دار حاضراً، فذكر شرف الدين المذكور وأثنى عليه، فاستقر به في كتابة السر بالديار المصرية. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ص٣٨٧-٣٨٨.

(٣) خليل ابن المنصور قلاوون حكم مصر ثلاث سنوات ما بين(٦٨٩ – ٦٩٣هـ/ ١٢٩٠ – ١٢٩٢م) وفي ايامه كانت الحروب قائمة على ساقها مع الافرنج في سواحل الشام فجلاهم منها وفتح عكا، توفى قتيلاً على يد احد امرائه. ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٥/ ص٢٧٠-٢٧٢؛ علي مبارك، الخطط التوفيقية، ص٣١.

(٤) محمد بن السلطان قلاوون : هو الابن الثاني للسلطان قلاوون لقب بالناصر و قد ولد الناصر محمد سنة ٦٨٤ هـ /١٢٨٤ م تولى حكم البلاد و هو صغير السن حكم عرش السلطنة المملوكية بعد مقتل أخيه الأشرف خليل . ينظر: ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٨ /ص١٨٢.

(٥) حسام الدين لاجين : وأصل لاجين مملوك للملك المنصور قلاوون اشتراه ورباه وأعتقه ورقاه إلى أن جعله من جملة مماليكه، فلما تسلطن أمره وجعله نائباً بقلعة دمشق، وكان احد الأمراء الطامحين الذين اشتركوا في تدبير مقتل السلطان ينظر: السخاوي، الضوء الامع، ج٦/ ص٢٣٢-٢٣٣.

الأمير تنكز نائب الشام[1] في كل قليل يذكره، ويجعل أفعاله قواعد يمشى عليها، وكان كاملاً في فنه، أحسن من كتب عن ملوك الأتراك"[2].

ونلاحظ مما تقدم أن شهرته الأدبية فاق بها أقرانه في هذه الصناعة، لذلك نال احتـــرام وتعظـــيم السلاطين الذين أشتغل معهم جميعاً.

ولهذا نلاحظ أن ابن حجر يصف كاتب الانشاء زين الدين عبد الرحمن بن الخضـــر بـــن عبـــد الرحمن السنجاري ثم الحلبي(ت ٧٤٤هـــ/١٣٤٤م) بقوله: " كان من الفضلاء له نظم ونثر مـــع دماثة الخلق ومحبة العلماء وأهل الحديث"[3].

وكذلك وصف الكاتب محمد بن يحيى بن فضل الله بدر الدين ابن محيي الدين كاتـــب الســـر(ت ٧٤٦هـــ/ ١٣٤٥م)[4] بقوله:" كان عاقلاً ساكناً كثير الصمت حسن السيرة أحبه الناس"[5].

---

(١) تنكز يكنى أبا سعيد جلب إلى مصر وهو صغير فاشتراه الأشرف وأخذه لاجين بعده ثم صار إلى الناصر فأمره عشرة، ثم كان في صحبته بالكرك يترسل بينه وبين الأفرم فاتهم الأفرم مرة أن معه كتباً إلـــى أمـــراء الشام ففتشه وعرض عليه العقوبة فرجع إلى الناصر وشكا إليه ما لاقاه من الإهانة فقال له إن عدت إلى الملك فأنت نائب الشام . ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤/ ص١٥٦-١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٨٧.

(٣) الدرر الكامنة، ج٢/ ص٣٢٨.

(٤) محمد بن يحيى بن فضل الله بدر الدين ابن محيي الدين كاتب السر، ولد سنة ٧١٠هـــ/١٣١٠م، وتعانى صناعة أبيه وكان في خدمته بدمشق ومصر استكتبه أخوه في توقيع الدست بدار العدل وأرسله أخـــوه عـــلاء الدين إلى دمشق فباشر كتابة السر بها عوضاً عن أخيه شهاب الدين وذلك في رجب سنة ٧٤٣هـــــ/١٣٤٢م، وهو شقيق شهاب الدين وكان أحب إخوته إليه وإلى أبيه وسد بدر الدين الوظيفة عن أخيه علاء الدين لما توجه إلى الكرك. ينظر: ابن حجر، المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٨٢.

والكاتب عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي شمس الدين أبو محمد(ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)[١] الذي " مهر في الإنشاء وكان حسن الأخلاق والكتابة مليح المحاضرة كريم النفس"[٢].

ثم لم يكتف المؤرخون بذكر الصفات الحسنة وإنما أشاروا الى ذكر انعكاسات السلوك الشخصي في ادارة المنصب، ومن ذلك ما أورده ابن تغري بردي في ترجمة كاتب الانشاء علاء الدين بن فضل الله(٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)[٣] ما نصه: " وفضل القاضي علاء الدين مشهور، وانعامه مأثور، وهو من بيت كتابة وفضل ورئاسة وعراقة، رآى في ولايته من العز والسعادة، ووفور الحرمة، ونفاذ الكلمة، وخضوع الممالك، وانقياد الجمهور له مالا مزيد عليه"[٤].

ثم لم يكتف المؤرخون بذكر الصفات الحسنة وإنما اشاروا الى ذكر الكفاءة الأدبية، ومن ذلك ما ورد في ترجمة ابن الكويز(ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢١م)[٥] الذي نعت بأنه:" كان مهاباً إلى الغاية

---

(١) عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي شمس الدين أبو محمد، كاتب الانشاء بحلب ولد سنة بضع وسبعمائة. ينظر: ابن حجر، المصدر نفسه، ج٢/ ص٣١٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٣١٠.

(٣) علي بن يحيى بن فضل الله بن المجلي بن دعجان بن خلف القاضي علاء الدين ابو الحسن القرشي العدوي العمري، صاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية، ولد سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م ولي كتابة السر بعد والده القاضي محيي الدين، فباشر الوظيفة بقية الايام الناصرية، وايام اولاده: المنصور ابو بكر، والاشرف كجك، والناصر احمد، والصالح اسماعيل، والمظفر حاجي، والناصر حسن، والصالح صالح، والمنصور محمد بن حاجي، والاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، حتى مات. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٨/ ص٢٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٨/ ص٢٤١.

(٥) داود بن عبد الرحمن، الرئيس علم الدين بن زين الدين المعروف بابن الكويز الكركي، كان أبوه من كتاب الكرك النصارى، فأظهر الإسلام، وباشر عدة جهات بالكرك ودمشق والقاهرة، آخرها نظر الدولة، باشر نظر جيش طرابلس، واتصل بخدمة شيخ المحمودي، فولاه جيش دمشق، فقبض عليه في سنة ٨١٢هـ/١٤١٠م ثم

متمكناً في الدولة، موثوقاً به فيها، بحيث أنه مات ولا أحد أعلى رتبةً منه"(١). وهكــذا اســتخدم المقارنة مع الآخرين للمدح وبيان مكانة المترجم بالنسبة لاقرانه.

وعلى الرغم من غياب الكفاءة الأدبية في شخصيته التي هي من السمات الأساسية إلا أن دهــاءه السياسي، وحنكته الإدارية سوية ساعدت هذا النصراني في الاستحواذ على جملة من الوظــائف في الدولة قبل الوصول إلى رئاسة ديوان كاتب السر.

أما فيما يخص النقد السلبي، فقد تدهورت حال كتابة السر أيام ولاية كل من جمال الدين يوســف ابن صفي السالمي الكركي، وشمس الدين محمد الهروي، ونجم الدين عمر بــن حجــي علــى التوالي، إلى أسوء حالها في تاريخ هذه الولاية، بسبب قوة إدارة السلطان الأشرف برسباي مــن جهة، وجهل بعضهم بخصوصيات هذه الوظيفة وأسرارها من جهة أخرى.

فكان السالمي جمال الدين يوسف بن الصفي(ت ٨٥٦هـــ/ ١٤٥٢م)(٢)، قد تولى أولا كتابة السر بالديار المصرية في الخامس من شوال سنة(٨٢٦هــ/١٤٢٢م) بعد موت سلفه علم الــدين داود ابن الكويز السالمي، وحصل عليها نظير مبلغ مالي دفعه للسلطان الأشرف برسباي(٣)، إلا أنــه

أفرج عنه، وما زال في خدمة الشيخ حتى قدم به إلى مصر؛ فولي نظر الجيش، ثم ولاه ططر كتابــة الســر عوضاً عن القاضي كمال الدين البارزي، وذلك في سنة ٨٢٤هــ/ ١٤١٩م. ينظر: ابن تغري بردي، المنهــل الصافي، ج٥/ ص٢٨٩-٢٩٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3/ ص٢١٢.

(١) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٥/ ص٢٩٠.

(٢) كان جمال الدين يوسف بن صفي الكركي من أسرة مسيحية حديثة العهد بالإسلام من أهل الكرك، عمــل والده كاتبا عند قاضيها عماد الدين إلى ان توفى، فخلفه ولده جمال الذي صحب القاضي عماد الــدين الــى القاهرة واتصل بعلم الدين داود اليهودي أيام نظارته لديوان الجيش والذي توسط عند الملك المؤيد شيخ لينقله من كِتابة الشام إلى نظر الجيش بطرابلس، ثم عاد إلى القاهرة في أخر أيام السالمي ابن الكويز فحسنت علاقته بالأشرف برسباي والذي وعد بمال كبير إذا ولي كِتابة السر بالديار المصرية. المقريزي، السلوك، ج ٤/ص ص٦٤٢-٦٤٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص٣١٨.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤/ ص ص٦٤٢-٦٤٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٢٥٦.

سرعان ما عزل عنها في التاسع من ربيع الأول سنة٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م، ولم يمضِ مستقرا فيها سوى ستة اشهر، بعد أن ظهر عجزه في كِتابة جواب لكِتاب ورد على السلطان من بعض ملوك الأقطار الإسلامية يشتمل على نظم ونثر وفصاحة وبلاغة، كان الأشرف برسباي قد أراد من كاتب سره جمال الدين أن يجيب بأحسن منه أو بمثله(١).

لقد وصف المقريزي ولاية السالمي، بأنها كانت من أقبح حوادث الدهر رؤية(٢)، فيما عدها ابن تغري بردي من غلطات الملك الأشرف وقبح جهله(٣)، لأن الرتب في رأيه صارت مقترنة بالباذل لا بالفاضل من الكُتّاب(٤). ويلاحظ هنا أن المقريزي لم يصرح بنقد السلطان بشكل مباشر ولم يسمه على خلاف ابن تغري بردي الذي كان نقده مباشراً وصريحاً وموجهاً لأسم السلطان نفسه، ولعل وراء ذلك ان المقريزي كان معاصراً لهذا السلطان، اما ابن تغري بردي فكان طفلاً حينها ولما ألف كتابه المنهل الصافي كان السلطان قد مات.

لقد خلع السلطان الأشرف برسباي على قاضي القضاة شمس الدين محمد الهروي في التاسع من ربيع الثاني سنة ٨٢٧هـ /١٤٢٣م وسلمه كتابة سر السلطنة بالديار المصرية، وهو على ما يظهر من لقبه مشرقي من أهل هراة(٥)، عاش ردحا من الزمن بالقدس، قبل أن يتوجه إلى مصر من أجل السعي لولاية ديوان كاتب السر فيها، واعداً السلطان بمال كثير إن عقدت الولاية باسمه(٦).

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤/ ص٦٤٣؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج٣/ ص٣٢٥.

(٢) السلوك، ج٤/ ص ٦٤٣.

(٣) النجوم الزاهرة، ج٤/ ص ١٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٤/ ص ١٠٩.

(٥) هراة : مدينة عظية مشهورة النسب من امهات مدن خراسان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص١٠٦-١٠٧.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٤/ ص٦٦٠، ابن حجر، انباء الغمر، ج٣/ص٣٢٥.

وهذا دليل آخر يثبت الفساد الإداري المتفشي في مرافق الدولة، اذ أصبحت المناصب تباع وتشترى من قبل أصحاب الأموال وليس لمن يمتلك المؤهلات الإدارية التي بموجبها يكون أهلا لتسلم زمام هذه المناصب[١]. والذي يمكن تسجيله هنا ان معظم مؤرخي التراجم المصريين في القرن التاسع الهجري انتقدوا ظاهرة الفساد الاداري آنذاك.

إلا أن شمس الدين الهروي سرعان ما أظهر ضعفه بالعمل أمام السلطان، كما شرح ذلك المقريزي حينما قال: " باشرها بتعاظم زائد، وطمع شديد، وجهل بما أوكل أليه، بحيث كان لا يحسن قراءة القصص ولا الكتب السلطانية"[٢]، فكان يتولاها عنه نائبه، وكاتب الدست، بدر الدين محمد بن مزهر[٣]، وربما كان ذلك لعدم إجادته للقراءة بالعربية بسبب أصوله الفارسية وعدم معرفته بالاصطلاحات المصرية الإدارية، فضلا عن أن المفاوضات في الوقت نفسه، كانت تجرى مع السلطان لحساب متطلع جديد لكِتابة السر هو قاضي القضاة بدمشق نجم الدين عمر ابن حجي(ت ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، الذي وعد بأنه إذا ما تمت مصادقة السلطان على ترشيحه للولاية خلفا للهروي المعزول فسيلتزم بدفع عشرة آلاف دينار للسلطان، ويضمن كذلك إقطاع ابن السلطان العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي (٨٤١-٨٤٢هـ / ١٤٣٨-١٤٣٨م) من حمايات[٤] علم الدين ابن الكويز ومستأجراته بألف وخمسمائة

---

(١) للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: ضاحي، الفساد الاداري، ص٥٥-وما بعدها.

(٢) السلوك، ج٣/ ص٢٨٢.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص١١٢.

(٤) هي المغارم التي يفرضها السلطان أو الأمراء على العقارات من ارض ونحوها نظير ما يقومون به من حماية الشخص الذي يدفع المال. ينظر: طرخان، النظم الإقطاعية ، ص٤٧٩.

دينار[1]، ولهذه الاسباب عزل الأشرف برسباي مجددا كاتب سره الهروي في جمادى الآخر سنة (٨٢٧هـ / ١٤٢٣م)[2]، بعد مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر في الولاية، مقابل استهجان المقريزي بهذه المناسبة لأداء الهروي واتهامه بالعجز عن أداء وظيفته في كِتابة السر والأكثر تحامله عليه بدافع التعصب كونه أعجميا، فيما دافع ابن تغري بردي عنه، موضحا أن تحامل المقريزي عليه يصح فقط في الأداء وحده، أما في علومه فكان أهل لذلك، ولأنه كان من العلماء الرؤساء[3].

أدى عزل شمس الدين الهروي بعد أيام من إصداره إلى تعين القاضي نجم الدين عمر ابن حجي في جمادى الآخر سنة(٨٢٧هـ /١٤٢٣م) الذي لم يفز بشيء من ولايته سوى شراء حياته في النهاية، ففي العام الأول من مباشرته كان ابن حجي قد دفع الى خزانة السلطان الأشرف برسباي خمسة آلاف دينار على دفعات، ثم طلب منه حمل ما تأخر عليه وهو ستة آلاف وخمسمائة دينار، فسأل ابن حجي السلطان مشافهة أن ينعم عليه بألف وخمسمائة دينار المقررة على إقطاع ابنه وتشكى من قلة محصولاته، فلم يجب السلطان سؤاله بل عمد إلى عزله من منصبه بكِتابة السر في العاشر من جمادى الآخر سنة(٨٢٨هـ / ١٤٢٤م)[4]،

---

(١) ينظر: المقريزي، السلوك، ج٤/ ص٦٦٤–٦٦٥؛ ابن حجر انباء الغمر، ج ٣/ ص٣٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص١١٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤/ ص٦٦٥؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج٣ / ص٣٢٥.

(٣) النجوم الزاهرة، ج ٤/ ص١١٢.

(٤) يعود سبب عزل ابن حجي أولا: إلى ورقة بعثها إلى السلطان الأشرف برسباي يشتكي فيها قلة محصولاته المالية للإقطاعات المقررة لديه وانه غرم من وقت توليته للديوان اثنا عشرة الف دينارا قسمت خمسة منها لخزنة السلطان، ويقصد به الأمير جاني بك الأشرفي ولباقي الامراء اربعة الاف

ثم أمر بالقبض عليه وسلمه إلى الأمير جاني بك الأشرفي ألدوادار[1][2]، الذي نفذ أمر سجنه في برج قلعة الجبل ثم حمل إلى بلدته دمشق ليكشف عن سيرته بها، فصودرت أمواله هناك، غير أن السلطان الأشرف برسباي افرج عنه في النهاية بعد أن وعد بدفع مبلغ غير محدد من الذهب[3].

نلاحظ من هذا النص أن الشخص المشار إليه كان يتظاهر أمام المجتمع بما يحسن صورته ويجعله محببا الى قلوب العامة، في حين كان يمارس ملذاته في خلوة من عامة الناس، وهذا ما أدى الى أن تتفرق أمواله. أن الشرح الوافي الذي قدمه المقريزي وغيره من مؤرخي التراجم

دينار، فقرأ السلطان الورقة امام الامير جان يبك الأشرفي والأمراء، وسألهم عن صحة مافيها، أجابوه بما لا يليق بكاتب سره، وما ان اجتمعوا به في قلعة الجبل عمل الأمير جانيك الأشرفي بالإيقاع به أمام السلطان، أما السبب الثاني: فيعود إلى ان ناظر الجيش عبد الباسط الذي استدعى باسم السلطان نائب الشام الأمير سودون عبد الرحمن بكِتاب منه بدلا من ان يبلغ كاتب السر ابن حجي ليكتبه هو، وقد وجد الاخير ذلك اعتداء على سلطته المرتبطة بسلطة السلطان فحنق عليه وأوقع بينه وبينا الأمير جاني الأشرفي حتى تأكدت العداوة بينهما، الذي حرص على العمل على عزله. المقريزي، السلوك، ج٤/ ص ٦٨٦؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج٣/ ص٣٤٣.

(١) هو من مماليك السلطان الأشرف برسباي وقد حظي عنده بمكانه متميزة فولاه إمارة الطبلخاناه وعينه داودارا ثاني حتى اجتمعت بيده الكلمة وصار صاحب الحل والعقد في دولة الأشرف برسباي. للمزيد عن سيرته ومكانته السياسية في الدولة. ينظر: المقريزي، السلوك،ج ٤/ ص ٦٨٥؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج ٣/ ص ٣٤٤؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج ٢ / ص١٧.

(٢) هي وظيفة إدارية شاملة الذي يليها غير جندي، وهي نوع من أنواع المباشرة فجعلها الملك الظاهر بيبرس على هذه الهيئة، غير أن الذي يليها أمير عشرة، وهي كلمة فارسية مكونة من مقطعين تعني ماسك الدواة، وقد أطلقت على مقدم البريد للسلطان. ينظر: المقريزي، الخطط، ج١/ص٦٦٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١/ص١٠٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج ٤/ ص٦٨٧.

عن سير بعض الاداريين وممارساتهم السيئة أثناء اعتلائهم للمناصب، انما هو بمثابة نقـد لهـم وللسلطان الذي ولاهم تلك المناصب.

المبحث الثالث

نقد ناظر الحسبة

الحسبة لغـــة واصطلاحاً:

الحسبة: لغوياً من تحسب الأخبار، أي تجسسها أو تحسسها، وهي اسم من الاحتســاب، ويقــال: فلان حسن الحسبة في الأمر، أي حسن التدبير والنظر فيه[١].

وبهذا فإن الاحتساب في اللغة له معنيان: أولهما: هو طلب الأجر والثواب عند الله، بالقيام بأنواع البر والخير، ابتغاء الأجر المرجو منها، كما يقال ان كلمة حسبة تعني الأجر أيضـا، ثانيهمـا: يعني الإنكار، كما لو قلنا: احتسب فلان على فلان، أنكر عليه قبيح عمله واسم الفاعل المحتسب أي طالب الأجر[٢].

ودليل مشروعيتها قوله تعالى:{ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٣]. وبهذا فهي وظيفة دينية قضائية ناصحة رادعــة، عرفهــا الماوردي بقوله:" الحسبة أمر بالمعروف إن ظهر تركه أو نهي عن المنكر إذا ظهــر فعلــه"[٤]. وقد رتبها القلقشندي في المرتبة الثالثة من الوظائف الدينية بعد قضاء العســكر[٥]، وافتــاء دار

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١/ ص٣١٦؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج١/ ص٤٨.

(٢) ابن سيدة، المخصص، ج٣/ ص١٦٣؛ ابن الاثير، النهاية في غريب الاثر،ج١/ ص٩٥٥.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

(٤) الأحكام السلطانية، ص٣١٦.

(٥) قضاء العسكر: وهي وظيفة جليلة قديمة كانت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وموضوعها أن صاحبها يحضر بدار العدل مع القضاة، ويسافر مع السلطان إذا سافر وهم ثلاثة شافعي وحنفي ومالكي وليس للحنابلة منهم حظ وجلوسهم في دار العدل دون القضاة الأربعة. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤/ ص٣٧.

العدل[١] [٢]، ولكن الحسبة تعدت المعنى الديني الخلقي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى واجبات عملية مادية، تتفق مع المصالح العامة للمسلمين، ويمكن القول بإن الحسبة أشبه بخدمة اجتماعية واقتصادية لسكان المدن[٣].

اشترط الفقهاء توفر صفات خاصة فيمن يراد توليته هذا المنصب[٤]، وهي كالآتي: أن يكون المحتسب مسلما حرا بالغا عدلا[٥] وأن لا يليها إلاّ عالم مجرب فقيه عارف بإحكام الشريعة الإسلامية[٦]، وأن يعمل بما يعلم، وأن لا يكون قوله مخالف لفعله، وأن يكون عفيفاً عن أموال الناس، متورعاً عن قبول الهدية، فإن ذلك رشوة[٧]، كما ينبغي أن يكون ذا رأي وخشونة، عارفاً بالموازيين والمكاييل والأرطال[٨]، لكي تجري بها معاملات الناس دون غبن أو تطفيف، مواضباً على سنن رسول الله (ص)[٩].

ويظهر أن بعض محتسبي العصر المملوكي ساروا سيرا حسنا، وتمتعوا بسمعة طيبة في مصر وخارجها، فذهب بعض المؤرخين الى ذكر منزلة المحتسب ومكانته، كنحو قول ابن حجر في

---

(١) إفتاء دار العدل: وموضوعها على نحو ما تقدم في قضاء العسكر وبها أربعة نفر من كل مذهب واحد وجلوسهم دون قضاة العسكر. ينظر: المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١١/ ص١١٩-٢٠٢.

(٣) ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥٦.

(٤) السامرائي ، المؤسسات الإدارية، ص٣٢٦.

(٥) ابن الأخوة ، معالم القربة، ص٧؛ النويري، نهاية الارب، ج٢/ ٢٥٦.

(٦) الشيزري، نهاية الرتبة ، ص٦.

(٧)الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٧٠؛ ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص١١.

(٨) الرَّطْل: الذي يوزن به ويكال، والرطل المصري هو مائة وأربعة وأربعون درهما وأوقيته اثنا عشر درهما وعنه يتفرع القنطار المصري وهو مائة رطل وتعتبر أوزان الطيب بها بالمن وهو مائتان وستون درهما وأواقيه ست وعشرون أوقية فتكون أوقيته عشرة دراهم. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣/ ص٥١١-٥١٢.

(٩) المصدر نفسه، ج٥/ ص٤٢٤.

ترجمة المحتسب محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي ابن الشيخ وجيه الدين(ت٧٤٦هـ/ ١٣٤٤م)[١] : " وكان ذكيا... جماعا للكتب... وكان صدرا رئيسا كثير الحشمة والمروءة حسن الشكل محبا لأهل العلم"[٢].

وهذا ما نجده ايضا في ترجمة إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان الحسيني الشريف النقيب(ت٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م)[٣] إذ قال المقريزي في حقه: " وكان رئيسا نبيلا حشما فخرا من بيت سؤدد ورئاسة، ولي حسبة دمشق فحمدت سيرته فيها"[٤]. وأحيانا نلاحظ أن المؤرخ كثيرا ما ينهي حكمه النقدي بعبارة موجزة ، يفهم منها ما يراد ولكن دون شرح أو تفصيل، ففي ترجمة محمد بن محمد المليحي الذي يعرف بصائم الدهر(ت ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م)[٥]، ولي نظر الأحباس والجوالي[٦]،" كان خيرا مُنقبضا عن الناس يصوم الدهر"[١].

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي عز الدين ابن الشيخ وجيه الدين، ولد في أول سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م، وولي حسبة دمشق ونظر الجامع، وهو والد الشيخة أم الحسن فاطمة التي أكثر عنها في رحلتي إلى دمشق. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٣٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٣/ ص٣٥٧.

(٣) إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان بن الحسن بن بشائر بن معالي بن عقيل، الحسيني، نقيب الاشراف بدمشق، ولد في سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م، ولي نقابة الأشراف والحسبة، وهو والد السيد علاء الدين علي كاتب السر بدمشق، وجد السيدين ناصر الدين محمد، وشهاب الدين احمد كاتب السر. المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٦٩-٧٠؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٤١.

(٤) درر العقود، ج١/ ص٦٩.

(٥) تاج الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر القرشي الاسدي الزبيري الشافعي المليجي المعروف بصائم الدهر، ولد بالقاهرة ، ولي نظر الحسبة بالقاهرة، وخطابة مدرسة السلطان حسن وغير ذلك. المقريزي، المصدر نفسه، ج٣/ ص١٩٥؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص١٨٣.

(٦) الجوالي: جمع جالية، وهي ما يؤخذ من أهل الذمة عن الجزية المقررة على رقابهم في كل سنة وهي على قسمين ما في حاضرة الديار المصرية من الفسطاط والقاهرة وما هو خارج عن ذلك، فأما ما بحاضرة الديار المصرية فإن لهذه الجهة بها ناظرا يولي من جهة السلطان بتوقيع شريف ويتبعه مباشرون من عامل وشهود وتحت يده حاشر لليهود وحاشر للنصارى يعرف أرباب الأسماء الواردة في الديوان ومن ينضم إليهم

وهــذا مــا نلاحظــه أيضــا فــي ترجمــة محمــود بــن محمــد بــن داود القســري (ت ٧٩٩هــ/ ١٣٩٦م)[٢] الذي " ولي الحسبة فسار فيها سيرة حسنة وأحبــه النــاس... ثــم استضاف إليه القضاء وكان رئيساً كاملاً وفاضلاً "[٣].

وبهذا نجد أن هذه الوظيفة كانت لها هيبتها ومكانتها في الشطر الأول من عصر المماليك، وكان المحتسب يحتل مكانة مهمة في المجتمع ويعد مسؤولا في نظر الناس عن حالة السوق، فإذا مــا كانت الأسعار معقولة والأسواق مستقرة كان المحتسب يلقى رضاء الناس عنه، والدليل على ذلك أنه تولى وظيفة القضاء إضافة الى الحسبة.

وإذا نظرنا إلى ترجمة ابن تغري بردي للمحتسب إبراهيم بن محمد، الرئيس صارم الدين بن الوزير ناصر الدين بن الحسام الصقري(ت ٨٣٣هــ/ ١٤٢٩م)[٤]، وجدناها كالآتي: " كــان عنده فضل وفضيلة، ويكتب الخط المنسوب، وله مشاركة ومحاضرة لطيفة، ومعاشــرة حلــوة، ويميل لأهل الأدب، وكونه من بيت رياسة يتزيا بزي الجند"[٥] .

ممن يبلغ في كل عام من الصبيان، ومن يقدم إلى الحاضرة من البلاد الخارجة عنها ويعبر عنهم بالطارئ ومن يهتدي أو يموت ممن اسمه وارد الديوان. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣/ ص٥٣٠.

(١) المقريزي، درر العقود، ج٣/ ص١٩٥.

(٢) محمود بن محمد بن داود القسري جمال الدين الحنفي المعروف بالعجمي ، قدم القاهرة ، وتوصل بصحبة الأمراء إلى مقاصد كثيرة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٣٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٣٥.

(٤) إبراهيم بن محمد بن لاجين الرئيس صارم الدين بن الوزير ناصر الدين بن الحسام الصقري، ولي حسبة القاهرة في اواخر أيام المؤيدة شيخ، نشأ طالباً للعلم فتأدب وتعلم الحساب والكتابة والأدب والخط البارع، توفى بالطاعون. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصــافي، ج١/ ص١٧٢؛ الســخاوي، الضــوء اللامــع، ج١/ ص١٥٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١/ ص١٧٢.

ومن الشخصيات التي انتقدها السخاوي بسبب عدم توفر المؤهلات والشـروط لتـولي الحسـبة المحتسـب محمـد بـن علـي الشـرف الحبـري الشـرابي (ت ٨٢٣هـ/ ١٤١٩م)[١]، باشر في أعوان الحكم للمالكية ثم وقعت له واقعة سجن بسببها ثـم حكم بحقن دمه وأطلق ثم عمل في دكان سكرياً ثم توصل حتى تولى حسبة مصر ثم القـاهرة: " وكان عامياً جلفاً قليل الخير كثير الشر"[٢].

وبهذا نجد أن السخاوي يوجه نقده لهذه الشخصية، لأنها لا تتحلى بالشروط والآداب التي يجـب أن تتوفر فيها، ومنها الإيمان فلابد أن يكون متولي الحسبة مؤمنا، فالحسبة نصرة للدين، والكافر ليس له هذا الحق، وأن هذا المحتسب قد اتصف بالكفر حسب تصريح المقريزي بأنه وقـع فـي الكفر فأريد قتله، ثم حقن دمه، ويشتهر بقبائح من السخف والمجون وسوء السيرة[٣].

وكذلك نجد هذا في ترجمة محتسب القاهرة علي بن نصر الله الخراساني العجمي(ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م)[٤]، حيث ترجمه ابن تغري بردي بقوله: " سار فيها أقبح سيرة، وفـتح أبـواب الظلـم والأخذ، فما عف ولا كف، وجدد في الحسبة مظالم تذكر به، وإثمها وإثم من يعمل بها عليه إلى يوم القيامة، وصار يأخذ من هذه المظالم ويخدم الملوك بها، فانظر إلى حال هذا المسكين الـذي

---

(١) شرف الدين محمد بن علي الشرف الحبري الشرابي، باشر في أعوان الحكم للمالكية ثم وقعت له واقعة سجن بسببها. ينظر، ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤٨٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٨/ ص٢٢٧.

(٢) الضوء اللامع، ج٨/ ص٢٢٨.

(٣) السلوك، ج٣/ ص٢٤٧.

(٤) علي بن نصر الله الخراساني العجمي، ويعرف بالشيخ علي الطويل ويقال له يار علي المحتسـب، ولـد بخراسان في حدود٧٨٠هـ، ونشأ بها، وصحب الأتابك سودون، لما خرج هارباً من المؤيد وتوجه إلى قـرا يوسف بالعراق فلما عاد إلى القاهرة قدم عليه فأكرمه، ولما بنى مدرسته هناك جعله شيخها فحسن حاله، وكثر اختلاطه بالظاهر جقمق قبل تسلطنه ، فلما تسلطن زاد تقربه إليه بالهدايا وغيرها فولاه حسبة مصر القديمة ثم القاهرة، واستمر فيها مدة يعزل ثم عاد مع مصادراته وإهانته في كثير من عزلاته وغيرها والأمير ينفيه غير مرة، وآخر ولاياته في سنة وفاته . السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٤٧.

ظلم نفسه، وظلم الناس"[١]. وهكذا نجد هذا المؤرخ يوجه نقداً لاذعاً لهذا المحتسب مستنداً في ذلك على معاصرته ومشاهدته له.

وفي ذات المعنى جاء حكم السخاوي عليه حيث قال: " وقد أحدث في هذه الوظيفة مظالم وتقريرات صار عليه وزرها ووزر من تبعه عليها إلى يوم القيامة... وكان مفرط الطول أسمر فصيحاً بالعجمية والتركية عرياً عن الفضائل"[٢].

وبهذا نجد أن الفساد الذي بدأ يمتد الى هذه الوظيفة والى متوليها الذي كان بعيدا عن الشروط التي يجب ان تكون متوفرة في المحتسب من حيث العفة، والوقار، والورع، والتقوى، والتعفف عن أموال الناس، والشيء الايجابي في ما نقرأ من هذه الأخبار ان مؤرخي التراجم رصدوها وشخصوها وعدوها من سلبيات عصر المماليك.

وأكثر المؤرخون من نقد مظاهر الفساد الإداري والانحدار في أساليب تدبير شؤون الحكم، ومثال ذلك ما نلاحظه في ترجمة المحتسب محمد بن محمد بن محمد بن النعمان بن هبة الله كريم الدين الهوى ثم القاهري(ت ٨١٣هـ/ ١٤١٠م)[٣] " وولي حسبة بلده ثم تزيا للجند وولي شدها فظلم وعسف، ثم قدم القاهرة وتقدم عند الناصر بالتمسخر، فولاه الحسبة مراراً "[٤].

وبهذا نجد أن صاحب الترجمة قد تولى وظيفة الحسبة مرارا، اي أعادة تعيين الموظف الفاسد مرة تلو المرة في الوظائف المهمة في الدولة دون ادنى التفات لسمعته السيئة، مما يوضح تفاقم ظاهرة الفساد الاداري.

---

(١) النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٤٣٩.

(٢) الضوء اللامع،ج٦/ ص٤٧.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن النعمان بن هبة الله كريم الدين الهوى ثم القاهري، اشتغل قليلاً وولي حسبة بلده ثم تزيا للجند، وكان يقال إن الهوي هو الذي أشار على السلطان بأن من مات لا يعطى وارثه ولو كان ولده من ميراثه شيئاً بل يؤخذ للديوان السلطاني، وتقدم بذلك ابن الهيصم فاتفق موت الهوي فعوملت تركته بذلك. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٣٨٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص٧.

(٤) السخاوي، المصدر نفسه، ج١٠/ ص٧.

ونجد بعض المؤرخين يطلق حكمه ويعطي رأيه عن شخصية المحتسب باختصار، وهذا ما فعله السخاوي في ترجمة شمس الدين محمد بـــن أحمـــد بـــن عبـــد الملـــك الـــدميري المـــالكي(ت ٨١٤هـــ/١٤١١م)[١]، الذي تولى حسبة القاهرة في عهد الســـلطان الاشـــرف شـــعبان(٧٦٤-٧٧٨هـــ/ ١٣٦٣-١٣٧٧م)، وبعده غير مرة، مع نقص بضاعته[٢].

ونستنتج مما سبق أن الاسباب التي أدت الى تدهور حالة الحسبة وما آل إليه أمر المحتسبين من فسادهم وقصر مدة توليتهم وسرعة تغيرهم، يرجع الى الخطر المغـــولي، الـــذي شـــكله غـــزو تيمورلنك للعراق والشام في هذه المدة، هذا الى جانب ما كان يحدث مـــن كـــوارث اقتصـــادية ومجاعات نتيجة لانخفاض ماء النيل في بعض السنين، وهذا أدى الى اضطراب النقد، وانتشـــار الفساد وتفشي الرشوة ، إضافة الى ذلك سوء تدبير الحكام وفساد سياستهم وتدخل كبار الأمـــراء وأصحاب السلطة والنفوذ في الدولة لتولية أعوانهم في وظيفة الحسبة فكانوا يولون من يشـــاءون بوساطة أكثر الأمراء سلطة[٣]. فضلاً عما مر بنا آنفاً من ان بعض الســـلاطين كـــانوا يبيعـــون المناصب بالمال.

ونستنتج مما سبق أن أغلب ما وجه من نقد ايجابي لمتولي الحسبة كان فـــي عصـــر المماليـــك البحرية وبالأخص بحدود القرن الثامن الهجري، أما بالنسبة للنقد السلبي فـــنلاحظ أن مـــؤرخي القرن التاسع الهجري قد وجهوا نقدهم للمحتسبين الذين تولو في القرن التاسع الهجـــري، أي أن هذه الوظيفة كانت لها هيبتها ومكانتها في الدولة الاولى، ثم فقدت رونقها وسطوتها فـــي خضـــم

---

(١) محمد بن أحمد بن عبد الملك الشمس الدميري ثم القاهري المالكي ناظر البيمارستان ومفتي دار العدل، ولي الحسبة مراراً أولها في أيام الأشرف شعبان وكذا ولي نظر الأحباس وقضاء العسكر، كان عارفاً بالمباشرة وحصل في المرستان مالاً كثيراً جداً وفره مما كان غيره يصرفه في وجوه البر وغيرها، فاتفق أن الناصر أخذ منه في بعض التجاريد جملة مستكثرة. ينظر: المقريزي، السلوك، ج٣/ ص ١٣٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٣٢٩.

(٢) الضوء اللامع، ج٦/ ص٣٢٩.

(٣) المقريزي، اغاثة الامة، ص٤٣-٤٤.

التدهور العام الذي كانت البلاد تعاني منه في عصر الجراكسة، ولم يستقم أمرها حتى مع تـــولي كبار العلماء مثل المقريزي وابن حجر والعيني بدليل تنافسهم على هذا المنصب(١).

(١) ابو زيد، الحسبة في مصر، ص٩٦.

المبحث الرابع

نقد متولي نظر الجيش

ناظر الجيش هو الذي يرأس ديوان الجيش ويتولى أمر الإقطاعات بمصر والشام، ويصدر أوامره بتدوين كل ما يختص بهذه الاقطاعات في سجل خاص، ويستشير السلطان في شؤونها.

ولقد كانت وظيفة ناظر الجيش من الوظائف العالية في الدولة، وذلك لأن المسؤول عنها يشرف على الجيوش وما يتعلق بها من جميع النواحي في ذلك العصر الذي كان فيه للجندية مكانة رفيعة، ونلاحظ هذا في ما ذكره ابن شاهين الظاهري(ت٨٧٣هـ/١٤٦٧م) : حينما بين مكانة ومهام ناظر الجيش بقوله: " أنه أصبح أهل الدراية بتدبر الممالك، ومن أنصف أصلاحها بإيضاح الطرق والمسالك، انه فراسة المملكة وسياقه الدولة، وضبط أمور الجيش، وحفظ أموال الجندي فانه قطب مدارها، وسبب استقرارها فيتعين الاعتناء به، والنظر في مصالح كتابته، فإن شأنه أرفع، وديوانه اجمع، وعلمه أوسع، لا سيما في دولة فسيحة الاطراف، واسعة الأكناف، وقد دلت جريدة جيشها على الالاف، تحتاج الى ترتيب منازلها على قدر طبقاتها، وضبط أقطاعاتهم، ورعاية مبادئ مددهم وأقواتهم، ومعظم هذه الأمور معروفة بناظر الجيوش المقصود والمشار إليه، والذي مداره جميع أحوال المملكة على ما يصدر عنه ويرد اليه"[١].

وتوجب على ناظر الجيش ان يتصف بالمعرفة، الأمانة، وأن يكون ملماً بأحوال البلاد ومواضعها من الإقليم[٢].

ويبدو أن ناظر ديوان الجيش كان يحفظ سجلات خاصة عن أحوال الإرواء لسقي المزروعات بهدف معرفة الواردات وتكريسها للصالح العام وكان أيضاً يراقب أحوال العمران في البلاد ويسجلها وهي مهمة واسعة تتعدى الاهتمام بالجند[٣].

---

(١) زبدة كشف الممالك ، ص١١٣.

(٢) النابلسي ، لمع القوانين ، ص٢٣.

(٣) النابلسي ، لمع القوانين ، ص٢٣.

وأضاف السبكي بأنه: " ينظر في حال الأجناد وتجريد من يرى فيهم المصلحة والقدرة والكفاية وان لا يكلف الفقراء أو يلزم الفلاحين بالفلاحة في الاقطاعات"(١).

ومن مهامه تولي الاقطاعات للجند وتوزيعها، والتهيئة لتعبئة المقاتلين وتوفير الأسلحة، وبناء وترميم الحصون والحاميات والقلاع(٢)، فضلاً عن عمل سجلات خاصة بأصحاب الاقطاعات، كالجند والأمراء والقادة، وتدوين أسمائهم، وما انتقل إليه من الإقطاع حسب السنوات الهجرية(٣).

وهنالك من ينقد على وفق المؤهلات الادارية التي يتمتع بها الشخص المنتقد، كأن يكون منحدرا من عائلة اشتهرت بزمانها تسلمت مناصب ادارية بكفائه وحنكه، الامر الذي يسوغ مقبولية في الحياة العامة التي تزود المؤرخ بهذا الوصف الايجابي، ونجد أن السلطان هو الذي كان يتابع ويراقب هذا الديوان ويعين له شخصية لها مؤهلات يحددها السلطان بنفسه(٤).

ونجد هذا واضحا في ترجمة ناظر الجيش يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي شرف الدين(ت٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)(٥)، حيث كان " رئيساً نبيلاً جواداً يحب الفضلاء ويرعاهم متجملاً في زيه وملبسه وهو والد الرئيس ناصر الدين محمد بن يعقوب الذي ولي كتابة السر بحلب وبدمشق"(٦)، وكذلك في ترجمة ناظر الجيش موسى بن أحمد بن الحسين بن بدر بن أحمد بن قطب الدين(ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)(١) ،" كان محباً في الفضلاء وقوراً مهيباً كثير المواساة"(٢).

---

(١) السبكي ، معيد النعم، ص٣٣-٣٤.

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢ / ص١١٣؛ المقريزي، الخطط، ج١ / ص٣٨٠.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٨ / ص ٢٠٠ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص ٣٠؛ حسن، تاريخ المماليك، ص ٣٤٢.

(٤) ابن حجر، الفضل المأثور، ص١٣٢.

(٥) يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي شرف الدين، ناظر الجيش بحلب ثم بطرابلس تنقل في هاتين الولايتين مراراً عدة ثم قدر أن مات بحماة، وقد جاوز الستين. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٤٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ج٤/ص٤٣٤.

ومن المؤرخين من يصف صاحب الترجمة بصفات تدل على مكانته ومنزلته، وتأثيره في المجتمع آنذاك، وهذا ما نلاحظه في ترجمة ابن حجر العسقلاني للناظر محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي الأصل المصري محب الدين (ت٧٨٧هـ/١٣٧٦م)[٣] " ولي نظر الجيش بالديار المصرية ففاق من قبله من الأكابر فضلاً عن أقرانه في المروءة والعصبية لجميع الناس ممن يقصده خصوصاً طلبة العلم فكان لهم في أيامه من المكارم والأفضال ما لا يعبر عنه ولا يحصى كثرة حتى أني لم أدرك أحداً من المشايخ إلا ويحكي عنه في هذا الباب ما لا يحكيه الآخر ولم يزل في عزه وجاهه ومهابته إلى أن مات"[٤].

ونلاحظ أن الدولة المملوكية كانت تهتم بهذا المنصب ومن يتولاه، فكان يتم اختيارهم من القضاة مما يعني أهمية ذلك المنصب وحساسيته.

---

(١) موسى بن أحمد بن الحسين بن بدر بن أحمد بن قطب الدين، ولد سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م، واشتغل وتمهر ثم عني بالمباشرات فولي ديوان الجيش بدمشق زمن الأفرم، ثم ولي نظر الجيش في أول ولاية الناصر الأخيرة بعد رجوعه من الكرك، ثم ولي نظر الجيش بمصر، ثم أعيد إلى الشام، واستمر إلى أن مات في ذي الحجة سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م ودفن بتربته التي أنشأها بالصالحية. ينظر: المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٧٢.

(٣) محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي الأصل المصري، ولد بالقاهرة سنة ٦٩٧ هـ/١٢٦٧م، وسمع من الرشيد ابن المعلم والشريف موسى بن علي الموسوي والشريف الزينبي وابن هارون وابن الشحنة وحسن الكردي وموسى بن عطوف في آخرين واشتغل وحصل فنوناً من العلم، وأخذ العربية عن أبي حيان والتلخيص عن الجلال مصنفه وأخذ عن التقي السبكي والقطب السنباطي والتاج التبريزي وشرح التسهيل شرحاً حسناً. المصدر نفسه، ج٤/ص٢٩٠.

(٤) الدرر الكامنة، ج٤/ص٢٩٠-٢٩١.

ومن القضاة الذين تولوا هذا المنصب وامتدحت سيرتهم القاضي تقي الدين ابن القاضي محب الدين التيمي الشافعي،(ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)[١]، الذي كان " من بيت رئاسة وفضل باشر نظر الجيش بتجمل وحشمة"[٢].

وهذا ما نجده أيضا في ترجمة القاضي عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز ناظر الجيش(ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م)[٣]، الذي وصفه المقريزي بانه كان: " رئيساً محباً في أهل الخير، وكان جارنا مدة، ثم صار بيننا وبينه صهاره رحمه الله، فما كان أكثر رياضة أخلاقه، وملاحة وجهه، وعذوبة كلامه ومودته"[٤]. ولا نعلم هل ان المقريزي امتدحه لأنه يستحق المدح او لأنه كان صهراً له.

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم، القاضي تقي الدين ابن القاضي محب الدين التيمي الشافعي، ناظر الجيوش المنصورة، وابن ناظرها، ولد سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، واشتغل بالعلم، ثم باشر كتابة الدست في حياة أبيه، وكتب في ديوان الانشاء وتقدم في معرفة الفن، وصنف فيه تصنيفاً لطيفاً، عليه اعتماد الموقعين إلى هذه الغاية، وكانت له عناية بالعلم، وسمع الشفاء على الدلاصي وغيره. المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص٢٢٣؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص١١٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ ص٢١٠.

(٢) المقريزي، المصدر نفسه، ح٢/ ص٣٧٥؛ ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٧/ ص٢١٠.

(٣) عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم، القاضي كريم الدين ناظر الجيوش، المعروف بابن عبد العزيز، النستراوي الأصل المصري، ولد سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م بنستراوة من أعمال القاهرة، وقدم القاهرة على عمه بدر الدين حسن- وهو يباشر بديوان الجيش - فنشأ تحت كنفه، وورثه لما مات في سنة أربع وسبعين، وخدم في ديوان الجيش إلى أن ولي صحابة الديوان، ثم ولي نظر الجيش، عوضاً عن جمال الدين محمود العجمي سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩، فباشر الجيش مدة وعزل، واستمر بطالاً إلى أن مات. المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص٣٢١؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ص٣٣٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٣٠٧.

(٤) درر العقود، ج٢/ ص٣٢١.

كما ان ابن حجر الذي تربطه به صلة قرابة ايضاً اشاد به بطريقة تقترب من وصف المقريزي له حيث قال: "وكان محباً في الصالحين وفي أهل الخير... وهو جد أولادي لأمهم"[(١)(٢)].

ومن الشخصيات التي تولت هذا المنصب وأثارت اعجاب بعض اصحاب التراجم هو شاكر بن عبد الغني المعروف بابن الجيعان(ت٨٨٢هـ/١٤٧٧م)[(٣)]، أذ وصفه ابن تغري بردي بأنه من أصحاب الحل والعقد في الدولة، وأن فيه الخير وقضاء حوائج الناس، هو أصلح أبناء جنسه[(٤)].

في حين يصفه السخاوي على النحو الآتي: " عرف بجودة الرأي وحسن التدبير ووفور العقل وقوة الجنان وعدم المهابة للملوك فمن دونهم من غير إخلال بالمداراة مع السكون والتواضع والبذل الخفي، وله مآثر"[(٥)].

ومن المؤرخين من تتبع الصفات والسلوكيات وأساليب المنفعة الشخصية لبعض اصحاب هذا المنصب كقول ابن تغري بردي في ترجمة القاضي عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي

---

(١) فقد تزوج الحافظ ابن حجر عندما بلغ عمره خمسا وعشرين سنة وذلك في سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م، من أنس ابنة القاضي كريم الدين عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز ناظر الجيش. ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١/ ص٤.

(٢) انباء الغمر، ج١/ ص٣٠٨.

(٣) شاكر بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب القطبي المصري، ويعرف بابن الجيعان، ولد في سنة٧٩٠هـ/١٣٨٨م بالقاهرة، ونشأ بها وتدرب بأبيه وجده لأمه في الخدمة المباشرة وغيرها إلى أن مهر وبواسطة جده لأمه، اشتهر في الدولة فإنه كان يباشر عنه إذا غاب، واستقر بعد والده في كتابة الجيش، وعظم في عهد الأشرف برسباي، ونالته السعادة، وعلا ذكره، ولا زال في ارتقاء وعلو إلى أن صار مرجعاً في الدول. ينظر:ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦/ص١٩٨-١٩٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ص٢٩١.

(٤) المصدر نفسه، ج٦/ص١٩٩.

(٥) الضوء اللامع، ج٣/ص٢٩١.

زين الدين(ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)[1]،" وكان صاحب دهاء ومعرفة ورأي وتدبير، عارفاً بأمور دنياه، عالي الهمة، مقداماً، مبذلاً للأموال في نفوذ كلمته وإظهار حرمته، لا يلتفت إلى ما يتلفه من الأموال في هذا المعنى، وكان صاحب معروف وصدقات وكرم وإنعام على حواشيه ومن يلوذ به..."[2].

ثم ينتقد بعض سلوكياته السلبية التي انعكست على احواله الرعية بقوله: "... على أن سيئاته لهم كانت أضعاف حسناته لشراسة خلقه وبذاءة لسانه، وسوء بادرته، وحدة مزاجه، مع ظلم وعسف، وسطوة وجبروت، وخفة وطيش، بحيث إنه كان إذا تغير على أحد لا يمنعه منه إلا ذهاب روحه، وكان يعاقب على الذنب الخفيف الألف عصا فما دونها، وقتل من خدمه جماعة تحت العقوبة، يعرف ذلك من له به إلمام وصحبة، هذا مع التكبر والتعاظم على من دونه، والتواضع والانخفاض لمن هو فوقه... "[3]. ونستنتج مما سبق ان ابن تغري بردي اراد ان يعطي صورة واضحة مفادها ان لناظر الجيش هذا المقدرة والتدبير والدهاء في كيفية التلاعب في مصائر الناس ظلماً وعدواناً، فضلاً عن بذل الاموال لبقائه في هذا المنصب.

---

(١) عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي زين الدين، ناظر الجيش، ولد سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، نشأ بدمشق بخدمة القاضي بدر الدين محمد بن موسى- كاتب سر دمشق، ثم اتصل بخدمة الملك المؤيد شيخ المحمودي – وهو يومئذ نائب الشام – ولا زال في ركابه حتى قدم معه إلى الديار المصرية بعد قتل الملك الناصر فرج بن برقوق وتسلطن الخليفة المستعين بالله العباس، واستمر عنده إلى أن تسلطن الأمير شيخ المحمودي المؤيد، قربه وأدناه ورقاه حتى صار ناظر الخزانة الشريفة وكاتبها. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ ص١٣٦-١٣٧؛ السيوطي، نظم العقيان، ج١/ص٤١-٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٧/ ص١٤٢-١٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٧/ ص١٤٣.

الفصل الثالث

نقد طبقة العلماء

المبحث الأول: **نقد الفقهاء**

المبحث الثاني: **نقد المؤرخين**

المبحث الثالث: **نقد الأدباء واللغويين**

المبحث الأول

نقد الفقهاء

لم تقتصر جهود مؤرخي مصر في القرن التاسع الهجري، على ما قدموه من النقد التاريخي الذي وجهوه الى السياسيين والاداريين بل نقدوا ايضاً علماء الدين من فقهاء ومحدثين، فالملاحظ أن المؤرخين المصريين قد راعوا فيهم العديد من الصفات، ومنها التولع بالعلم، والمعرفة بالاستحضار، والتمهر فيما يعملونه.

ومن الفقهاء الذين انتقدهم مؤرخو القرن التاسع الهجري نقداً ايجابياً:

ذهب بعض المؤرخين الى ذكر منزلة المترجم له ومكانته، وتتحدد هذه المنزلة بعبارات معينة، كنحو قول ابن تغري بردي في ترجمة الفقيه احمد بن محمد بن الشيخ الرفعة(ت٧١٠هـ/ ١٣١٠م)[(١)] : " برع في الفقه وأصوله والعربية وغير ذلك، ودرس وأفتى، وانتفع به عامة الطلبة الشافعية، انتهت إِلَيه رئاسة مذهبه في عصره، وكان ذكياً بارعاً، متبحراً في المذهب وفروعه"[(٢)].

---

(١) أحمد بن محمد بن علي بن الشيخ الرفعة مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس الأنصاري النجاري المعروف بابن الرفعة، الإمام العلامة، شيخ الإسلام، شيخ الشافعية في عصره، مولده سنة(٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)، طلب العلم وسمع من محيي الدين الدميري وحدث بشيء من تصانيفه، وصنف وشغل عدة سنين، وشرح التنبيه في خمس عشرة مجلداً، وشرح الوسيط ولم يكمله، ودرس بالمعزية وغيرها، ولم يزل مواظباً عَلَى الاشتغال إلى أن توفى. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٨٢-٨٣.

(٢) المصدر نفسه ، ج٢/ ص٨٢-٨٣.

ومن الفقهاء الذين انتقدهم مؤرخو القرن التاسع الهجري نقداً ايجابياً للمكانة العلمية التي احتلوها ومنهم: أبو بكر بن عبد الله النشائي (ت ٧١٦هـ/ ١٣١٦)[١] الذي " كان مشكور السيرة فقيهاً فاضلاً مناظراً"[٢]. وأحمد بن إبراهيم البصروي الفقيه الحنفي(ت ٧١٨هـ/١٣١٨م)[٣]" وكان شيخاً فقيهاً فاضلاً درس وأفتى"[٤].

ومحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني الفقيه الحنبلي شمس الدين(ت٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)[٥] " كان بارعاً فاضلاً متقناً في علوم كثيرة... كان ذا حظ من زهد وتعفف وصيانة" [٦].

وكذلك نلاحظ وصف صاحب الترجمة بالإمام في اختصاصه، ذكر المقريزي في ترجمة الفقيه إبراهيم بن محمد الاميوطي(ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)[١]" كان إماما في الفقه، ماهرا في النحو، عارفا بالأصول، فصيحا ذكيا، كريما، يكتب الخط المليح كثيرا"[٢].

---

(١) أبو بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن أحمد بن شهاب النشائي، اشتغل كثيراً وبرع وأتقن الفقه، وتعانى الكتابة فبرع فيها إلى أن ولي نظر الدولة ثم ولي الوزارة في أول سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، وكان قد ولي التدريس بالمدرسة التي بجوار الشافعي بالقرافة، ونظر الأحباس ونظر الخزانة. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ص٤٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٤٤٤.

(٣) أحمد بن إبراهيم البصروي بن أحمد بن عتبة بن هبة الله بن عطاء بن ياسين الفقيه الحنفي، ولد في أوائل سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م. ابن حجر، المصدر نفسه، ج١/ص٨١.

(٤) المصدر نفسه، ج١/ص٨١.

(٥) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني الفقيه الحنبلي شمس الدين، ولد في حدود سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م وسمع من عيسى المطعم وجماعة واشتغل في الفقه وبرع فيه إلى الغاية وصاهر القاضي جمال الدين المرداوي وناب عنه في الحكم وصنف الفروع في مجلدين أجاد فيه إلى الغاية وأورد فيه من الفروع الغريبة ما بهر العلماء، ولا سيما في الفروع وله على كتاب المقنع شرح في نحو ثلاثين مجلدة وعلق على المنتقى للمجد ابن تيمية . المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٦١.

(٦) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٦٢.

وهذا ما نجده في ترجمة عبد الرحمن بن أحمد الغزي المعروف بابن الشحنة(ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)[٣] حيث قال:" كان كثير التودد للناس فيه اعتقاد وكان يقظاً نبيهاً يستحضر كثيراً من ألفاظ المتون ويرد على القارئ رداً مصيباً، وكان صالحاً عابداً قانتاً... وكان قد حضر دروس الشيخ تقي الدين السبكي وغيره أشتغل بالتكسب في حانوت بباب الفتوح ثم كبر فترك وحدث بالكثير، ومن كتبه المستخرج لأبي نعيم على صحيح مسلم ونحو الثلث الأول من صحيح ابن حبان ومسند أبي داود والسنن للشافعي"[٤].

(١) إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن يحيى بن أبي المجد اللخمي جمال الدين الأميوطي ثم المكي الشافعي، ولد سنة ٧١٥هـ / ١٣١٤م بالقاهرة، اخذ الفقه عن المجد الزنكلوني، والتاج التبريزي، والجمال الاسناني، ولازمه كثيرا، وناب في الحكم عن العز ابن جماعة، والبهاء ابي البقاء، وتولى بمكة تدريس الحديث للملك الاشرف شعبان بن حسين، وانتفع الناس بدروسه. المقريزي، درر العقود، ج١/ ص١٠٠-١٠١؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص١٣٢.

(٢) درر العقود، ج١/ ص١٠١.

(٣) عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك بن حماد بن تركي بن عبد الله الغزي ثم القاهري أبو الفرج البزاز الفتوحي المعروف بابن الشحنة، ولد سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٤م أو نحوها وسمع من يوسف بن عمر الختني وأبي الحسن علي بن عمر الواني ويونس بن إبراهيم الدبوسي وعلي بن اسمعيل بن قريش وعبد الله بن علي الصنهاجي، وكان عنده مسند أحمد وصحيح مسلم والسنن الكبير للبيهقي والمجالسة للدينوري وغير ذلك. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٣٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٢٥.

ومن المؤرخين من يترجم لشخص هو عارف بحاله ومن المعاصرين له، ومن الذين التقى بهم كما قال المقريزي في نقده لإبراهيم بن عبد الرحمن شيخ الشافعي(ت٨٠٢هـ/١٣٩٩م)[١]، "برع في الفقه والنحو، وكان فاضلا في فنون عديدة، ويتقن عمل عدة صنائع بيده، مع الثقة والضبط والأمانة والديانة... سألته عن أخبار تيمورلنك فقال لي: كان ابتداء ظهوره في سنة عذاب"[٢].

ومن المؤرخين من يصف المترجم له بعبارات تكون جامعة لكل الصفات الحسنة، وهذا ما نجده واضح في ترجمة عمر بن منصور بن سليمان السراج القرمي ثم القاهري الحنفي(ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)[٣] الذي:" كان فقيهاً بارعاً فاضلاً مشكور السيرة في دينه ودنياه ذا عبارة وأوراد من صلاة وقراءة وصدقات والغالب عليه الخير وسلامة الباطن مع جمال الصورة والبشاشة والطلاقة تصدى للإقراء والتدريس"[٤]. وهذه العبارة التي صدرت عن السخاوي في تقييم هذا الفقيه هي عبارة جامعة لصفاته الجوهرية والمظهرية لأخلاقه وسلوكياته ودرجة التزامه الديني وتمكنه العلمي.

ويتجلى حب السخاوي لشيخه، وتقيده بأقواله وأفكاره في صور مختلفة نذكر هنا من بينها:

---

(١) ابراهيم بن عبد الرحمن بن سليمان، المعروف بابراهيم شيخ، السرائي الشافعي، قدم القاهرة فاخذ علم الحديث عن الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وعني بالحديث وضبط كتبه احسن ضبط، وولي مشيخة رباط الخانكاه البيبرسية. المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٨١.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٨١.

(٣) عمر بن منصور بن سليمان السراج القرمي ثم القاهري الحنفي، ويعرف بالعجمي، ترافق هو وجمال الدين القيصري فلما ولي جمال الدين حسبة القاهرة قرره في حسبة مصر ثم ولي هو حسبة القاهرة ودرس بجامع ابن طولون في الفقه وفي التفسير بالمنصورية وغير ذلك، وكذلك ولي مشيخة الأيتمشية بباب الوزير وتدريسها من واقفها وغيرها. السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص١٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٦/ ص١٣٩.

وصف أساتيذ ابن حجر وهو أحمد بن عمر الجوهري(ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)[١] " أخذ عنه الأكابر كشيخنا وقال إنه كان شيخاً وقوراً ساكناً حسن الهيئة محباً في الحديث وأهله عارفاً بصناعته جميل المذاكرة به على سمت الصوفية ولديه فوائد مع المروءة التامة والخير ومحبة التواجد في السماع والمعرفة التامة بصنف الجوهر"[٢].

ويلاحظ في نقد المؤرخين لتراجم العلماء التركيز على المستوى العلمي والوظائف المسنده للمترجم، ومدى التزامه الديني كما هو واضح في ترجمة الفقيه شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن بدر الغزي العامري الشافعي (ت٨٢٢هـ/ ١٤١٩م)[٣] الذي: " برع في الفقه وأصوله وشارك في غيرهما مع مذاكرة حسنة في الحديث ومتعلقاته... وولي إفتاء دار العدل والتدريس بعدة أماكن وتصدى للإقراء قديماً وجلس لذلك بالجامع في حياة مشايخه وأفتى وأعاد واشتهر وتفرد برئاسة الفتوى بدمشق ولم يزل في ارتفاع حتى صار من مفاخر دمشق وأذكر أهلها للفقه وأصله، وكان يرجع إلى دين وعفة من صغره وكذا في القضاء مع علو همة ومروءة ومساعدة لمن يقصده وحسن عقيدة وسلامة باطن"[٤].

---

(١) أحمد بن عمر بن علي بن عبد الصمد بن أبي البدر الشهاب البغدادي، ثم الدمشقي القاهري الشافعي، ويعرف بالجوهري، ولد سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م ببغداد، وقدم مع أبيه وعمه دمشق فأسمع بها من المزي والذهبي وداود بن العطار وآخرين، وقدم القاهرة فاستوطنها وسمع فيها من الشرف بن عسكر، وحدث بها وبمصر بسنن ابن ماجه وغيره. ابن حجر، أنباء الغمر، ج١/ ص٣٣٠.

(٢) الضوء اللامع، ج٢/ ص٥٥.

(٣) أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر، القاضي شهاب الدين الغزي العامري، الدمشقي، الشافعي، ولد سنة(٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م) بغزة، ونشأ بها، ثم قدم دمشق واستوطنها، ولازم علماءها، ومن مصنفاته: شرحه على الحاوي في الفقه، وكتاب شرح جمع الجوامع، وعلق على صحيح البخاري، والمنتقي من تاريخ ابن خلكان، وولي نظر البيمارستان النوري، وغيره . ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٦٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٣٥٦.

(٤) السخاوي، المصدر نفسه، ج١/ ص٣٥٦-٣٥٧.

وكذلك أورد السخاوي في ترجمة فقيه الشام أبي بكر بن أحمد الدمشقي الشافعي(ت٨٥١هـ/ ١٤٤٧م)[١]، ما نصه " قد انتهت إليه الرياسة ببلده بل صار فقيه الشام وعالمها ورئيسها وتصدى للإفتاء والتدريس فانتفع به خلق... كل ذلك مع الذكاء والفصاحة والشهامة والديانة وحسن الخلق والمحاسن الوافرة... وكان له مشهد لم ير لأحد من أهل عصره مثله وتأسف الدمشقيون على فقده، كان شكلاً حسناً يلبس القماش النفيس ويركب البغال المثمنة معظماً مكرماً وقوراً لا يخاطب غالباً إلا جواباً، عليه جلالة ومهابة "[٢].

ومن هذا البيان يتضح أن صاحب الترجمة كان له مكانة في المجتمع الدمشقي آنذاك، ولاحظنا مكانته في نفوس اهل دمشق، مع الاخذ بنظر الاعتبار ان السخاوي قلما يترجم ترجمة ايجابية مطلقة كما هو الحال في الترجمة السابقة.

وقال السخاوي في نقده لمحمد بن حسن الحلبي الشافعي(ت ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)[٣]، " لقيته بحلب فقرأت عليه ثلاثيات الصحيح؛ وكان خيراً متعبداً متواضعاً متودداً ساكناً حسن السمت راغباً في الخير "[٤].

---

(١) أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الشهبي الدمشقي الشافعي، ولد في سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م بدمشق، فاشتغل بالعلم، ناب مدة بشهامة وصرامة وحرمة وكلمة نافذة، وصار مرجعها إليه ومعولها في مشكلاتها عليه، ولم يدانه في زمانه بل ولا قبله في معرفة فروع الشافعية . السخاوي، الضوء اللامع، ج١١/ ص٢١-٢٢.

(٢) المصدر نفسه ، ج١١/ ص٢٢-٢٣.

(٣) محمد بن حسن بن إبراهيم بن عبد المجيد بن محمد بن يوسف الشمس التادفي في الأصل الحلبي الشافعي، ولد في رمضان سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، بحلب ونشأ بها فقرأ القرآن عند منصور وغيره وتفقه بعبيد بن علي البابي ومحمد الأعزازي وغيرهما وسمع على ابن صديق بل قرأ بنفسه على البرهان الحلبي وغيره وتكسب في حانوت بالبسطيين وقرأ البخاري وغيره على العامة. المصدر نفسه، ج٧/ ص٢١٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٧/ ص٢١٧.

أما فيما يخص النقد السلبي، هنالك بعض المؤرخين من وصف المترجم له بضعف المعرفة في بعض العلوم، كقول السيوطي في ترجمة العلامة شمس الدين محمد بن محمود الاصفهاني(ت ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)[١]، " له معرفة جيدة بالنحو والادب والشعر، لكنه قليل البضاعة من الفقه والسنة والاثار"[٢].

ومن النواحي التي يقع فيها النقد هو السلوك الديني للمترجم لَه، ومن الأمثلة على ذلك، ما أورده ابن حجر في ترجمة، إسماعيل بن سعيد الكردي المقرئ (ت٧٢٠هـ/١٣١٩م)[٣]، أذ قال: " رمي بالزندقة بسبب أنه كان كثير الهزل فحفظت منه كلمات قبيحة حتى صار يقال له إسماعيل الكافر وإسماعيل الزنديق"[٤].

وبعضهم ينتقد السلوك الأخلاقي للمترجم له: كوصف ابن حجر للشيخ شمس الدين محمد ابن غدير الواسطي المقرئ(٧٣٩هـ / ١٣٦٤م)[٥]: " وكان سيئ الخلق بذيء اللسان"[١] .

---

(١) محمد بن محمود بن محمد بن عبد الكافي العلامة شمس الدين الاصفهاني، ولد باصفهان سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م، وقدم الشام فناظر الفقهاء، وشرح المحصول لفخر الدين الرازيّ، وصنف القواعد في أربعة فنون أصول الدين والفقه والمنطق والخلاف، وله معرفة جيدة بالمنطق والنحو والآداب، ولي تدريس الصاحبية وتدريس الشافعي، ومشهد الحسين، وتخرج به خلق ورجع اليه ورحل اليه الطلبة حدث عنه البرزالي وغيره. العيني، عقد الجمان، ج١/ ص٢٠٧؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج١/ ص٢٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٤٠.

(٣) إسماعيل بن سعيد الكردي المقري المصري، وكان عارفاً بالقراءات، قرأ على الشطنوفي، والصائغ. واشتغل بالفقه والنحو والتصريف ، ويحفظ كثيراً من التوراة والإنجيل، ويحفظ العمدة في الحديث. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣/ ص٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١/ ص٣٦٧.

(٥) محمد بن أحمد بن علي بن غدير الواسطي الشيخ شمس الدين ابن غدير المقرئ، نزيل القاهرة إمام مقرئ محقق ناقل بارع مجود، أخذ القراءات عن العز الفاروثي وصحبه مدة وجاور معه بمكة وسمع من عبد الله ابن مروان الفارقي وغيره وكان ماهرا في القراءات عارفا بطرقها مستحضرا تصدر للإقراء بجامع الحاكم. المصدر نفسه، ج٣/ ص٤٤٣.

ويلحظ ان السخاوي ركز في العديد من التراجم على نقد الجانب العلمي لبعض المترجمين، ومن ذلك قوله عند ترجمة فقيه المالكية علي بن يوسف بن الجلال الحلبي الدميري المالكي (ت. ٨٠٣ هـ /١٤٠٠م)[٢]: "... ولم يكن يدري من العلوم شيئاً سوى الفقه، وكان كثير النقل لغرائب مذهبه شديد المخالفة لأصحابه إلى أن اشتهر صيته بذلك..."[٣].

انتقد ابن حجر الفقيه سراج الدين ابن الملقن(ت٨٠٤هـ/ ١٤٠١م)[٤]، قائلاً: " إنه كان يكتب في كل فن سواء أتقنه أو لم يتقنه... ولم يكن في الحديث بالمتقن ولا له ذوق أهل الفن... لم يكن بالحافظ بل الذين قرءوا عليه ورأوه من سنة سبعين فما بعدها قالوا إنه لم يكن بالماهر في الفتوى ولا التدريس وإنما كانت تقرأ عليه مصنفاته غالباً فيقرر ما فيها، وبالجملة فقد اشتهر اسمه وطار صيته وكانت كتابته أكثر من استحضاره ولهذا كثر الكلام فيه من علماء الشام ومصر حتى قال ابن حجي: كان لا يستحضر شيئاً ولا يحقق علماً وغالب تصانيفه كالسرقة من كتب الناس"[٥].

---

(١) المصدر نفسه ، ج٣/ ص٤٤٣.

(٢) علي بن يوسف بن مكي بن عبد الله الدميري ثم المصري نور الدين ابن الجلال أصله من حلب وكان جده مكي يعرف بابن نصر ثم قدم مصر وسكن دميرة فولد له بها يوسف فاشتغل بفقه المالكية، ثم سكن القاهرة وناب عن البرهان الأخناي وعرف بجلال الدميري وولد له هذا فاشتغل حتى برع في مذهب مالك. ابن حجر، انباء الغمر ، ج١/ ص٢٦٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٦/ ص٥٥.

(٤) سراج الدين عمر بن ابي الحسن بن الملقن، ولد سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) في القاهرة، وتوفى والده وله من العمر سنة واحدة، فاوصى به إلى الشيخ شرف الدين عيسى المغربي (الملقن لكتاب الله) وكان صالحاً فتزوج ام سراج الدين ورباه فعرف سراج بابن الملقن نسبة اليه، وأقرأه القرآن وانشأه ورباه تربيةً علميةً ودينيةً صالحةً. ومن مؤلفاته في فقه الشافعية (شرح المنهاج) لجمال الدين الاسنوي (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧١م) و (التحفة والبلغة) و (شرح التنبيه) لعبدالله بن ابي عصرون (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) و (الخلاصة) و (جمع الجوامع) وغيرها. ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٢٥٧؛ السخاوي: الضوء، ج٦/ ص١٠٠-١٠٢.

(٥) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٧٥.

وهذا اتهام خطير قلما نجد له نظير ان يقوم مؤرخ مشهور مثل ابن حجر بتبني اتهام بالسرقة لأحد المؤلفين أطلقه احد العلماء المعاصرين له وهو ابن حجي الحسباني(ت ٨١٥هـ/١٤١٥م). وفي كتاب آخر له قدم ابن حجر نقدا آخر لهذا العالم بقوله: " وقد جمع شيخنا العلامة، ذو التصانيف الواسعة، سراج الدين ابن المُلَقّن شيئاً من ذلك، وقفت عليه، فلم يشفِ لي غليلاً " [١]. ويفهم من هذا النص انه يشير الى ان مؤلفات ابن الملقن كبيرة الحجم لكن لا عمق علمي فيها، ويلاحظ ايضاً ان ابن حجر وقع فيما يمكن ان يوصف بالتناقض فهو ينعت شيخه بالعلامة ثم ينتقص من مؤلفاته.

وأورده المقريزي في ترجمة الشيخ شمس الدين الاسيوطي الشافعي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)[٢]، واصفاً إياه بعدة أوصاف منها ما يتعلق بمظهره وسلوكه الاجتماعي قائلاً: " كان كثير التهكم والازدراء بالناس، مع وسخ الثياب ورثاثة الهيئة، ويتهم بالمال الكثير "[٣].

وأيده في ذلك ابن حجر حينما قال: " وكان يعلم بالأجرة وله في ذلك وقائع عجيبة تنبئ عن دناءة شديدة وشح مفرط "[٤].

---

(١) رفع الإصر، ج١/ ص٨٩.

(٢) محمد بن حسن، الشيخ شمس الدين الاسيوطي الشافعي، برع في علوم جمة من قراءات وتفسير وفقه وعربية وغير ذلك، بحيث كان لا يفوته علم الا ويتكلم فيه مع اهله بما يشهد له فيه بالتقدم، وكان منقطعاً إلى القاضي شمس الدين ابن الصاحب الموقع، توفى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م. المقريزي، درر العقود، ج٣/ ص١٣٨؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٣٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٣/ ص١٣٨.

(٤) انباء الغمر، ج١/ ص٣٢٤.

ونجد بعض المؤرخين من يصف المترجَم له بقلة البضاعة وخاصة في الفقة، وهذا ما نجده في ترجمة الفقيه زين الدين عبد الرحمن الكردي الدمشقي الشافعي(ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)[١]، فقد وصفه السخاوي بقوله: " وكان يعاب بأنه قليل البضاعة في الفقه ولا يسأل مع ذلك عن شيء إلا بادر بالجواب، وحفظ ترجيح كون المولد النبوي كان في رمضان لقول ابن إسحاق إنه نبئ على رأس الأربعين، فخالف الجمهور في ترجيح ذلك، ولم يزل بينه وبين الفقهاء منافرة "[٢].

وكذلك وصف السخاوي الفقيه صدر الدين ابن أمين ابن الأدمي الحنفي (٨١٦هـ/ ١٤١٣م)[٣] " حيث قال: " كان مسرفاً على نفسه، متجاهراً بما لا يليق بالفقهاء، غير متصون، ولا متعفف، وقد أصيب مراراً "[٤].

---

(١) عبد الرحمن بن يوسف الكردي الدمشقي الشافعي زين الدين، حفظ التنبيه في صباه، وقرأ على الشرف بن الشربشي، حفظ من التفسير والحديث وأسماء الرجال الشيء الكثير، وكان ولي قضاء بعلبك ثم طرابلس، وقدم مصر وجرت له محنة مع القاضي جلال الدين البلقيني، ثم رضي عليه وألبسه ثوباً من ملابسه واعتذر له فرجع إلى بلده. ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤٤١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص١٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ ص١٦٠.

(٣) علي بن محمد بن محمد الدمشقي. صدر الدين ابن أمين ابن الأدمي الحنفي، ولد في سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م بدمشق، واشتغل بالأدب ونظر في الفقه وكتب الخط الحسن، وناب في الحكم وولي كتابة السر ونظر الجيش بدمشق، واشتغل بالقضاء بدمشق ثم بالقاهرة، وجمع له القضاء والحسبة في عهد السلطان المؤيد. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر،ج١/ ص٤١١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٨-٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٦/ ص٨-٩.

اما ما يتعلق بالنقد الاجتماعي، فنجد السخاوي أحيانا يقدّم ذكر الأوصاف الشريفة للمترجم، ثـم يتبعها بما يفيد النقد والتّنقيص، كما اتفق له ذلك عند ترجمة إبـراهيم بـن عبـد الله العريـاني (ت ٨٥٢هـ /١٤٤٨ م)[١]، فإنه لما ذكر جُملةً من سيرته العلمية قـال: "... ولكنـه مـع هـذه الأوصاف الشريفة، ضَيّع نفسه بكثرة إسرافه على نفسه، ومجاهرته بالمعاصي..."[٢].

كمـا ان السـخاوي أحيانـا يصـف المتـرجَم لـه بقلـة الفهـم، كقولـه فـي ترجمـة عبد الله بن محمد الميموني القرافي (ت ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م)[٣]: "... ولم يُرزَق مع قوة حافظتـه فَاهِمَةً، بل كان بعيد التصور والفهم جداً، لا يهتدي لاستحضار ما يلتمس منه من مسائل كتبه، بل يسرُد الباب بتمامه ليصل سامعه للغرض منه مع استمرار ذكره لأكثر كتبه..."[٤].

---

(١) إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن علي أبو الوفاء بن المحدث الجمال بن الحافظ الشهاب العرياني القاهري الشافعي، ويعرف كسلفه بالعرياني. ولد في سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م بالقاهرة ونشأ بها فحفظ القرآن، وأخذ الفقه عن كبار العلماء، ودرس الحديث والعربية، وصار يعد في الفضلاء مع الذكاء المفـرط والمـذاكرة. ينظـر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٧١.

(٣) عبد الله بن محمد بن محمد بن بيرم بن عبد العزيز ابن صعلوك التاج أبـو محمـد القرشـي الميمـوني القاهري الشافعي، ويعرف بالميموني، ولد سنة ٧٧٣هـ/١٣٧١م، بالقرافة وحفظ القرآن وهـو ابـن سـبع، ودرس جميع رسالة الشافعي ومختصر ابن الحاجب الأصلي ومنهج الأصلين للبلقيني والتسهيل لابـن مالـك وتلخيص المفتاح وفصيح ثعلب والمقامات الحريرية وغالب التسع المعلقات، وعرض علـى أئمـة العصـر كالعسقلاني المقري والعرافي وسراج الدين البلقيني وابن الملقن والأبناسي والغماري وغيـرهم. السـخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص٦٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٥/ ص٦٥.

ونلاحظ كذلك أن السخاوي اهتم بذكر ما كان يحصل بين شيخه وذريته، وبين من يترجم له من مُنازعات ومُناقشات، وذلك مشعر بانحطاط منزلة المترجم عنده، ففي ترجمة محمد بن أحمد بن صالح الشطنوفي(ت ٨٧٣ هـ/ ١٤٦٧ م)[١] قال: " وهو الذي حَاقَقَ ابن شيخنا وأفْحَش وصَمّم على الْمعارضة، وتألّم والده شيخُنا من ذلك"[٢].

أما تَعَصُّب السخاوي ضد بعض أهل عصره من الأقران المعاصرين، فممّن بسط فيهم لسانه، فمنهم: الفقيه والاديب برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي(ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)[٣]، وكان السخاوي معاصراً له، فقال فيه: "... وما علمته أتقن فنّاً ولا بلغ مرتبة العلماء، بل قُصارى أمره إدراجه في الفضلاء، وتصانيفه شاهدة بما قلته..."[٤]. وهذا النص وغير من النصوص المشابهة التي ينتقد فيها السخاوي معاصريه من المؤلفين أو العلماء تقف دليلاً على أنه كان جريئاً لم يصده عن ذلك الخوف مما قد يسببه ذلك من مشاكل مع المترجمين أو مع أسرهم، وهو أمر نادر الوجود حتى في عصرنا الحالي.

---

(١) محمد بن أحمد بن صالح بن محمد بن عبد الله بن مكي الشمس بن الشهاب القاهري الشافعي ويعرف بالشطنوفي. نشأ بالقاهرة وحفظ القرآن وغيره، وتنزل صوفيا بالبيبرسية وسمع في صغره على الجمال الحنبلي العمدة، وحدث بالعمدة غير مرة سمعها عليه بعض الفضلاء، وأجاز لنا وتسلم كأبيه المباشرة في عدة جهات كجامع طولون والحاكم والحرمين. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٣١٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٦/ ص٣١٤.

(٣) برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي الخرباوي البقاعي، ولد بقرية (خرياروحا) من عمل البقاع سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م ونشأ بها، ثم وفد على دمشق ودخل القاهرة، وطلب العلم على كثير من مشايخه حتى اصبح بارعاً واماماً في جملة علوم ومنها القراءات، ولي وظائف عديدة منها: نظر جامع الفكاهين وتدريس المؤيدية، وله تصانيف كثيرة منها كتاب الجواهر، والدرر في مناسبة الآي والسور، والنكت على شرح ألفية العراقي ومختصر كتاب الروح لأبن القيم سماه(سر الروح) مات سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م. السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص١٠١-١٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١/ ص١٠٢.

غير أن السيوطي خالف السخاوي في ترجمته لهذا الفقيه يفهم ذلك من قوله: " ... أخـذ القـراءات عن ابن الجزري وغيره، والحديث عن الحافظ ابن حجر، والفقه عن التقي بن قاضـي شـهبة، ولازم القاياتي، والونائي، وسائر الأشياخ، ومهر وبرع في الفنون، ودأب فـي الحـديث..."[١] . وهو أمر طبيعي لأن السيوطي على خلاف السخاوي كان هادئاً في تقديم معلومات عن تـراجم معاصريه أو ممن هم أبعد زماناً عنه.

ومن المؤرخين المتأخرين الذين ردوا انتقاد السخاوي لهذا الفقيه المؤرخ الشوكاني الذي قال عنـه : "... وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران"[٢]، ثم نَبَّه الشُّوكاني على ما في كلام السخاوي من حَطٍّ وإجحافٍ فقال: "... لا كما قال السّخاوي أنه ما بلغ رتبة العلماء بل قُصَارى أمره إدراجه في الفضلاء، وأنه ما علمه أَتْقَنَ فنّاً، وتصانيفه شاهدةٌ بما قلته، قلت: بل تصانيفه شاهدة بخلاف ما قاله، وأنه من الأئمة الْمُتْقِنِين المتبحرين في جميع المعارف، ولكن هذا من كلام الأقران في بعضهم بعضاً بما يُخالف الإنصاف لما يجري بينهم من المنافسات تارة على العلم، وتارة على الدنيا، وقد كان المترجم لَهُ منحرفاً عن السخاوي، والسخاوي منحرفاً عنه، وجرى بينهما مـن المناقضة والمراسلة والمخالفة ما يُوجب عدم قبول أحدهما على الآخر..."[٣]. ويمكن تسمية ما قدمه الشوكاني انه نقد النقد، وموقفه هذا فسر لنا حقيقة موقف السخاوي مـن البقـاعي ذلـك الموقف الناجم عن المنافسة على المكانة العلمية، ولكنه على الرغم من ذلك يبقى شاهداً علـى جرأة السخاوي في انتقاد معاصريه سواء أكان موضوعياً في ذلك أم لا.

---

(١) نظم العقيان، ج١/ ص٤.

(٢) البدر الطالع، ج١/ ص١٨.

(٣) الشوكاني، البدر الطالع، ج١/ ص١٨.

المبحث الثاني

نقد المؤرخين

تحلى بعض المؤرخين بفكر عميق وعلم واسع مما مكنهم أن يجولوا في ميادين معرفية ليضيفوا الى صرح هذه الأمة لبنات جديدة من المعرفة العلمية وليفتحوا بها آفاقاً فكرية تستحق التوقف عندها، فكان لهم اطلاع واسع بالعلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث والأحكام وتركوا فيها مؤلفات ذات قيمة عالية، وكان لا بد أن تظهر ثقافتهم في ميادين أخرى قريبة الى ثقافته الدينية فكان التأريخ الإسلامي أقرب ما يكون إليه ، فأعاروا من جهدهم وبذلوا فيه اهتمامهم حتى وضعوا فيه المؤلفات الجليلة. وخير دليل عليها ما جاء عند المقريزي في ترجمة المؤرخ إبراهيم بن محمد بن دقماق صارم الدين القاهري الحنفي(ت٨٠٩ هـ/١٤٠٦م)[١]، " كان جميل العشرة، فكه المحادثة، كثير التودد، حافظا للسانه، من الوقيعة في الناس، لا تراه يذم احدا من معارفه، بل يتجاوز عن ذكر ما هو مشهور عنهم مما يرمى به أحدهم، ويتعذر عنه بكل طريق، صحبته مدة، وجاورني عدة سنين، وتردد إلي كثيراً "[٢].

ونضيف ما ذكره السخاوي عنه قائلاً: " كان يحب الأدبيات مع عدم معرفته بالعربية ولكنه كان جميل العشرة كثير الفكاهة حسن الود قليل الوقيعة في الناس"[٣].

---

(١) إبراهيم بن محمد بن دقماق صارم الدين القاهري الحنفي، مؤرخ الديار المصرية في وقته، ودقماق كان أحد الأمراء التابعين للناصر محمد ، وهو جد أبيه فهو محمد بن ايدمر بن دقماق، واعتنى بالتاريخ فكتب منه الكثير بخطه وعمل تاريخ الإسلام وتاريخ الأعيان وطبقات الحنفية، وكتب تاريخاً كبيراً على السنين وآخر على الحروف وأخبار الدولة التركية في مجلدين وسيرة للظاهر برقوق وطبقات للحنفية وامتحن بسببها وكان عارفاً بأمور الدولة التركية مذاكراً بجملة أخبارها مستحضراً لتراجم أمرئها، ولي في آخر الأمر إمرة دمياط فلم تطل مدته فيها ورجع إلى القاهرة فمات بها. المقريزي، درر العقود، ج١/ ص١٠١-١٠٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص١٤٥.

(٢) درر العقود، ج١/ ص١٠٣.

(٣) الضوء اللامع، ج١/ ص١٤٥.

ويتضح من هذا أن صاحب الترجمة كان مهتماً بالأدب من دون تحصيل علوم العربية من نحـــو وصرف، ويبدو أنه صرف جل وقته للتقرب الى الناس وهذا يدل على حسن سلوكه الاجتماعي، والفرق بين ترجمة المقريزي والسخاوي لهذا المؤرخ هو أن الثاني بين الجانب السلبي عند هــذا المؤرخ دون الاقتصار على الجانب الايجابي كما فعل المقريزي.

ومن المؤرخين الذين كان لهم اطلاع واسع بالفقه والتفسير والحديث والاحكـام وتركـوا فيهـا مؤلفات ذات قيمة، المؤرخ تقي الدين المقريزي(ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)[1]. فنالت مؤلفاته شـهرة واسعة استحقت أن تذكر بكل اعتزاز، كما شهد له العلماء بذلك، عرفاناً واجلالاً، فقال عنه تلميذه ابن تغري بردي: " تفقه وبرع، وصنف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم، وكان ضابطاً مؤرخاً، مفنناً، محدثاً، معظماً في الدول... واشتهر ذكره في حياته وبعـد موتـه فـي التـأريخ وغيره، حتى صار يضرب به المثل، وكان له محاسن شتى، ومحاضرة جيدة إلى الغاية لا سيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك، وكان منقطعاً في داره، ملازماً للعبادة والخلـوة، قل أن يتردد إلى أحد إلا لضرورة، وقرأت عليه كثيراً من مصنفاته، وكان يرجع إلى قولي فيما أذكره له من الصواب... وأخذت عنه، وانتفعت به، واستفدت منه"[2]. والواقـع ان النظـر فـي ترجمة المقريزي نجد أنه ألف العديد من المؤلفات التاريخية الشهيرة، ولا سيما كتبـه الخطـط المقريزية، والسلوك لمعرفة دول الملوك، واغاثة الأمة بكشف الغمة، فهي مصادر تاريخية مهمة في ابوابها ولا زال اعتماد المؤرخين عليها كبيراً، وقد أحصى ابن تغري بردي مؤلفات شـيخه المقريزي على النحو الآتي: " كان كثير الكتابة والتصنيف، وصنف كتباً كثيرة من ذلك: إمتـاع الأسماع في ما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع، رأيته وطالعته وهو كتاب نفيس، وله كتاب الخبـر عن البشر، ذكر فيه القبائل لأجل نسب النبي (ﷺ)، وكتاب السلوك في معرفـة دول الملـوك،

---

(١) أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد، الشيخ الإمام البارع، عمدة المؤرخين، تقي الدين المقريزي، البعلبكي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، مولـده بعـد سـنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م)، ونشأ بالقاهرة، وتفقه على مذهب الحنفية وهو مذهب جده العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ، ثم تحول شافعياً بعد مدة طويلة، وسمع لكثير من الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد الشامي، والشيخ برهان الدين الآمدي، وسراج الدين عمر البلقيني، والحافظ زين الدين العراقي، ولي حسبة القاهرة غير مـرة، أول ولاياته من قبل الملك برقوق، وولي عدة وظائف دينية، وعرض عليه قضاء دمشق فـي أوائـل الدولـة الناصرية فأبى أن يقبل ذلك. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٤١٥-٤١٧.

(٢) المنهل الصافي، ج١/ ص٤١٦-٤١٨.

يشتمل على ذكر ما وقع من الحوادث إلى يوم وفاته، ذيلت عليه في حياته من سنة أربعين وثمانمائة وسميته حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، وله تاريخه الكبير المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها، وله كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ذكر فيه من مات بعد مولده إلى يوم وفاته، وكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، وهو في غاية الحسن، وكتاب نحل عبر النحل، وكتاب تجريد التوحيد، وكتاب مجمع الفرائد ومنبع الفوائد، وكتاب شذور العقود، وكتاب ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري، وكتاب الأوزان والأكيال الشرعية، وكتاب إزالة التعب والعنى في معرفة الحال في الغنى، وكتاب التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، وكتاب حصول الإنعام والمير في سؤال خاتمة الخير، وكتاب المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية، وكتاب البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب، وكتاب الطرفة الغريبة في أخبار دار حضرموت العجيبة، وكتاب في معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على من عداهم، وكتاب في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، وكتاب عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط، وكتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار أئمة الخلفاء، وله عدة تصانيف أخر"(١). وهكذا جاءت مؤلفاته التاريخية كثيرة ومتنوعة ولم يقتصر على فن تاريخي واحد.

ومن الجدير بالملاحظة أن السخاوي قد انفرد عن مؤرخي القرن التاسع الهجري في نقد المؤرخين، وبهذا فقد بَسط لسانه متناولاً بعض أهل عصره بالنقد السلبي من خلال العبارات الحادة والاتهامات، ومن الملاحظ أن أكثر الطبقات عُرضةً للنقد من السخاوي هي طبقة العلماء، ونرى ان السبب وراء ذلك تأثره بشيخه الحافظ ابن حجر، فصار لا يخرج عن غالب أقواله، فضلا عن السبب الشخصي هو تَعَصُّبه ضد بعض أهل عصره من الأقران المعاصرين، خصوصاً أكابر أقرانه الذين يجمعهم به التخصص الواحد.

---

(١) المنهل الصافي، ج١/ ص٤١٨-٤١٩.

ومن خلال تتبع السخاوي في كتابه الضوء اللامع ، تَبين أن النواحي التي يقع فيها النقد تتلخّص فـــي الســـيرة العلميـــة للمتـــرجم لـــه ، ومـــن ذلـــك انتقـــاده للمقريـــزي حيث قال : " كان حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ولذلك يكثر له فيهم وقوع التحريف والسقط وربما صحف في المتون مما رأيته بخطه في ذلك ابن البدر وهو بفتح الـدال الموحدة والدال المهملة فضبطه بخطه بالبدل وعلي بن منصور الكرجي شيخ السلفي وهو بالجيم فضبطه بالخاء المعجمة وكثيراً ما يجعل عبد الله عبيد الله وعكسه بل وبلغني أنه جعل أبا طاهر بن محمش راوي الحديث المسلسل بالأولية حين حدث به بالخاء المعجمة بدل المهملة، وأما فـي المتأخرين فقد انفرد في تراجمهم بما لا يوافق عليه كقوله في ابن الملقن أنه كان يسيء الصـلاة جداً وكان مع ذلك يكثر الاعتماد على من لا يوثق به من غيـر عـزو إليـه... وكـان كثيـر الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها وأما الوقائع الإسلامية ومعرفة الرجال وأسمائهم والجرح والتعديل والمراتب والسير وغير ذلك من أسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه"[١].

وأخطر ما قاله هو اتهامه للمقريزي بالسرقة، يلاحظ ذلك من قوله:" وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة، وهو مفيدٌ لكونه ظَفِرَ بِمُسَوّدة الأوحدي كما سبق في ترجمته، فأخذها وزادها زوائد غير طائلة "[٢].

والواقع نحن لا نستطيع ان نأخذ بكلام السخاوي ضد المقريزي، وذلك لان المقريزي في ترجمته للمؤرخ احمد بن عبد الله الاوحدي (ت٨١١هـ/١٤١١م)[٣] قد اعترف بانتفاعه بتلك المسودات، حيث قال ما نصه :" واستفدتُ منه كثيراً في التاريخ ، وأعانني الله بمسوداتٍ من خطهِ في خِطَطِ القاهرة ضمنتها كتابي الكبير المسمى بكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار"[١].

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٢.

(٣) احمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان، شهاب الدين الاوحدي المُقرىء المؤرخ الاديب، نسبة لبيبـرس الأوحدي نائب القلعة لكون جده لما قدم من بلاد الشرق سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م اتصل بخدمتـه ونـاب عنـه

وهذا ما نجده ايضاً عند السخاوي نفسه عندما يترجم لهذا المؤرخ فيقول: " وفي ترجمته من عقود المقريزي فوائد واعترف بانتفاعه بمسوداته في الخطط" [٢].

والذي يمكن ان يفسر لنا موقف السخاوي، هو الشهرة الواسعة التي نالها المقريزي في حياته وبعد مماته من خلال مؤلفاته التاريخية المذكورة آنفاً، لا سيما والسخاوي مصري ومن علماء القرن التاسع الهجري.

اما مواقف بقية من ترجموا للمقريزي، أذ كانت مواقفهم من علميته ايجابية على خلاف ما ذكره السخاوي ضده، فهذا ابن حجر العسقلاني شيخ السخاوي قال عنه:" نظر في عدة فنون، وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً وصنف فيه كتباً... وكان إماماً بارعاً مفنناً متقناً ضابطاً ديناً خيرا "[٣].

ونذكر هنا ما قاله تلميذ المقريزي المؤرخ ابن تغري بردي حول مؤلفات شيخه، إذ وصف كتاب إمتاع الأسماع بانه نفيس جداً، وقال عن كتاب الخطط إنه في غاية الحسن[٤] .

بالقلعة فشهر به، ولد بالقاهرة سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦١م ، وكان ضابطاً متفناً ذاكراً لكثير من القراءات حافظاً للكثير من التاريخ، لاسيما اخبار مصر، فانه لا يكاد يشذ عنه من اخبار ملوكها وخلفائها وامرائها، وخطط دورها، مع معرفة النحو والعروض والنظم الحسن والحفظ في الفقه لمذهب الشافعي . المقريزي، درر العقود، ج١/ ص١٨٥-١٨٦.

(١) درر العقود، ج١/ ص١٨٦.

(٢) الضوء اللامع، ج١/ ص٣٥٩

(٣) انباء الغمر، ج٢/ ص١٨٩.

(٤) المنهل الصافي، ج١/ ص٤١٨-٤١٩.

وربما كان مدح ابن تغري بردي للمقريزي هو الذي يقف وراء انتقاد السخاوي لابن تغري بردي ايضاً، حيث قال عن مؤلفاته بما نصه: " وفيها الوهم الكثير والخلط الغزير مما يعرفه النقاد والكثير من ذلك، ومنه السقط في الأنساب كتسمية الحجار أحمد بن نعمة مع كون نعمة جده الأعلى وكحذفه ما يتكرر من الأسماء في النسب أو الزيادة فيه بأن يكون في النسب ثلاثة محمدين فيجعلهم أربعة أو أربعة فيجعلهم خمسة... والقلب كأن يكون المترجم طالباً لواحد فيجعله شيخاً له... والتصحيف والتحريف كالغرافي بالفاء والغين المعجمة يجعله مرة بالقاف ومرة بالعين والقاف مخففاً وكالحسامية بالخشابية وتسعين بسبعين وعكسه وابن سكر حيث ضبطه بالشين المعجمة وفريد الدين بمؤيد الدين... والتغيير كسليمان من سلمان وعكسه وعبد الله من أبي عبد الله وسعد من سعد الله ونبا حيث جعله علياً وعبد الغفار صاحب الحاوي حيث جعله عبد الوهاب وابن أبي جمرة الولي الشهير حيث جعله محمداً وصلاح الدين خليل بن السابق أحد رؤساء الشام سماه محمداً وعبد الرحمن البوتيجي الشهير جعله أبا بكر وأحمد بن علي القلقشندي صاحب صبح الأعشى سمى والده عبد الله"[١].

واتهمه اتهامات اخرى مثل: " التكرير فيكتب الرجل في موضعين مرة في إبرهيم ومرة في أحمد وربما تنبه لذلك فيجوز كونه أخاً ثانياً "[٢].

" وإشهار المترجم بما لا يكون به مشهوراً حيث يروم التشبه بابن خلكان أو الصفدي فيما يكتبانه بهامش أول الترجمة لسهولة الكشف عنه ككتابته مقابل ترجمة أحمد بن محمد بن عبد المعطي جد قاضي المالكية بمكة المحيوي عبد القادر مانصه ابن طراد النحوي الحجازي"[٣].

و" شرحه لبعض الألقاب بما لا أصل له حيث قال في ابن حجر نسبة إلى آل حجر يسكنون الجنوب الآخر على بلاد الحرية وأرضهم قابس"[٤].

---

(١) الضوء اللامع، ج١٠/ ص٣٠٧

(٢) المصدر نفسه، ج١٠/ ص٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١٠/ ص٣٠٧

(٤) اللضوء اللامع، ج١٠/ ص٣٠٧

و" لحنه الواضح وما أشبهه كأزوجه في زوجه والحياة في الحيا والمجاز في المزاج وأجعزه في أزعجه واليكابة في الكآبة والحطيط في الحضيض ومنتضمه في منتظمه وظنين في ضنين"[١].

و" يذكر في الحوادث ما لم يتفق كأنه كان يكتب بمجرد السماع كقوله في الشهاب بن عربشاه مع زعمه أنه من شيوخه أنه استقر في قضاء الحنفية بحماة في صفر سنة أربع وخمسين عوضاً عن ابن الصواف وأن ابن الصواف قدم في العشر الثاني من الشهر الذي يليه فأعيد في أواخر جمادى الآخرة، وهذا لم يتفق كما أخبرني به الجمالي بن السابق الحموي وكفى به عمدة سيما في أخبار بلده"[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ج١٠/ ص٣٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١٠/ ص٣٠٧-٣٠٨.

وعلى الرغم من موقف السخاوي منه ونقده إياه علمياً، فانه قال فيه: " وبالجملة، فقد كان حسن العشرة تام العقل والسكون"[١]. وعلى هذا نجد ان انتقاد السخاوي لابن تغري بردي لم يكن انتقاد لشخصيته ولا لحسن سيرته، وإنما الانتقاد موجه الى المادة العلمية وعدم الدقة في نقل الحوادث التاريخية، فلاحظ السخاوي سقوط بعض الأسماء أو زيادة في ذكر الأنساب، ووجود الأخطاء اللغوية ،وأن السبب الذي دفع السخاوي للتدقيق والمتابعة بهفواته التي لا تعد من الأخطاء التي تقلل من قيمة الشخص وتؤثر على علميته، هو دافع شخصي، تمثل بوقوف ابن تغري بردي موقفاً ايجابياً من شيخه المقريزي الذي انتقده السخاوي نقداً لاذعاً وكأن السخاوي أغاضه هذا الموقف لذلك أجهد نفسه في تتبع أخطاء ابن تغري بردي وعرضها في ترجمته، والواقع ان النظر في مؤلفات المقريزي وابن تغري بردي والسخاوي لا نجد ما يرجح كفة السخاوي على هذين المؤرخين فالمقريزي الف مؤلفات ذائعة الصيت لا زالت مشهورة حتى اليوم وتناول فيها مواضيع متنوعة وقد تكون نادرة احياناً، فزيادة على ما ذكر اعلاه من مؤلفاته هناك كتاب اغاثة الامة بكشف الغمة وهو من المؤلفات النادرة في بابها حيث تناول فيها المجاعات والكوارث الطبيعية التي حلت بمصر ونتائجها، ثم ان ابن تغري بردي الف كتاب حوادث الدهور على مدى الأيام والشهور سجل فيه أحداث عصره بالأيام بل بالساعات احياناً، ويعد هذا الكتاب من اهم الكتب التي تؤرخ للمجتمع المملوكي وهو نادر في بابه ايضاً، اما كتابه الآخر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي الذي اقتصر على تراجم الشخصيات المملوكية فهو لا يقل شأناً عن كتاب الضوء اللامع للسخاوي والذي يصب في ذات الباب.

---

(١) المصدر نفسه، ج١٠/ ص٣٠٦.

ومن المؤرخين الذين نقدهم السخاوي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد السـيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)[١]. حيث ترجم السخاوي للسيوطي ترجمة قاتمة" غالبُها ثَلْـب فظيـع، وسَب شنيع وانتقاص، وغَمط لمناقبه تصريحاً وتلويحاً"[٢]. ومن جملة ما ذكره السّخاوي في حقِّ السيوطي:

" أنه لم يُمعن الطَّلَبَ في كل الفنون" [٣]. وهذه ليست منقصه لأنه يندر ان نجد مؤرخاً اتقن جميع العلوم المعروفة آنذاك. علماً ان السيوطي وكما هو مشهور عنه قد ألف مئات الكتب في مختلف فروع المعرفة.

وانتقده لأنه" أخذ من كتب المكتبة المحمودية وغيرها؛ كثيراً من المؤلفات التي لا عهد لكثير من المعاصرين بها في فُنون عدة، فَغَيَّرَ فيها ونَسَبها لنفسه، وهول في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما لا يوفي ببعضه[٤]. وهذا اتهام صريح بالسرقة، ولم يعط دليلاً يسنده.

---

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد السيوطي، ولد في سنة (٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م) من ام تركية، ونشأ يتيماً فحفظ القرآن و (عمدة الاحكام) و (منهاج النووي) لمحيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) و (الفية النحو) لأبن مالك، وختم القرآن، واخذ عن الجلال المحلي والزين العقبي وحضر مجلس الحـافظ أبـن حجر، وأجيز بالإفتاء والتدريس، وذكر تلميذه الداودي في ترجمته أسماء شيوخه فبلغ عـددهم (٥١) عالمـاً وذكر مؤلفاته التي فاقت (٥٠٠) مؤلف والتي اشتهرت في أقطار الأرض شرقاً وغرباً. ينظـر: السـخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ص ٦٥-٦٧؛ زيدان، تأريخ آداب اللغة العربية، ج٣/ ص٢٤٤-٢٥٠.

(٢) الشوكاني، البدر الطالع، ج١/ ص٣١٢.

(٣) الضوء اللامع، ج٤/ ص ٦٦.

(٤) المصدر نفسه،ج٤/ ص٦٦.

وبحسب ما تتبعناه في مقدمة كتاب السيوطي بغية الوعاة، وجدت ان كلام السخاوي بعيد عن الموضوعية التي يجب ان يتسم بها المؤرخ؛ وذلك لان السيوطي صرح بوضوح انه اتبع منهجاً يقوم على تلخيص بعض المدونات الطوال في مجلد واحد، حيث قال:" فجمعت كل ما تضمنته هذه الكتب المذكورة من ترجمة نحوي، طالت او قصرت، خفيت اخباره او اشتهرت، واوردت من فوائدهم واخبارهم ومناظراتهم واشعارهم ومروياتهم ومفرداتهم ما لم يجتمع في كتاب، بحيث بلغت المسودة سبع مجلدات... وقفتُ عليها صديقنا نجم الدين ابن فهد... فأشار عليّ بأن ألخص منها طبقات في مجلد يحتوي على المهم من التراجم"[١].

وكذلك نلاحظه ان السخاوي ينسب الى السيوطي" الحمق" وهذا نجده في ترجمة علي بن محمد الاشموني(٩١٨هـ/١٥١٢م)[٢]، فيقول: " وكنت ممن قرض نظمه لجمع الجوامع وراج أمره هناك ورجح السيوطي مع اشتراكهما في الحمق غير أن ذلك أرجح"[٣]. وهو انتقاص شديد من شخصية علمية ذائعة الصيت كالمؤرخ السيوطي صاحب المؤلفات التاريخية مثل حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة وتاريخ الخلفاء والشماريخ في علم التاريخ وغيرها من المصادر المهمة.

---

(١) بغية الوعاة، ج١/ ص٥-٦.

(٢) علي بن محمد بن عيسى بن يوسف بن محمد النور أبو الحسن بن الشمس بن الشرف الأشموني القاهري الشافعي ويعرف بالأشموني. ولد سنة(٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م) بنواحي قناطر السباع ونشأ فحفظ القرآن والمنهاج وجمع الجوامع وألفية النحو، فأخذ في الفقه عن المجلي والعلم البلقيني والمناوي والبامي ولازمه كثيراً، وهو أول شيوخه وكذا أخذ في الأصلين والعربية والفرائض وغيرها عن جماعة ومن شيوخه في ذلك وغيره الكافيجي وسيف الدين التقي الحصني. السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٦/ ص٥.

ونقد السيوطي ايضاً خلال ترجمته لأبي النجا بن خلف المصري(من اعلام القرن التاسع الهجري)[1]، حيث وصفه بالحاسد حينما قال: "وتزايد الإقبال عليه بحيث حسده جلال الدين السيوطي لإقبال أهل خطته بجامع طولون ونحوها عليه ولم يلتفت الناس إليه بل أشبعوه كلاماً وملاماً وحملوا صاحب الترجمة على عقد المجلس بالبيبرسية محل جلوس هذا المسكين"[2]. أي السيوطي.

ولقد رَد السيوطي على هذه التُّهم في بعض ما ألّف، وأفرد ما ورد عند السخاوي في الضوء اللامع من حطٍّ وتشنيع بجزء مفرد سمّاه: الكاوي في الرد على السخاوي[3].

كما دَفَعَ الشُّوكاني هذه المطاعن، وأجاب عنها ثم قال: " السخاوي رحمه الله وإن كان إماماً غير مدفوع، لكنه كثير التّحامل على أكابر أقرانه، كما يَعْرِف ذلك مَن طالع كتابه الضوء اللامع، فإنه لا يُقيم لهم وزْناً بل لا يَسْلَمُ غالبُهم مِن الْحَطِّ منه عليه، وإنما يُعظِّم شيوخَه وتلامذته ومن لم يعرفه ممن مات في أول القرن التاسع قبل موته، أو من كان من غير مِصْره، أو يرجو خيره أو يَخافُ شَرَّهُ "[4].

---

(١) أبو النجا بن خلف بن محمد بن محمد بن علي المصري الشافعي، ولد سنة(٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م) بمصر العتيقة ونشأ بالمدرسة الخليلية منها فحفظ القرآن وجانباً من كتب الحنفية فقهاً وأصولاً ثم شفعه أبوه فقرأ الحاوي الصغير وجمع الجوامع والمفيد ي النحو وتحول معه إلى فوة ولازمه في العلوم وقرأ عليه المجرد في غريب الحديث ثم شرح الشافية للسيد الركن ثم ألفية النحو وشرحيها لابن الناظم والمرادي ثم الرضي ثم المتوسط ولم يكمله ثم شرح التسهيل للمصنف ثم المختصر والمطول ثم شرح الصحائف للسمرقندي في علم الكلام ثم شرح الكنز للزيلعي وشرح المنار في أصول الحنفية وغير ذلك من تفسير وعربية. السخاوي، الضوء اللامع، ج١١/ ص١٤٣-١٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١١/ ص١٤٤.

(٣) الشوكاني، البدر الطالع، ج١/ ص٣١٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١/ ص٣١٢.

وكذلك نلاحظ أن السيوطي بدوره ينتقد السخاوي قائلاً: "محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي شمس الدين، المحدث المؤرخ الجارح، ولد سنة إِحدى وثلاثين وثمانمائَة، وحضر إملاء الحافظ بن حجر صغيرا فحبب إِليهِ الحديث، فلازم مجالسه، وكتب كثيرا من مصنفاته بِخَطهِ. وسمع الكثير جدا على المسندين بمصر والشام والحجاز، وانتقى وخرج لنفسهِ ولغيره مع كثرة لحنه وعريه من كل علم بِحيث أَنه لَا يحسن من غير الفن الحديثي شيئا أصلا. ثم أكب على التاريخ فافنى فيه عمره، وأغرق فيهِ عمله وسلق فيه أَعراض الناس، وملأه بمساوئ الخلق، وكل مَا رموا بِه أَن صدقا وَإِن كذبا. وَزعم أَنه قَامَ فِي ذلك بواجب، وهو الجرح والتعديل، وهذا جهل مُبين وضلال وافتراء على الله. بل قام بمحرم كبير، وباء بوزر كثير... وإِنما نبهت على ذلك لِئَلَّا يغتر بِهِ، أَو يعتمد على ما في تاريخه من الازراء بالناس خصوصا العلماء ولا يلتفت إِليه"[1].

ويظهر ان العلاقة بين الاثنين كانت متشنجه وأن أهم أسباب هذا العداء هو التنافس العلمي، ولكن يلاحظ ان السيوطي لم يرد على التهم الموجهه اليه من قبل السخاوي، بل دافع عن عموم الناس الذين جرحهم السخاوي، متهماً اياه بانه لا يعرف من العلوم المعروفة آنذاك الا علم الحديث النبوي الشريف، أما التأريخ فقد جيره السخاوي وفقاً لرأي السيوطي للخوض في أعراض الناس مؤكداً ان ما قام به السخاوي عمل لا شرعي.

---

(١) نظم العقيان،ج١/ ص١٥٢-١٥٣.

المبحث الثالث

نقد الأدباء واللغويين

وجّه المؤرخون المصريون خلال القرن التاسع الهجري عدة أنواع من النقد للمترجم لهم، ومن هؤلاء الأدباء واللغويون، مؤكدين في نقدهم على السيرة العلمية للمترجم له، من حيث معرفتـــه بعلوم اللغة صرفها ونحوها وبلاغتها، وعروض الشعر وقوافيه، أي المقاييس اللغوية التي حددها علماء اللغة لجودة الأسلوب وفصاحته،

فمن حيث منزلة المترجم له ومكانته، يقدم ابن تغري بردي وصفاً لابن الصباغ النحــوي (ت ٧٢٧هــ/ ١٢٢٦م)[١] بقوله:" برع في الأصول والنحو والأدب واللغة، وكان إمام وقته... وكان فيه خير وعبادة وزهد، وله جلالة ووقار... وكان عالم الكوفة وفاضلها في زمانه"[٢].

---

(١) عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح، الإمام العالم العلامة محيي الدين الأسدي الحنفي النحوي، يعــرف بابن الصباغ، مولده سنة(٦٣٩هــ/ ١٢٤١م)، وحفظ القرآن العزيز، وحفظ عدة مختصرات في مذهبه، وتفقه بعلماء عصره، عرض عليه تدريس المستنصرية فأبى وامتنع وتعفف، وأجاز له الرضى الصاغاني، والموفق الكواشي، وبالعامة من ابن الخير، وكتب عنه العفيف المطري، وأجاز لابن رافع المفيد، انتهت إليــه رئاســة السادة الحنفية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ ص٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٧/ ص٨٥.

ويضيف بعض المؤرخين احياناً في ترجمة الادباء منجزاتهم الادبية الى جانب تقييم علمي لتجربتهم في مجال الأدب ومن امثلة ذلك الأديب عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي(ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)[١]، الذي وصف بانه: " كان مشكور السيرة ماهراً في الفقه والأدب ونظم قصيدة على قافية الراء من بحر الطويل ألف بيت ضمنها غرائب المسائل في مذهب الحنفية وشرحها في مجلدين وهي نظم جيد متمكن"[٢].

وكذلك ما جاء في ترجمة الشيخ شهاب الدين الأشموني النحوي (ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م)[٣]، " كان بارعاً في النحو، له فيه تصانيف جيدة ومشاركة في عدة علوم، وكانت له يد طولى في النظم والنثر ومعرفة تامة بالأدبيات، ونظم قصيدة عَلَى روي اللام في النحو سماها التحفة الأدبية في علم العربية"[٤]. وهذا يعني ان ابن تغري بردي اطلع على ذلك الكتاب حتى عرف محتواه.

---

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي، ولد قبل الثلاثين واشتغل وتمهر وتميز في العربية والفقه والقراءات والأدب، وله شرح درر البحار تصنيف الشيخ شمس الين القونوي الذي جمع فيه مجمع البحرين وضم إليه مذهب أحمد وعاش القونوي بعده مدة طويلة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٤٢١.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٤٢٤.

(٣) أحمد بن محمد بن منصور بن عبد الله، الشيخ شهاب الدين الأشموني الحنفي النحوي، وكان قد مال إلى مذهب أهل الظاهر ثم انحرف عنهم وأكثر من الوقيعة فيهم، صنف كتاباً في فضل لا اله الا الله، وكان يقرأ على العراقي، في صحيح البخاري. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١١٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٢٧.

(٤) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٢/ ص١١٣.

وهـذا مـا نجـده أيضـا عنـد المقريـزي حينمـا وصـف احمـد بـن علـي البهنسـي المالكي(ت ٨١١هـ/ ١٤٠٩م)[١]، اذ قال: " برع بالعربية وفي الأدب، وقـال الشـعر... مـع الذكاء المفرط، جميل المحاضرة، وحسن المعاشرة، صحبته سنين فلم أرَ إلا خيرا، ومن محاسنه أنه كان لا يكاد يُرى غضبان، بل لا يزال بشوشا"[٢]. ان صحبة المؤرخ للمترجم تمنحه فرصـة التعرف على سجاياه وسلوكياته وهذا ما فعله المقريزي مع هذا المترجم لـه، اذ اشـاد بعلمـه واخلاقه.

وهناك من مؤرخي التراجم من جمع النقد السلبي والايجابي في ترجمة واحدة ومـن ذلـك مـا ذكره ابن تغري بردي في ترجمة عز الدين الاربلي(ت ٦٦٠هـ/ ١٣٥٨م)[٣]:" كان بارعاً فـي العربية، والأدب، رأساً في علوم الأوائل... وكان حسن المناظرة خبيث الهجو... وكـان قـذراً، رزيء الشكل، قبيح المنظر، لا يتوقى النجاسات"[٤].

---

(١) احمد بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى، تاج الدين أبو العباس ابن علاء الدين ابـن الظريـف، البهنسي الأصل، المالكي، ولد سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، وسمع سنن أبي داود على ناصر الدين محمـد بـن محمد بن ابي القاسم التونسي عن ابن خطيب المزة، وكتب التوقيع للقضاة فلم يدانه احد في معرفـة الوثـائق والسجلات ولا سرعة كتابتها. ينظر: المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٢٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٥٧.

(٣) الحسن بن محمد بن احمد بن نجا العلامة عز الدين الاربلي الفيلسوف الضرير، ولـد سـنة ٥٨٠هـ/ ١١٦٤م، توفى بقرية أفشا من اعمال نصيبين. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥/ ص١٢٣-١٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٥/ ص١٢٤.

ونلاحظ أن بعض المؤرخين المصريين خلال القرن التاسع الهجري، انتقدوا شعر المتــرجم لـــه بشكل واضح: فمن ذلك قول ابن تغري بردي في ترجمة إبراهيم بن علي بـــن خليـــل، الأديـــب الشاعر أبو إسحاق الحراني المسيدي، المعروف بعين بصل(٧٠٩هـ/١٣٠٩م)[١]، "كان فقيـــرا ويمدح الأعيان والأكابر، ويتكسب... له شعر كثير، وشعره غير مـــتلاحم النســـج ولا مســـتقيم النهج"[٢].

ونستنتج من هذا النقد أن هذا المؤرخ قد انتقد حالة اجتماعية كانت بارزة في تلك الفتـــرة ولا زالت وهي نظم الشعر لدافع اقتصادي هو توفير سبل العيش.

وذهب بعض المؤرخين الى نقد السيرة العلمية للمترجم له، كنحو قول ابن حجـــر فـــي وصـــف الشـــــاعر علـــــي بـــــن ســـــعيد الخيـــــاط الصـــــبيبي الملقـــــب بالشـــــوش (ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م)[٣] إذ قال: "كان يتعانى النظم ويدعى إنه أشعر من المتنبي وأبي تمـــام وينشد من شعره الكثير فيعجب به ويحلف إن الإنس والجن يعجزون أن يأتوا بمثله وكان قليـــل البضاعة من العلم"[٤].

---

(١) إبراهيم بن علي بن خليل، الأديب الشاعر، أبو إسحاق الحراني المســـيدي، المعـــروف بعـــين بصـــل، (٧٠٩ه/١٣٠٩م)، وكان عين بصل فقيراً يهبه الناسُ قماشاً، وما يكلفونه معاشاً، وكان يلبس القطعة مدة، وإذا أفلس باعها، ومد إليها كف نفقته وباعها. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٤٤؛ ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج١/ ص١٢٠-١٢١

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص١٢٠-١٢١؛ الدليل الشافي، ج١/ ص٢٢.

(٣) علي بن سعيد الصبيبي بمهملة وموحدتين مصغرا علاء الدين أبو سعيد الخياط الشاعر يلقب بالشوش بمعجمتين الأولى مضمومة والواو ساكنة ولد(بعد ٧٠٠هـ/ ١٢٩٨م) نسبة إلى قلعة الصبية وهي قلعة بين صفد ودمشق، ومدينة هذه القلعة بليدة بانياس. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٥١-٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٣/ ص٥١-٥٢.

وانتقد ابن حجر الاديب أحمد بن محمد بـــن علـــي الدنيســـري شـــهاب الـــدين ابـــن العطـــار الأديب(٧٩٤هــ/ ١٣٩٢م)[١]، لأنه كان يمدح الأكابر ونظم في الوقائع وله بديعية على طريقــة الحلي ولم يكن ماهراً في العربية وقد تهاجى هو والأديب البارع شرف الـــدين عيســـى العاليــة وجمع كتاباً سماه نزه الناظر في المثل السائر وغير ذلك[٢].

وابـــن حجـــر لـــم يعـــط دلـــيلاً علـــى عـــدم معرفـــة المتـــرجم باللغـــة العربيـــة ، ولهذا فالبحـــث يقتضـــي الوقـــوف علـــى الترجمـــة لمـــؤرخ اكثـــر قربـــاً للمتـــرجم مـــن ابن حجر العسقلاني ، ونجد ترجمته عند المقريزي بما يخالف ما جاء به ابن حجر اذ قال: " قرأ القراءات، واخذ طرفا من الفقه على مذهب الشافعي، وغلب علية الأدب، وأكثر منه بحيـــث لـــم تكن واقعة ولا حادثة من جد أو هزل إلا وينظم فيها، كان لطيف العشرة، حسن الصحبة، حاضر النادرة، وقال الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان ينظم الفنون الســـبعة، وصـــحبته ســـنين عديدة، وأنشدني كثيرا"[٣]. فالصحبه التي امتدت لسنوات عدة جعلت من المقريزي اكثر درايـــة به من غيره.

ونضيف الى هذا ما ذكره ابن تغري بردي عنه قائلاً: " وكان بارعاً ذكياً، وعنده فضـــيلة تامـــة ومشاركة جيدة في عدة علوم، وله تصانيف مفيدة تزيد عَلَى ثلاثين مصنفاً... ونظم الشعر وهـــو ابن ثلاثة عشر سنة، وكان له اليد الطولى في النظم والنثر"[٤].

---

(١) أحمد بن محمد بن علي الدنيسري شهاب الدين ابن العطار الأديب القـــاهري ، ولـــد قبـــل(٧٤٦هــــــ/ ١٣٤٥م)، واشتغل بالفقه على المذهب الشافعي، ثم تولع بالأدب ونظم الشعر، وعنده فضيلة تامة ومشـــاركة جيدة في عدة علوم، وله تصانيف مفيدة تزيد عَلَى ثلاثين مصنفاً. المقريـــزي، درر العقـــود، ج١/ ص٢٠٣-٢٠٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج١/ ص٣٨٨-٣٨٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٧٧.

(٢) المصدر نفسه ، ج١/ ص٢٨٧.

(٣) درر العقود، ج١/ ص٢٠٣-٢٠٦.

(٤) المنهل الصافي، ج٢/ ص١٧٧-١٧٨.

ويبدو ان ابن تغري بردي اعتمد ترجمة المقريزي وليس ابن حجر، لان الاديب المترجم مـــات قبل ولادة ابن تغري بردي سنة ٨١٣هــ/ ١٤١٠م فكان لابد ان يتـــرجم لـــه بالاعتمـــاد علـــى المصادر فوقع اختياره على ترجمة المقريزي له.

ونقد السخاوي الاديب فضل الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبـــراهيم بـــن مكـــانس(ت ٨٢٢هــ/ ١٤١٩م)[١]،" كان قليل البضاعة من العربية فربما وقع له اللحن الظاهر وأما الخفـــي فكثير جداً"[٢].

وكان على السخاوي او غيره من مؤلفي التراجم حينما ينتقدوا احداً ان يدللوا على ذلـــك بأدلـــة تاريخية، اذ كان بإمكانه ان يذكر امثلة على ما وقع به من اللحن.

---

(١) فضل الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس، ولد في شعبان سنة ٧٦٩هــ/١٣٦٧م، ونشأ في نعمة وعز في كنف أبيه، فتخرج وتأدب ومهر ونظم الشعر وهو صغير السن جــداً، وكـــان أبـــوه يصحب الشيخ بدر الدين البشتكي فانتدبه لتأديب ولده، ونظم الشعر الفائق، وباشر في حياة أبيه توقيع الدســت بدمشق وكان أبوه وزيراً بها، ثم قدم القاهرة وساءت حالته بعد أبيه، ثم خدم في ديوان الإنشاء وتنقلت رتبتـــه فيه إلى أن جاءت الدولة المؤيدية، فأحسن القاضي ناصر الدين البارزي كثيراً واعتنى به . ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص١٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٦/ ص١٧٢.

وهنالك من ينتقد السلوك الأخلاقي للمترجم : كوصف السيوطي لابن الخشاب النحوي(ت ٥٦٧هـ/ ١١٧١م)[١] " قال القفطي: كان بخيلا مبتذلا في ملبسه وعيشه، قليل المبالاة بحفظ ناموس العلم، يلعب بالشطرنج مع العوام على قارعة الطريق، ويقف في الشوارع على حلق المشعبذين واللاعبين بالقرود والدباب، كثير المزاح واللعب، وكان يتعمم بالعمامة، فتبقى مدة على حالها حتى تسود مما يلي راسه، وتتقطع من الوسخ، وترمى عليها الطيور ذرقها، ولم يتزوج ولا تسرى، وكان اذا حضر سوق الكتب واراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة ، وقال: انه مقطوع ، ليأخذه بثمن بخس ، وإذا استعار من احد كتابا وطالبه به ، قال: دخل بين الكتب فلا اقدر عليه"[٢]. ويتضح ان المصدر الذي اخذ منه السيوطي عن هذا المترجم، هو القفطي ولكنه لم يعلق على هذه الترجمة التي نقلها، ولم يعط رأيه كمورخ، وتركها دون ان يتدخل بها مما يدلل على انه كان موافقاً على ما جاء بها.

ونجد ان السيوطي احياناً يقدم نقداً لاذعاً لبعض المترجمين كقوله في ترجمة ابن الشحنة الموصلي(ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)[٣] : " كان خبيث اللسان، هجاء لكل من صحبه، سيء العقيدة، كثير الاستهزاء بالأمور الدينية، متهما على شرب الخمر"[١].

---

(١) عبد الله بن احمد بن احمد بن احمد بن عبد الله بن نصر ابن الخشاب ابو محمد النحوي، كان أعلم اهل زمانه بالنحو، وكانت له معرفة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم الا وكانت له فيه يد حسنة، قرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي وغيره، والحساب والهندسة على أبي بكر بن عبد الباقي الانصاري، وسمع الحديث من ابي الغنائم الترسي وأبي القاسم بن الحصين، وأبي العز بن كادش وجماعة، ولم يزل يقرا حتى علا على اقرانه، وانتفعوا به وتخرج به جماعة وروي كثيرا من الحديث. السيوطي، بغية الوعاة، ج٢/ ص٢٩-٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٩-٣١؛ ضاحي، العزوف عن الزواج، ص٤٥-٤٦.

(٣) عمر بن محمد بن علي بن ابي نصر المعروف بابن الشحنة الموصلي، عالم بالنحو واللغة، أخذ عن علماء بغداد كابن الانباري وابن العصار، وورد اربل، وقرأ بمستعمل القراءات وشواذها. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج٢/ ص٢٢٤.

أما احمد بن علي بن مسعود بن عبد الله المعروف بابن السقاء(ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، فقد وصف بانه : " كان أديبا فاضلا حسن المعرفة بالنحو، كيسا سمع من أبي الوقت، وجمع مجموعا كثيرا... لم يكن محمود السيرة "[٢]. والواقع ان في هذه الترجمة تناقض واضح فكيف يكون فاضلاً وكيساً ثم ان سيرته لم تكن جيدة.

وكذلك في وصف النحوي نجم الدين محمد بن قيصر(ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م)[٣]: " وكان كثير الهجاء سيء السيرة "[٤].

ومما وجدناه من هذا ما أورده المقريزي في أحمد بن محمود بن صدقة الحلبي(٧٦٧هـ/١٣٦٦م)[٥] إذ قال:" برع في الأدب، وكان يتزيا بزي الأجناد، وله ذكاء ونظم جيد ونثر بديع، إلا أنه كان بذيء اللسان، ينتقص الأكابر ويقع في السلف، فاتهم بالزندقة، وأقيمت عليه البينة لمقالاته الرديئة، فضرب عنقه بحلب سنة سبع وستين وسبع مئة بحكم قاضي المالكية صدر الدين احمد الدميري وقد جاوز خمسين سنة "[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٣٤٧.

(٣) محمد بن قيصر بن عبد الله البغدادي الأصل المارديني نجم الدين النحوي، كان أبوه مملوكاً لبعض التجار واشتغل هو ففاق في النحو والتصريف والمعاني والقراآت والعروض وغير ذلك وصنف في جميع ذلك وله قصيدة على وزن الشاطبية بغير رمز ولحق ياقوت المستعصمي فكتب عليه وجود طريقته وعليه كتب أهل ماردين. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص١٤٨.

(٤) السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٢١٦.

(٥) أحمد بن محمود الحلبي بن إسماعيل بن إبراهيم بن صدقة الحلبي الأديب ، كان أديباً فاضلاً، ماهراً فِي النظم والنثر والكتابة . ينظر: ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣١٥-٣١٦؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٩٥.

(٦) درر العقود، ج١/ ص٢١١-٢١٢.

وترجمه ابن تغري بردي بقوله: " كان أديباً فاضلاً، ماهراً في النظم والنثر والكتابة، وغير ذلك، إلاَّ أنه كان مولعاً بالفسق وشرب الخمر، وثلب أعراض الناس، وكان يلبس زي الأجناد، وكان كثير الوقيعة، في السلف، فحفظ عليه كلمات شهد عليه بِها تقتضي زندقته، وثبت ذلك عليه عند القاضي صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر الدميري المالكي فحبس، فكتب وهو في الحبس إِلى القاضي تاج الدين السبكي بقصيدة يسأله حقن دمه منها:

ولكن سآوي عند طوفان غدرهم ... إِلَى جبل الآلاء تاج الْعلى السُّبكي

فلما بلغته القصيدة هم بحقن دمه، وكَانَ حاضراً عنده أبو المعالي ابن عشائر الحلبي، فعرفه بسوء سيرته وَمَا يقع منه من الكفريات، ورجعه عن ذَلِكَ، فعند ذَلِكَ حكم القاضي المالكي المشار إِليه بزندقته، وحكم بقتله، وضرب عنقه تحت قلعة حلب" [١].

وبهذا نجد أغلب المؤرخين قد اتفقوا على نقد صاحب الترجمة واتهامه بالزندقة.

وكذلك نلاحظه في ترجمة زين الدين ابن الخراط (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) [٢] فيذكره ابن تغري بردي قائلاً: " وكان فاضلاً، أديباً بليغاً، كان يسلك في نظمه الفحولية وطريقة السلف من القوة والحماسة، ومدح الملك الأشرف بقصيدة عندما أسر ملك قبرس جينوس الفرنجي[١]، وأنشدها بحضرته في أعيان الدولة، وخلع عليه... وأجاب الشيخ زين الدين المذكور أهل المغرب، لما أرسلوا لطلب نجدة من الملك الأشرف برسباي، بقصيدة طنانة سمعتها من لفظه، ثم قال والله ما يقدر أحد ان يأتي بمثل هذه القصيدة، وبلغ ما قاله الحافظ شهاب الدين قاضي القضاة شيخ الإسلام ابن حجر فقال: نعم، صدق"[٢].

---

(١) المنهل الصافي، ج٢/ ص٩٥-٩٦.

(٢) زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد اللّه، المعروف بابن الخراط المروزى الأصل، ثم الحموى، الأديب، الشاعر، مولده بحماة في سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م)، ونشأ بحلب وتفقه بها، وبرع في الأدب، واتصل بخدمة نائبها الأمير جكم من عوض، وله فيه غرر مدائح، ثم ولي في الدولة المؤيدة شيخ كتابة سر طرابلس، ثم عزل عنها، وولي كتابة الإنشاء بالقاهرة، واستمر على ذلك إلى أن توفى ليلة الثلاثاء ثاني

والحق إن هذا الحكم القطعي الذي اصدره هذا الأديب مدعياً فيه تفوقه علـــى جميـــع الادبـــاء وعجزهم عن مجارات شعره لا يمكن الأخذ به، والغريب أن بعض المؤرخين الذين ترجموا لـــه وافقوه على ذلك او سكتوا عن رده.

المحرم سنة(٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م). المقريزي، السلوك ، ج٣/ ص٣٩٧؛ ابن حجـر، انبـاء الغمـر، ج٢/ ص١٣٨.

(١) جَيْنُوس بن جاك بن بيدو بن أنطون بن جينوس الفرنجي، متملك جزيرة قبرص، ملكها بعد مـوت أبيـه جاك في حدود سنة(٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م)، واستمر بها إلى أن قبض عليه العساكر الإسلامية من قبـل الملـك الأشرف، وقدموا به إلى القاهرة من جملة الأسرى، وأقام جينوس هذا بالقاهرة مدة، ثم أعاده الملك الأشـرف إلى مملكته، بعد أن ضرب عليه الجزية في كل سنة، إلى أن توفى سنة(٨٣٥هـ/ ١٤٢٦م). وملك قبـرص من بعده ابنه جوُآن. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥/ ص٤٦.

(٢) المنهل الصافي، ج٧/ ص٢١٣-٢١٤.

الفصل الرابع

نقد فئات المجتمع الاخرى

المبحث الأول : **نقد الاطباء**

المبحث الثاني : **نقد التجار**

المبحث الثالث: **نقد أصحاب المهن والصناعات**

المبحث الرابع : **نقد الأقارب والأصدقاء**

قسم المؤرخ ابن خلدون المجتمع المصري الى سلطان ورعية[١]، وقصد بالسلطان السلطة الحاكمة والفئات المرتبطه بها، أما الرعية فهم المصريون بجميع طوائفهم وفئاتهم، وأما المقريزي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) فقد قسم المجتمع المصري في عصره الى سبع طوائف[٢]، فقد جعل أهل الدولة على رأس الهرم ثم بين تفاوت المستوى الاقتصادي لكل فئة حسب نشاطها في المجتمع وجعل أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوي الرفاهية على قمة الرعية، يليهم متوسطو الحال من التجار وارباب السوق، واهل الفلح، والفقهاء ويشملون طلاب العلم، وارباب الصنائع والمهن، وذوو الحاجة والمسكنة [٣].

ومن البديهي أنه كانت هنالك فوارق بين الشرائح الاجتماعية، فالمجتمع المصري قد انقسم الى طبقتين هما الحكام والمحكومون، وأن بعض فئات المصريين كانت على قدر من الثراء بفضل التجارة أو غيرها، مما جعلهم يتميزون عن بقية الرعية، ونلاحظ أن هنالك فئات قد أصبحت ضمن الفئات الخاصة المقربة من السلطة الحاكمة، وقد تقدموا في الدولة فبعضهم أصبح يتولى عدة مناصب مهمة منها منصب القضاء فضلا عن تولي التدريس وهذا ما نجده في مهنة الطب أيضاً.

أما فيما يخص فئة التجار التي برزت في عصر السلاطين المماليك واصبحت مقربة من السلطة الحاكمة بسبب توليهم مناصب مهمة في الدولة، وحاجة الدولة اليهم في تلبية متطلباتهم من البضائع والسلع والرقيق.

ومن فئات المجتمع الأخرى أصحاب المهن والصناعات الذين امتهنوا عدة صناعات كان لها تاثيرها في المجتمع المصري، فسوف نلاحظ أن هنالك من الصناع من مهر في صنعته وقد

---

(١) المقدمة، ص١٨٣.

(٢) اغاثة الامة، ص٧٢-٧٣.

(٣) السلوك، ج٢/ ص٨١١؛ عاشور، المجتمع المصري، ص١٧.

لقب بلقب المعلم، وأن من المهن من أصبح لها مكانة وعلاقة بالسلطة الحاكمة وهي مهنة البناء والهندسة، أما مهنة التجليد والنسخ فمرتبطة ارتباط بالجانب العلمي لكونها لها علاقة بالتدوين.

وسيلاحظ المتأمل في ترجمة هؤلاء الحرفيين أن المؤرخين لم يذكروا أغلب سنيّ وفياتهم، فضلا عن الاستطراد بتفصيل تراجمهم؛ ويبدو أن السبب في ذلك يعود الى ان هؤلاء أصحاب مهن شعبية اغلبهم من الطبقة العامة، ولم يكونوا من المشاهير كي تحفظ تواريخ وفياتهم.

المبحث الأول

نقد الاطباء

كانت مصر في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، قد شهدت اهتماماً بالطب والاطباء، وسوف نستعرض سيرهم للوقوف على سلوكياتهم ومجهوداتهم لخدمة المجتمع ضمن المدة موضوعة البحث.

ومن الأطباء من حاز على ثقة السلاطين والأمراء المماليك في مصر، فكان الاطباء يجلسون على ابواب الخلفاء والسلاطين ينتظرون الأمر بالدخول لعلاج من يمرض من أهل القصر(١)، فضلاً عن تولي بعضهم مناصب معينة.

ومن الأطباء الذين تقدموا في دولة السلطان الناصر محمد بن قلاوون خلال سلطته الثالثة(٧٤١-٧٤٢هـ/١٣١٠-١٣١٢م)، والسلطان الاشرف علاء الدين جك(٧٤٢هـ/١٣١٢م)، والسلطان الناصر شهاب الدين احمد بن ناصر(٧٤٢-٧٤٣هـ/١٣١٢-١٣١٣م)، الطبيب السديد الدمياطي اليهودي(ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)(٢)، وصفه ابن تغري بردي بأنه " كان السديد فاضلاً في الطب وغيره، ويستحضر كثيراً من كلام الأطباء... لم يكن في عصره مثله في العلاج"(٣). ومن المؤكد ان ابن تغري بردي اعتمد في تقييمه لهذا الطبيب على ما شاع عنه من أخبار طيبة في مجال عمله لان هذا المؤرخ لم يكن طبيباً حتى يعطي رأيه به كطبيب.

---

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣/ ص٥٦٩.

(٢) السديد الدمياطي الطبيب اليهودي، كان من أطباء الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهذا السديد خلاف أبي أولاد السديد القوصيين، كانوا جماعة منهم: جمال الدين محمد بن عبد الوهاب، ومنهم شمس الدين أحمد بن علي، ومنهم مجد الدين هبة الله بن علي. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥/ ص٣٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٥/ ص٣٨٤.

ومن أهم الاطباء الذين عاشوا في كنف دولة سلاطين المماليك في عهد السلطان المنصور قلاوون الطبيب ابن النفيس(ت ٧٩٧هـ/١٣٩٥م)[١] الذي وصفه ابن تغري بردي بأنه:" كان إماماً في الطب كثير الحفظ لمتونه، جيد التدبير، حاذقاً، ماهراً، مقرباً عند الملوك والأكابر، رأساً في صناعته، وهو صاحب التصانيف"[٢]. ونستنتج من هذا ان كثرة التأليف في هذا المجال هو دلالة من دلالات التقدم في ذلك العلم والمعرفة به، وربما إطلع هذا المؤرخ على بعض مؤلفاته حتى مدحه بهذا الشكل.

ونلاحظ بروز بيوتات اشتهرت بصنعة الطب مثل أسرة ابن صغير، وعلى الرغم من قلة المؤلفات الطبية لأطباء بني صغير إلا أن شهرة العائلة تكمن في أنها قدمت أطباء عالجوا سلاطين المماليك وأمرائهم، وبخاصة في عهد الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٩م) ، وقد ذاعت شهرة احد أفراد هذه الأسرة في عصر سلاطين المماليك، لما كان يتصف به من صفات تمثلت بروح التسامح ومساعدة الناس بمال قد افرده للثواب، فضلاً عن مساعدتهم بقيمة الدواء، وهو الطبيب علي بن عبد الواحد المعروف بابن صغير (ت ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م)[٣] الذي ترجمه ابن حجر بقوله: " كان فاضلاً مفنناً انتهت إليه المعرفة ... وكان له مال قدر خمسة آلاف دينار قد أفرده للقرض، فكان يقرض من يحتاج إلى ذلك برهن من غير استفضال بل

---

(١) بديع بن نفيس، الشيخ الإمام صدر الدين التبريزي، الحكيم الطبيب رئيس الأطباء، نشأ بدمشق واشتغل بها على مهذب الدين الدخوارى، عم القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر، ولم يزل بديع المذكور في رئاسة الطب إلى أن مات. ينظر: بدر الدين العيني، عقد الجمان، ج١/ ص٢٠٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ ص٢٤٤-٢٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٤٤.

(٣) علي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير علاء الدين بن نجم الدين بن شرف الدين رئيس الأطباء بالديار المصرية، مات بحلب في ذي الحجة، ثم نقلته ابنته إلى مصر فدفنته بتربتهم، وكان ذا حدس صائب جداً يحفظ عنه المصريون من ذلك أشياء، وكان حسن الصورة بهي الشكل جميل الشيبة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٧٩؛ انباء الغمر، ج١/ ص١٨٢.

ابتغاء للثواب، كان يصف الدواء للموسر بأربعين ألفاً ويصف الدواء في ذلك الداء بعينه للمعسر بفلس"(١). وهكذا نجد ان اشادة ابن حجر بهذا الطبيب جاء عبر تقييم مكانته كطبيب واجادته لهذه المهنة، ومن ثم تعامله مع المرضى والمحتاجين بأنسانية قلما نجدها عند الاطبـــاء المتــرجمين، ولذلك نال المدح الذي سجله عنه ابن حجر.

وهذا ما فعله السخاوي ايضاً مع المترجم التالي حيث امتدح مكانته كطبيب وسلوكه مع الناس اذ قال عن الطبيب حفيد الطبيب علاء الدين بن صغير وهو عمــر بــن الصــغير(ت٨٦٧هــــ/ ١٤٦٢م)(٢) " تميز في الطب بحفظ جعل منه نافعاً وعالج المرضى بل قيــل أنــه اســتقر فــي الرياسة... وكان ظريفاً لطيف العشرة "(٣).

وقد وصل بعض الاطباء الى أبعد من ذلك، وهذا ما نجده في تفضيل السلطان محمد بن قلاوون(٦٧٨-٦٨٩هــ/١٢٧٩-١٢٩٠م) للطبيب جمال الدين ابن المغربي(ت٧٥٦هــ/ ١٣٥٥م)(٤)، على سائر رجال دولته، فكانت بينهما علاقة ود حميمة، حتى اصبح رئيس الأطباء، فكان السلطان ينادمه ويسأله عن أحوال البلاد ومن فيها من القضاة، وحال المحتسب، وعامة الناس، وبالرغم من تلك المكانة المرموقة التي وصل لها فانه لم يأخذه الكبر يوما ولا يرى نفسه الا واحدا من الاطباء، فمن الصفات التي اتصف بها ذلك الطبيب انه كان يوقر كبار السن ويخاطبهم

---

(١) الدرر الكامنة، ج٣/ ص٨٠.

(٢) عمر بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد السراج بن البدر بن ناصر الدين بن الرئيس العلاء القاهري الطبيب ويعرف كسلفه بابن صغير، ممن أخذ عن عمه والعز بن جماعة وصحب البدر الطنبدي. السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٦/ ص١٢٥.

(٤) إبراهيم بن أحمد، المعروف بابن المغربي، الرئيس جمال الدين أبو إسحاق، رئيس الأطباء، وكان أبوه شهاب الدين أوحد زمانه في الطب وأنواع الفضائل، لكن كان ولده صاحب الترجمة رزق حظا عظيما، ونال ما لم ينله غيره. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٣٥-٣٦.

بالأدب[1]، ويضيف ابن تغري بردي الى ذلك قوله: " وكان له الفضيلة الوافرة في الطب علما وعملا... وكان لا يعود مريضا إلا من ذوي السلطان، ولا يأتيه في الغالب إلا مرة واحدة ثم يقرر عنده طبيبا يواظبه ويأتيه بأخباره "[2].

ونستنتج من هذا النص أن هذا الطبيب تعامل مع الاخرين تعاملا مهنياً، كون هذه المهنة هي مهنة انسانية بعيدة عن التكبر والاستعلاء، فكان يتصف بصفات اخلاقية تجعل المقابل يتودد إليه ويقربه منه، وربما غمزه المؤرخ لأنه لم يزر مريضاً الا اذا كان من الطبقة الحاكمة.

ومكنت المكانة العلمية والمهنية للطبيب الوصول الى مناصب هامة في الدولة مثلما حدث مع الطبيب احمد الطيب المعروف بالحريري (ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)[3]، الذي ولاه السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٩م) عدة وظائف منها مشيخة خانقاه بشتاك[4]، وتدريس الجامع الخطيري

---

(١) المنهل الصافي، ج١/ ص٣٥-٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٣٦.

(٣) أحمد بن إسماعيل بن عبد الله الشهاب الطيب ويعرف بالحريري، اشتغل بالطب وتعانى الأدب ونظر في المنطق، اتصل بالملك الظاهر فأعطاه وظائف الشيخ علاء الدين الأقفهسي فأثرى وحسنت حاله وتزوج وسلك الطريق الحميدة . ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٣٣٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٤٠.

(٤) خانقاه بشتاك: هذه الخانقاه خارج القاهرة على جانب الخليج من البرّ الشرقيّ تجاه جامع بشتاك، أنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصريّ، وكان فتحها أوّل يوم من ذي الحجة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، وقد نسب إليها جماعة منهم الشيخ الأديب البارع بدر الدين محمد بن إبراهيم المعروف بالبدر البشتكي. ينظر: المقريزي، الخطط، ج٣/ ص١٨٢.

ببولاق[١]، والجامع الحاكمي[٢]، وصفه السخاوي قائلا: " كان ذكياً فاضلاً تعانى الاشتغال بالطب والأدب وفنوناً أخرى ومهر وكان يتزيا بزي الأعاجم في شكله وملبسه ثم ولي في آخر عمره بعض المناصب لما توصل إلى خدمة الظاهر" [٣].

واستمرت اشادة المؤرخين بمكانة الاطباء المهنية، وهذا ما نجده في ترجمة سليمان الدمشقي (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)[٤] الذي قال عنه ابن حجر:" أشتغل بالطب وتعانى العلاج فمهر فيه جداً " [٥].

وهذا ما نجده أيضا عند السيوطي في ترجمته لمظفر الدين ابن الأمشاطي رئيس الأطباء(ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)[١]، " برع في الطب ففاق فيه، ومهر في الميقات، والمساحة،

---

(١) جامع الخطيريّ: يقع الجامع بناحية بولاق خارج القاهرة، وكان هذا الموضع قديما عبارة عن منتزهاً يجتمع عنده الناس، ثم بنى هناك شرف الدين بن زنبور ساقية وعمر بجوارها رجل يُعرف بالحاج محمد بن عز الفرّاش داراً تشرف على النيل، فعُرفت بدار الفاسقين لكثرة ما يجري فيها من أنواع المحرّمات، فبيعت هذه الدار، فاشتراها الأمير عز الدين أيدمر الخطيريّ وهدمها وبنى مكانها هذا الجامع وسماه جامع التوبة، وبالغ في عمارته وتأنق في رخامه، وعمل له منبراً، وجعل فيه خزانة كتب جليلة نفيسة، ورتب فيه درساً للفقهاء الشافعية. المقريزي، الخطط، ج٣/ص٤٢-٤٣.

(٢) جامع الحاكمي: هذا الجامع بني خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة، وأول من أسسه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله فما وسع أمير الجيوش بدر الجمالي القاهرة وجعل أبوابها حيث هي اليوم بجامع الحاكم، ويقال له الجامع الأنور. المصدر نفسه، ج٢/ ص٤٩٥.

(٣) الضوء اللامع، ج١/ ص٢٤٠-٢٤١.

(٤) سليمان بن داود بن سليمان الدمشقي رئيس الاطباء، سمع شيئاً من الحديث على الكمال الدنيسري بقراءة البرزالي، وطلب إلى أسندمر نائب طرابلس وهو ضعيف فعالجه فبرىء فأعطاه كثيرا واشتهر امره وكان لا يعرف شيئا من الحكمة وإنما يعرف الطب بالتجارب وكان يصحب الصاحب شمس الدين وحصل كتبا عظيمة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص١٥١.

(٥) المصدر نفسه، ج٢/ ص١٥١.

وصنعة النفط، وولي تدريس الطب بالجامع الطولوني وغيره ... ونعم الرجل هو ديناً خيراً "[٢]. وهكذا جاء امتداح المؤرخ لهذا الطبيب لأجادته الطب ومهن اخرى، فضلاً عن حسن سلوكه الاجتماعي والديني.

ونجد عند بعض مؤرخي التراجم المصريين أنهم قد ركزوا على طائفة من الأطباء ممن فاقوا أقرانهم في صناعة الطب وله مؤلفات في هذه الصنعة، ومنهم الطبيب الماهر يوسف بن ابراهيم الداودي(ت٨٣١هـ/ ١٤٢٦م)[٣] قد: " برع في الطب وتصرف في العلاج به دهراً طويلاً، وعاشر الأكابر بما فيه من فضيلة وجميل محاضرة وحسن معاشرة "[٤]. وبهذا نجد ان المقريزي قد أكد في نقده على براعة هذا الطبيب في اختصاصه، وذكر له صفات وسلوكيات ايجابية قد مكنته وقربته من مصاحبة الاكابر(اصحاب السلطة).

أما ما يخص النقد السلبي، فنجد في ترجمة سراج الدين القاهري البهادري (ت ٨٣٤هـ/ ١٤٢٩م)[٥]، أنه " واكب على علم الطب، فحصل منه طرفا صالحا واشتهر به،

---

(١) محمود بن أحمد بن حسن بن يعقوب العيتابي الحنفي، الرئيس مظفر الدين ابن الأمشاطي رئيس الأطباء ، ولد في حدود سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م، بالقاهرة ونشأ فحفظ القرآن والنقاية في الفقه لصدر الشريعة وكافية ابن الحاجب. السيوطي، نظم العقيان، ج١/ص٦٠.

(٢) نظم العقيان، ج١/ص٦٠.

(٣) يوسف بن إبرهيم بن عبد الله بن داود بن أبي الفضل بن أبي المنجب ابن أبي الفتيان الجمال الداودي الطبيب، ولد في نحو سنة ثلاثين وسبعمائة، أول من أسلم من آبائه من أهل بيت يعترف لهم عامة اليهود بأنهم من ولد داود عليه السلام. المقريزي، درر العقود، ج٣/ ص٥٦١-٥٦٢؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج١٠/ ص٢٩٢.

(٤) المقريزي، المصدر نفسه، ج٣/ ص٥٦١-٥٦٢.

(٥) عمر بن منصور بن عبد الله السراج القاهري الحنفي ويعرف بالبهادري. ولد سنة اثنتين وستين وسبعمائة واشتغل بالفقه والعربية والطب والمعاني وغيرها حتى مهر واشتهر ودرس وصار يشار إليه في فضلاء الحنفية بحيث ناب في الحكم والأطباء بحيث انفرد فيه؛ واستقر في تدريسي البيمارستان وجامع طولون في الطب. ابن حجر، انباء الغمر، ج٢/ ص٨٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص١٣٩.

وعالج المرضى فلم ينجح علاجه ولا حمد تدبيره " [١]، ويؤيد السخاوي ما جاء به المقريزي فيقول: " ولم يكن محمود العلاج " [٢].

أما ابن تغري بردي فانه أختلف في تقييمه لهذا الطبيب عنهما حيث قال عنه: " وانفرد بالتقدم في علم الطب، فلم يخلف بعده مثله" [٣]. ونرى ان ما قاله المقريزي هو الارجح لأنه أقرب اليه زماناً من ابن تغري بردي، فضلاً عن أن المقريزي كان قد صحبه عدة سنين[٤] فهو اعرف به ومطلع على أحواله، اما السخاوي فقد تابع المقريزي ونقل منه تقييمه لذلك الطبيب.

---

(١) المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص٤٤١-٤٤٢.

(٢) الضوء اللامع، ج٦/ ص١٣٩.

(٣) المنهل الصافي، ج٤/ ص٢١٢.

(٤) درر العقود، ج٢/ ص٤٤١-٤٤٢.

المبحث الثاني

نقد التجار

من المعروف أن مصر قامت بنشاط تجاري كبير بين الشرق والغرب، مما ادى الى ثراء التجار وجعلهم طبقة مترفة ومتنفذة الى حد بعيد، وقد ادرك سلاطين المماليك هذه الحقيقة، وأحسوا أن طبقة التجار دون غيرها هي المصدر الأساس الذي يمد الدولة بالمال، لاسيما في ساعات الحرج والشدة، لذلك عمد السلاطين الى تقريب التجار منهم، واصطفوا منهم ندماء وأصحاباً، وهذا أمر نادر الحصول لغير المماليك، وهكذا أصبحت لهذه الفئة مع مرور الوقت مكانة متميزة في عصر سلاطين المماليك، بل أن بعضهم تقلد مراكز مهمة في الدولة، فاذا ارادوا مدح شخص قالوا عنه انه" من بيت تجارة ووجاهة " [١]، وفي دمياط ابيح لبعض التجار ان ينوبوا عن قضاتها[٢]، وكذلك نلاحظ أن هنالك ميزه قد امتاز بها بعض التجار تتعلق بحفظهم للقرآن وتبحرهم بالعلوم الدينية وبالأخص الفقه[٣].

ولهذا كان بديهياً أن يصبح لهذه الفئة تأثيرٌ ما على المجتمع، حتى أن بعض السلاطين لم يستطيعوا تجاهل هذه الشريحة المهمة، فعمدوا الى اشراكهم في الحياة السياسية، وكانت ممارسة التجارة على جميع مستوياتها من أهم الانشطة الاقتصادية، وكان لوجوه التجار مكانة اجتماعية مميزة في عصر المماليك.

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٤٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ص٤٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ص١٣٦ ص٧١ ،ص ١٣٦، ج٢/ ص٢٤٦، ج٣/ ص١٥٤.

ونلاحظ أن هنالك من التجار من كان له جاه عند السلاطين، وممن كان لوفاته الحزن والتأسف من قبل بعض السلاطين، ففي ترجمة الخواجا[١] عثمان بن محمد الاسعردي (ت ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)[٢]، ذكر ابن حجر: " كان له جاه وصيت في البلاد"[٣]، والسبب في ذلك ان هذا التاجر كان من بين التجار الذين احضروا والد السلطان برقوق الى القاهرة[٤].

ومن التجار من كان يتصف بالتسامح، فجعلوا للفقراء نصيبا من ثروتهم من باب التقوى، وهذا ما نجده في ترجمة ابن طسان(ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)[٥]، الذي:" كان أحد التجار المياسير، وله إحسان وأفضال ومال، ولا يشدد في تقاضي ماله من الدين، ويتصدق"[٦].

ويظهر من هذا الكلام ان المجتمع المصري كان يعاني من الفقر بسبب سياسات السلاطين المماليك مما دفع التجار الميسورين الى مساعدة الناس الفقراء.

وهناك بعض المؤرخين من ينتقد التاجر المترجم له نقدا ايجابيا لوجود اتصال مباشر معه اي ان وصفه كان عن ادراك ومشاهدة، ومن هؤلاء المقريزي الذي قال في ترجمة زكي الدين

---

(١) الخواجا: من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم وهو لفظ فارسي ومعناه السيد والخواجكي بزيادة كاف نسبة إليه للمبالغة وكأن الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٦/ ص١٢.

(٢) عثمان بن محمد بن أيوب بن مسافر الإسعردي، الخواجا، التاجر في المماليك، هو الذي أحضر والد برقوق إلى القاهرة، وهو الذي أحضره من قبل أبيه في دولة الأشراف، وكان قد سعى في إبطال مكس الرمان بدمشق، فاجيب إلى ذلك. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ ص٩٠.

(٤) المصدر نفسه،ج١/ ص٩٠.

(٥) يوسف بن أحمد بن ذبيان بن أبي الحسن البعلي، جمال الدين، التاجر، المعروف بابن طسان. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص١٠٧.

(٦) المصدر نفسه، ج١/ ص١٠٧.

الخروبي(ت ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م)[١] : " وهو احد الافراد في التجار الذين ادركتهم لكثرة مروءته وسؤدده ونبله"[٢].

وتحدث عنه ابن حجر قائلاً: " كان أبي قد أوصاه بي فنشأت عنده مدة إلى أن مات في المحرم وأنا مراهق... فتعانى الرئاسة وعظم قدره في الدولة وصار كبير التجار ورئيسهم وكثرت مكارمه ولم يمش على طريقة التجار في التقتير بل كان جواداً ممدحاً "[٣].

ومن التجار ممن كان له محاسن وأعمال قد اسهمت في المجتمع، وأصبحت له الرئاسه والشهرة التي برزت جراء اعماله التي حملت أسمه فيذكر ابن تغري بردي في ترجمة التاجر برهان الدين المحلي(ت٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)[٤]: " انتهت إليه رئاسة التجار في زمانه، وبلغ من الحظ في المتجر وسعة المال إلى الغاية، وكان عنده حشمة ومروءة... ولم يزل على رئاسته إلى أن توفى"[٥].

وعلى الرغم من اليسر والثروة الطائلة التي كان عليها بعض التجار الا انهم اتصفوا بالبساطة والتواضع وهذا ما نجده في ترجمة محمد بن احمد الحضرمي التاجر بثغر عدن(ت ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، الذي " كان كثير الأموال جداً متسع الأحوال ومع ذلك كان غاية في التواضع والتقلل

---

(١) أبو بكر بن علي بن أحمد بن محمد الخروبي زكي الدين، التاجر المشهور، ولد سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م تقريباً ونشأ مع أبيه، فكان منقطعاً بزاويته بشاطئ النيل الغربي بالجيزة، فلما مات عمه بدر الدين ثم مات والداه كان عصبتهما فورث مالاً كثيراً. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص١١٥.

(٢) المقريزي، درر العقود، ج١/ ص١٤٨.

(٣) انباء الغمر، ج١/ ص١١٥.

(٤) إبراهيم بن عمر بن علي، التاجر الرئيس برهان الدين المحلي المشهور، ذكر أنه من ذرية طلحة بن عبد الله، وأنه ولد في سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، فسماه جده لأمه العلامة شمس الدين محمد بن اللبان. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٣-٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٣-٢٤.

وخشونة الملبس بحيث كان خدمه يلبسون الثياب الفاخرة وهو لا يلبس إلا البياض من القطن ولم يحبس غريماً قط ولا رفعه لحاكم، ومحاسنه كثيرة "[1].

والملفت للنظر ان السخاوي وعلى الرغم من شهرته في انتقاده لسلبيات تراجم كتابه الضوء اللامع، الا أنه امتدح العديد من التجار ومنهم التاجر ابن العجمي(ت٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م)[2] حيث قال عنه: " فقرأ القرآن على ابن قاضي المنيظرة وفي الفقه يسيراً على العماد بن بيغوت الحنبلي، وتكسب بالتجارة، وكان قد سمع الصحيح على الزين عبد الرحمن بن الزعبوب وحدث لقيته ببعلبك فقرأت عليه؛ وكان خيراً محباً في الحديث وأهله"[3]. وعلى هذا المنوال نفسه نسج السخاوي في ترجمة التاجر ابن هشام محمد بن عبد الرحمن(ت ٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م)[4] الذي قال عنه: " وعرف بالديانة والثقة والأمانة والتحري في معاملاته وديانته... وحدث سمع منه الفضلاء"[5].

---

(١) المنهل الصافي، ج٣/ ص١٢٧.

(٢) حسن بن محمد بن حسين بن محمد البدر بن الشمس بن العز البعلي الحنبلي التاجر، ويعرف بابن العجمي. ولد ببعلبك قبل ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م ونشأ بها. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٣/ ص١٢٤.

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف ولي الدين أبو الفضل بن الزين بن العلامة سيبويه الجمال الأنصاري القاهري الشافعي التاجر، ويعرف بابن هشام، ولد سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م بالقاهرة ونشأ بها، واشتغل قليلاً في النحو على عمه المحب محمد والشمس البوصيري وسمع على التنوخي، وتكسب بالشهادة أولاً ثم تركها، وحج في سنة تسع عشرة، وتعاني التجارة وسافر بسببها إلى الشام واسكندرية والصعيد وغيرها. ينظر: السخاوي، المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٩١-٢٩٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٩٢.

وهذا ما نجده ايضا في ترجمة ابراهيم بن عبد الوهاب(ت٨٦٧هـ/ ١٤٦٣م)[١]، " نشأ ببغداد فحفظ القرآن... وكان خيراً مواظباً على الجماعات وحضور التصوف بسعيد السعداء حريصاً على الخير والقربات محباً في الحديث وأهله سليم الصدر متكسباً من التجارة على سداد وخير "[٢].

ومن ضمن هؤلاء التجار ممن كان فقيها ومتبحرا بالفقه، وهذا ما نجده في ترجمة ابراهيم بن احمد المالكي (ت ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م)[٣]، كان خيراً متعبداً كثير التلاوة حفظ في بعض الكتب الفقهية، وكان تاجراً مع التزامه بالعبادة والتلاوة [٤].

وهذا ما نجده ايضاً في ترجمة إبراهيم بن عبد الله ويعرف بابن العماد[٥]، الذي وصفه تلميذه السخاوي بقوله:" كان خيراً نير الشيبة جميل الهيئة يتكسب بالتجارة "[٦]. ويبدو ان هذا التاجر كان محدثاً اذ اكد السخاوي انه درس عليه في علم الحديث[٧].

واعتمد بعض المؤرخين على معرفته بالتاجر المترجم في ابداء ملاحظاته الشخصية عنه، وهذا ما نلاحظه في نقد ابن سياج احمد بن يوسف[١] اذ قال عنه السخاوي" رجل خير أنس سليم

---

(١) إبراهيم بن عبد الوهاب بن عبد السلام بن عبد القادر برهان الدين أبو إسحاق بن التاج البغدادي ثم القاهري الحنبلي التاجر، ولد في ثالث ذي الحجة سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م ببغداد ونشأ بها، سافر مع أبيه إلى مكة فجاور وسمع بها على ابن صديق في سنة ست وثمان مائة صحيح البخاري ومسند الدارمي وغيرما وقطن القاهرة وحدث فيها بالصحيح وغيره. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٧٣.

(٣) إبراهيم بن أحمد بن خلف النبي ثم القاهري المالكي التاجر بسوق العمى خارج باب الفتوح. ينظر: السخاوي، المصدر نفسه، ج١/ص١٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١/١٣٦.

(٥) إبراهيم بن عبد الله بن إسحق صارم الدين بن الجمال بن العماد البعلي الشافعي التاجر، ويعرف بابن العماد، ولد في سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م ببعلبك. ينظر: السخاوي، المصدر نفسه، ج١/ ص٧١.

(٦) المصدر نفسه، ج١/ ص٧١.

(٧) المصدر نفسه، ج١/ ص٧١.

الصدر من أهل القرآن والاعتناء بالتجارة صحب إمام الكاملية واشتغل يسيراً عليه وعلى غيره، ولازمني حتى قرأ البخاري... وحضر عندي عدة مجالس في الإملاء إلى غيرها مما سمعه ونعم الرجل"(٢).

وهذا ما فعله السخاوي ايضاً في ترجمته لحسن بن محمد الذي يعرف بالطاهر(ت٨٧١هـ/ ١٤٦٧م)(٣)، حيث قال عنه " كان خيراً ساكناً متواضعاً، ذا مروءة وإفضال بالتصدق والقرض لأهل الحرمين وغيرهم معظماً في الدولة عارفاً بأمور الدنيا بلغ الغاية في المعرفة بأمور التجارة حتى صار كبير التجار بمكة ومرجعهم مع صدق اللهجة، رأيته كثيراً وسمعت كلامه" (٤).

ومن المسائل والأمور الاخرى المهمة التي رفعت المكانة الاجتماعية للتجار، هو ان بعض الفقهاء والعلماء في عصر سلاطين المماليك قد عملوا في التجارة، وهذا ما نجده في ترجمة احمد بن محمد المعروف بابن المصري(٥)، الذي:" قرأ القرآن وحفظ العمدة والمنهاج وألفية النحو وعرض على جماعة واشتغل يسيراً في الفقه... وخطب بجامع الغمري بالمحلة وكذا قرأ فيه

---

(١) أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف الشهاب أبو العباس الزرعي الأصل المقدسي التاجر، ويعرف بابن سياج. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٤٦.

(٣) حسن بن محمد بن قاسم بن علي بن أحمد التاجر الكبير بدر الدين الصعدي اليمني نزيل مكة ويعرف بالطاهر، كان يذكر أنه من ذرية حمير بن سبأ؛ وأنه ولد في سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م بصعدة من اليمن ونشأ بها ثم سافر مع عمه إلى مكة فحج وعاد إليها فأقام ثلاثة أشهر ثم سافر في التجارة إلى عدن ثم إلى الديار المصرية بل ودخل أيضاً عدة بلاد من الهند، وولى نظر المسجد الحرام عوضاً عن القاضي أبي اليمن. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٢٧.

(٤) الضوء اللامع، ج٣/ ص١٢٧.

(٥) أحمد بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد الشهاب أبو العباس القاهري الأصل المحلي الشافعي التاجر ويعرف بابن المصري لكون جد أبيه أو جده منها، ولد في المحرم سنة٨٣٧هـ/١٤٣٣م. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص١٥٤.

الطلبة وناب في القضاء وصار أحد فضلاء بلده وأعيانها ممن أحسن النظم والنثر"[1]. ويبدو ان ما حصل عليه بعض تجار مصر من ثقافة عالية في مختلف العلوم اهلتهم لتبوء مناصب ومراكز مهمه في الدولة.

والذي يمكن تسجيله على ما جاء في تراجم التجار عند المؤرخين المصريين خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ان اغلب احكامهم جاءت ايجابية بحق اولئك التجار المترجمين، وربما عاد ذلك الى أن اغلب هؤلاء كانت لديهم ثقافة دينية، حيث درسوا القرآن والحديث والفقة فأثر ذلك في تعاملهم مع الناس وعلى ممارستهم لمهنة التجارة، والغريب أن تراجمهم اجمالاً كانت أفضل لكثير من تراجم القضاة عند مؤرخي مصر، اذ تعرض القضاة الى نقد لاذع جراء ما اقترفوه من تجاوزات حطت من قيمة منصب القضاء، على الرغم من ان القضاة تثقفوا دينياً أيضاً.

---

(١) الضوء اللامع، ج٣/ ص١٥٤.

المبحث الثالث

نقد اصحاب المِهَن والصناعات

ان الحرف والصناعات تكشف عن حالة المجتمع من حيث درجة ثرائه ورفاهية ابنائه او ما هو خلاف ذلك، والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك كان مجتمعاً طبقياً في اتجاهاته وعلاقاته، وهو الامر الذي انعكس بوضوح على كافة مظاهر الحياة اليومية، وان طبيعة النظام السياسي في ذلك العصر قد فرضت انماط الحرف والصناعات التي ازدهرت في المجتمع المصري، كما انها جعلت بعض هذه الحرف ترتبط بالناس في حين ارتبطت اخرى بالحكام.

وليس الهدف من هذه الدراسة ان نقدم احصاءً شاملا للحِرَف والصناعات، وإنما أن نتطرق فقط للحرف التي وجه لها مؤرخو التراجم المصريين نقدهم سواء كان نقدا ايجابيا أم سلبيا.

وقد ظهر من بين الصناع أفراد مهره نبغوا في صناعاتهم، أطلق عليهم لقب المعلم، وهو الشخص الذي بلغ ذروة المهارة في عمله، وكان لكل اصحاب مهنة او حرفة رئيس او شيخ يرأسهم ويفض مشاكلهم ويرجعون اليه في كل ما يهمهم، وهذا ما نجده في ترجمة شمس الدين الطولوني كبير المهندسين(ت٨٠١هـ/١٣٩٨م)[١] الذي وصِفَ بانه: " كان عارفا بصناعته تقدم

---

(١) أحمد بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي شهاب الدين بن المعلم شمس الدين الطولوني كبير المهندسين، كان أبوه وجده مهندسين وإليهما تقدمة الحجارين والبنائين بديار مصر وعليهما المعول في العمائر السلطانية، كان معلم السلطان ومهندسه، وشاد عمائره، ثم تزوج الملك الظاهر برقوق بأخته، فنال بمصاهرة السلطان السعادة، وأثرى وصار من ذوي الرئاسة، وتوجه إلى عمائر مكة غير مرة. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٢٨٣-٢٨٤.

فيها قديما مع حسن الشكالة والمنزلة المرتفعة عند الظاهر برقوق... وكان كبير الصـــناع فـــي العمائر ما بين بناء ونجار وحجار ونحوهم، ويقال له المعلم وكان من أعيان القاهرة"[١].

ويظهر من هذا النص المكانة الرفيعة التي احتلها هذا المهندس في المجال الذي يعمل به، ومن الحرف التي برزت في مصر وامتدح صاحبها حرفة النسخ، وان اكثر الذين امتهنوا هذه الصنعة هم من المقربين من المؤرخين، فمن النساخ من كان له علاقة طيبة بالمؤرخ السخاوي وهو علي نور الدين البيري القاهري الشافعي(ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)" أحد صلحاء صوفيتها... وكان يتكسب من النساخة ويراجعني في أشياء من الحديث وغيره ... وكنت أحبه رحمه الله "[٢].

وهذا ما نجده ايضا في ترجمة ابن حجر لمحمد كمال الدين[٣] الذي: " تكسب مع النساخة بحانوت في البر مع خير واستقامة وتقنع، وكثر تردده إلى بل كتب لي ولغيري من تصانيفي. ونعم الرجل ديناً وانجماعاً وسكوناً "[٤].

ومن الحرف الاخرى التي اشيد بأصحابها من قبل المؤرخين هي حرفة النجارة وهذا ما نجده في ترجمة محمد الشمس بن النجار الدمشقي الذي وصف بأنه:" كان نجاراً بارعاً في صنعته متقدماً فيها خصوصاً في الأشياء الدقيقة "[١].

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٦/ ص٥٨.

(٣) محمد كمال الدين بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم الجلال أبو عبد الله بن الشهاب العباسي بن السكمال الأنصاري القاهري الشافعي، ولد سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م بالقاهرة وحفظ القرآن وجوده عن الزين عبد الغني الهيثمي وكذا وجود الخط عن ابن الحمصاني المقري ويس وكتب به كثيراً من تصانيف أخيه وغيرها بل قرأ بحثا على المحيوي الدماطي المنهاج وغالب شرح الألفية لابن أم قاسم وعلى الجوجري جمع الجوامع وعلي الشرواني في أصول الدين والمنطق. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٤٥٨.

(٤) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٤٥٨-٤٥٩.

اما صنعة النشاب فقد برعت فيها شخصية تعد المرجع في هذه الصنعة حتى لقب بالنشابي، ففي ترجمة عمر بن احمد النشابي(ت ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)[٢] يصفه السخاوي بقوله: " تعلم بحلب صنعة النشاب فبرع فيها... كان خيراً حسن العشرة سخياً كثير التلاوة مواظباً على العبادة متواضعاً "[٣].

واشتهرت في تلك الفترة حرفة اتصلت بالملابس، وهي الخياطة فقد برز خياطون مهروا في هذه الصنعة وهذا ما نجده في ترجمة المقريزي لمحمد بن احمد الفيشي(ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)[٤] الذي" صار خياطا معتبرا يقترح على الخياطين فنونا، وله محبة في العلم واهله"[٥].

وكانت صناعة السكر احدى الحرف الغذائية المهمة في عصر سلاطين المماليك لارتباطها بمظاهر حياة الرفاهية التي عاشها السلاطين والأمراء من ناحية، ولارتباطها ببعض الاحتفالات والعادات والتقاليد الاجتماعية من جهة اخرى. وقد مدح مؤرخو التراجم بعض من امتهن هذه

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص١٠٧.

(٢) عمر بن أحمد بن يوسف العباسي الحلبي الحنفي ويعرف بالشريف النشابي، ولد في رجب سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م في البياضة من محال حلب وقرأ بها القرآن على الشمس الغزي وسمع وهو ابن سبع عشرة سنة البخاري بقراءة البرهان الحلبي بجامع حلب على بعض الشيوخ، واشتغل في فقه الحنفية على الزين الأعزازي ولازم الشيخ عبد الرحمن الكردي الشافعي فانتفع بمواعيده ودينه وخيره ثم رجع إلى القاهرة في نحو سنة عشرين فقطنها ولازم السراج قاري الهداية وارتزق من صنعة النشاب وكان المقدم فيها عند المؤيد فمن بعده من ملوك مصر إلى أثناء أيام الظاهر. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٧٣-٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٦/ ص٧٤.

(٤) محمد بن أحمد بن يوسف المعلم شقير الفيشي الخياط. ولد سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م. ينظر: المقريزي، درر العقود،ج٣/ ص١٣٥.

(٥) المصدر نفسه،ج٣/ ص١٣٥.

الصناعة، وهذا ما نجده في ترجمة تاج الدين القلعي المصري[١] " باشر بعض مطابخ السكر وكان كريم النفس متودداً محباً للمحدثين بشوشا "[٢]. اما في ترجمة محمد بن أحمد الأسيوطي (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) [٣]" كان فاضلا خيراً متعففاً يتكسب من طبخ السكر "[٤].

ومن الحرفيين من كان فقيهاً زاهداً، كريم النفس، له مكانة وتأثير في المجتمع الدمشقي، ومن ذلك ما ذكره ابن تغري بردي في ترجمته لأحمد بن موسى الزرعي(ت٧٦١هـ/ ١٣٦١م)[٥]" كان له كرامات... وكان يتقوت من عمل العبي بيده من الصوف، فكان إذا باع

---

(١) عبد الله بن علي بن عبد الواحد الاطفيحي تاج الدين القلعي المصري، سمع من البهاء محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان وحسن بن عمر الكردي والواني والدبوسي وعبد الله بن يوسف الدلاصي. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٧٦.

(٣) محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن أبي الفضائل عثمان بن أبي الحسن علي بن يوسف الشرف بن الشمس الأسيوطي ثم القاهري الشافعي ويعرف بالأسيوطي وأبوه بخادم أكمل الدين وكان صوفياً بالشيخونية. ولد في رجب سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، ونشأ فحفظ القرآن وكتباً وسمع علي التنوخي وابن أبي المجد وابن الشيخة والعراقي والهيثمي والفخر عثمان الشيشيني والشمس بن الحكار والنجم البالسي والبرشنسي وناصر الدين بن الفرات ووحيد الدين حفيد أبي حيان وآخرين. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٩/ ص٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٩/ ص٣٧.

(٥) أحمد بن موسى، الشيخ المعتقد أبو العباس الزرعي، الفقيه الصالح الزاهد، وكان يقيم بزرع من أعمال دمشق، اجتمع بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وكلمه في رفع مظلمة لأهل زرع، كان يتحصل منها في كل سنة ألف دينار فأبطلها، فلما خرج الشيخ من عند السلطان، قال السلطان: ما رأيت أهيب من هذا الرجل، وله من هذا حكايات. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٢٣١-٢٣٢.

العباءة أخذ ثمنها، فإن زادت عن قيمتها يترك الزيادة ويأخذ ما بقي، وكان له مريدون وشهرة كبيرة عند الناس، وكان لا يقبل من أحد شيئاً "[١].

ويضيف هذا المؤرخ معلومة اخرى عن هذا المترجم توضح مكانته عند اقطاب السلطة حيث قال:" كان يتردد إِلَيْهِ من أعيان الدولة، من نائب دمشق إلى من دونه، فإذا دخل إِلَيْهِ أحد من أكابر المملكة يُخاشنَهُ في القول، ويخاطبه بما يكره"[٢]. هذا يعني انه كان مراقب لعمل السلطة ويوجه لها النقد على ما كان يبدر منها من سلبيات.

---

(١) المنهل الصافي، ج٢/ ص٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه،ج٢/ ص٢٣٢.

المبحث الرابع

نقد الاقارب والأصدقاء

لم يغفل مؤرخو القرن التاسع الهجري باثبات علاقتهم بمترجميهم في مواضع كثيرة، مبينين رأيهم فيهم نقداً او تقويماً، وبهذا شمل النقد التاريخي سواء كان ايجابياً ام سلبياً شخصيات تتصل بالمؤرخ بصلة القرابة، او صداقة او زمالة، وتتحدد تلك العلاقة من حديث المؤرخ الذي يترجم لتلك الشخصية، من حيث سنوات الصحبة او الرفقة في السفر، او اتصاله عن طريق اشتغاله معه في الأمور الإدارية، وأحيانا يذكر المؤرخ هذه الصحبة ويؤكد عليها بعبارة معينة.

وان نقد المؤرخين لهؤلاء قد تميزت بالدقة؛ لأنهم عايشوا المترجمين، وشاهدوا واطلعوا على سلوكياتهم، وخبروا احوالهم، وكل ذلك قد ساعدهم في إصدار أحكام اقرب ما تكون الى الواقع.

ووجه السخاوي نقده الايجابي لاحد أصحابه واصفاً إياه بصفات تعكس سلوكه الديني والاخلاقي، وهذا ما نجده في ترجمة علي بن عبد العزيز بن أحمد الخروبي التاجر(ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م)[١] اذ قال: " وكان ذا مروءة وخيراً عفيفاً عن الفواحش ديناً متصوناً، أوصى بمائة ألف درهم فضة لعمارة الحرم الشريف المكي فعمر بها بعد الاحتراق، وكان والدي قد تزوج أخته التي ماتت قبله، وكان عمي زوج عمته وعمه زوج عمتي، فكانت بيننا مودة أكيدة، وكان بي براً محسناً شفوقاً جزاه الله خيراً "[٢]. وهذا اعتراف بالجميل من قبل السخاوي لما قدمه له ذلك التاجر، فضلاً عن انه ابدى رأيه الصريح به كمؤرخ.

---

(١) علي بن عبد العزيز بن أحمد الخروبي تقي الدين بن عز الدين بن صلاح الدين من أعيان التجار بمصر حج مراراً، ولد سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م، أنه كان هو وأبوه وجده من الأكابر تجار مصر، وهو آخر تجار مصر من الخراربة وخلف مالاً كثيراً ولقبه نور الدين وسمي جده محمد بن أحمد والظاهر أن محمداً والد صاحب الترجمة. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٢٤٤؛ الضوء اللامع، ج٥/ ص٢٤٠.

(٢) الضوء اللامع، ج٥/ ص٢٤٠.

ونلاحظ ان منهجية بعض المؤرخين المصريين في النقد التاريخي كانت تتصف بالأمانة العلمية وعدم المجاملة ، فقد رسم المقريزي لنا شكل العلاقة التي تربطه مع الأمير سودون الظاهري (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)[١]، الذي كان يعرف بسيدي سُودون بقوله:" ولقد صَحِبتُ سودون هذا مدة وأطاعه الله لي وأوصل إليَّ بواسطته نعمة ورياسة وأذله لي، فلم أر منه ما اكره قط "[٢]. وهكذا يفسر احسان هذا الامير له تفسيراً دينياً على اعتبار ان الله تعالى هو الذي جعله كذلك.

ولعل منهجه النقدي هو الذي يعطي لنا صورة عن بعض جوانب سياسة هذا الأمير، وصفاته السلوكية اذ قال: " كان فيه من شراسة الخلق وشدة البطش وسرعة الغضب وكثرة الشح وزيادة الطمع "[٣].

ونلاحظ أن منهجية النقد التاريخي عند بعض المؤرخين المصريين خلال القرن التاسع الهجري، دفعتهم الى نقد كبار الشخصيات التي تربطهم بهم علاقة ما.

فالمؤرخ المقريزي الذي كان له صحبة مع الوزير ماجد بن عبد الرزاق بن غراب، الصاحب فخر الدين(ت ٨١١هـ/ ١٤١١م)[٤]، وقد رسم لنا شكل العلاقة التي

---

(١) سودون قريب الظاهر برقوق ويعرف بسيدي سودون، قدم من جركس مع جدته لأمه أخت الظاهر وخالة أمه أم الأتابك بيبرس أخت الظاهر ومع جد أمه الأمير أنص والد الظاهر وأقاربه بطلب من الظاهر حين أتابكيته، وذلك في سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م فرباه في الحريم السلطاني فلما كبر وترعرع رقاه حتى صار مقدماً ثم أميراخور كبير ثم بعد موته قبض عليه وسجن باسكندرية ثم أفرج عنه واستقر دواداراً كبيراً مع أقطاع كبير؛ ثم لم يلبث أن استقر نائب الشام. ينظر: المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٨٤.

(٢) درر العقود، ج٢/ ص ١٠١-١٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢/ ص١٠٣.

(٤) ماجد بن عبد الرزاق بن غراب، الوزير الصاحب فخر الدين، ولد بثغر الاسكندرية، ونشأ بها، وباشر في ديوانها، فلما ولي اخوه سعد الدين ابراهيم نظر الخاص ولاه نظر الاسكندرية واستدعاه بعد موت الظاهر برقوق، فقدم في سنة ٨٠١هـ/١٣٨٨م، واستقر في الوزارة عوضا عن الامير شهاب الدين احمد بن

ربطت بينهما بقوله: " رافقته وأنا ألي الحسبة، وترددت اليه بعد تركي لها عدة سنين لما كان بيني وبين أخيه من الصحبة "[١]. ولعل منهجه الصحيح في النقد هو الذي يعطي لنا صورة عن بعض جوانب سياسة هذا الوزير، وصفاته السلوكية فيقول: " كان قَدَما، ضخما، هجم الصورة، قبيح السيرة، جاهلا، ألكنا، عسوفا، الا ان سعد اخيه كان سببا لترقيه... وكنتُ أشبهه بحمار عليه جُل من حرير"[٢]. وهو بهذا التشبيه حاول تشكيل صورة ذهنية للقارئ للمكانة الحقيقية لهذا الوزير. بينما وصفه السخاوي بقوله: "وكان سيء السيرة في مباشرته ظالماً عسوفاً جاهلاً مع حدة وقبح شكالة وضخامة "[٣]. وهكذا نرى ان هنالك اتفاقاً بين اثنين من اشهر مؤرخي مصر في عصر المماليك حول سلبية هذا الوزير.

وعلى الرغم من احترام الامير سيف الدين ابو المعالي يلبغا السالمي (ت ٨١١هـ/ ١٤٠٨م)[٤] للمقريزي لكن الأخير ينتقده بقوله: " صَحِبته سَفَرا وحضرا وكان

قطينة فصار اليه والى اخية عامة امور الدولة، وصرف في سنة ٨٠٩هـ /١٤٠٦معن الوزارة ، ونظر الخاص بالامير جمال الدين يوسف الاستادار وسلم اليه فعاقبه وسجنه بداره، ثم سلمه الى والي القاهرة فلم يزل يعاقبه حتى مات. المقريزي، درر العقود، ج٣/ ص٢٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٢٣٤-٢٣٥.

(١) المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٦.

(٣) الضوء اللامع، ج٦/ ص٢٣٤.

(٤) يلبغا أبو المعالي السالمي الظاهري برقوق الحنفي، وأنه سبي فجلب إلى مصر مع تاجر اسمه سالم فنسب إليه واشتراه برقوق وصيره من الخاصكية، وولاه نظر سعيد السعداء، ثم جعله أحد الأوصياء، ولم يلبث أن قبض عليه، ولم يزل بالسجن إلى أن قتل في محبسه خنقاً وهو صائم في رمضان . ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص٢٨٩.

لي مُجِلاً ومُعظما... الا انه كان متهورا في اخذ الاموال وانفاقها مع العسف واللجاج والوقوف مع ما يراه لا يزحزحه عنه شيء، ولا ينقاد الى احدٍ ويستبد برأيه، فيغلط غلطات لا تحتمل، ويستخف بمن سواه ويعجب بنفسه ويريد ان يجعل غايات ما يرومه مبادئ فينعكس الأمر عليه"[1].

وبهذا فأن اهم ما نلاحظه في المنهج النقدي للمقريزي هي الموضوعية التي تعد من الخصائص العلمية، ذلك ان هذه الموضوعية هي التي تضفي على انتقاداته وما يمكن ان يقدر لها من قيمة وأهمية.

ان علاقة المقريزي بالمترجم وصحبته له مدة طويلة جعلته مطلعاً على دقائق خصاله ، وهذا ما فعله ايضاً مع القاضي كمال الدين عمر بن إبراهيم بن محمد، قاضي القضاة أبو حفص ابن العديم الحلبي الحنفي(ت٨١١هـ/ ١٤٠٩م)[2]، أذ قال فيه:" والذي برع في الفقه والأصول وغير ذلك، وولي قضاء القضاة الحنفية بحلب مرارا، وقدم القاهرة غير مرة أخرها بعد احتلال تيمورلنك للشام، وقد كثر ماله، وسعى بأهل الدولة حتى ولي قضاء القضاة بديار مصر،وكان من شر قُضاة مصر حُمقا ورقاعة وجراءة واقداما... وتهافتا على جمع المال، متظاهرا بالربا، وقحا فحاشا جسورا على الاستبدال بالاوقاف بحيث أتى هو وشيخه الملطي، ثم هو وابنه على اتلاف معظم اوقاف القاهرة ومصر تقربا لأهل الدولة وحواشيهم بما يحبون، وكان مع ذلك موسرا، كثير المال، ليس بحجاب بل يتبدل بالمشي على قدميه في الأسواق ويعرف فروع مذهبه وأصوله معرفة جيدة، وله مروءة وفيه عصبية لمن يقصده ويترامى عليه، وبالجملة فلم يكن من

---

(١) درر العقود، ج٣/ ص٥٤٨-٥٤٩.

(٢) عمر بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز، القاضي كمال الدين أبو القاسم الحلبي ثم المصري المعروف بابن العديم، ولد سنة(٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)، واشتغل ببلده، وناب في الحكم ثم استقل به في سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م، عوضاً عن ابن الجاولي، فباشره بحرمة وافرة وحصل أملاكاً وثروة كبيرة، وكان وجيهاً عند الكبار وله حرمة وافرة، وقدم القاهرة غير مرة وفي الآخر استوطنها لما طرق الططر البلاد الشامية. ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٣٥١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٦٥-٦٦.

الله في شيء بل هو رجل من رجال الدنيا، ولقد كانت بيني وبينه صحبة أكيدة، وكان لي معظما يبادر الى قضاء حوائجي ولا يرد لي قولا الا ان الحق احق ان يتبع"(١).

ولكن هذا النقد من قبل المقريزي له سبب معين المح اليه المؤرخ ابن تغـري بـردي، دون ان يصرح به فيقول: " وكان القاضي كمال الدين المذكور رئيساً عالماً فاضلاً حشماً، وجيهاً عند الملوك وقوراً، وله مكارم وأفضال. وقد ثلبه الشيخ تقي الدين المقريزي بأمور هو بريء عنها، لأمر كان بينهما " (٢). والواقع ان موقف ابن تغري بردي يبقى ضعيفاً لعدم ذكره حقيقة الأمر.

ثم ترجم ابن تغري بردي لابن ذلك القاضي محمد(ت ٨١٩هـ/ ١٤١٦م)(٣) بما نصه: " وكان عالماً ذكياً فطناً، مع طيش وخفة، ومهابة وحرمة، وثروة وحشم. وقد ثلبه الشيخ تقي الدين المقريزي بقوادح ليست فيه، والإنصاف في ترجمته ما ذكرناه، وأنا أعرف بحاله من الشيخ تقي الدين وغيره، لكونه كان زوج كريمتي، ومات عنها"(٤). وعند النظر بما قاله هذا المؤرخ نجد ان السبب الذي قد يقف وراء دفاعه عن القاضي وابنه وهو المصاهرة، ثم ان ابن تغري بردي جرح الابن اذ وصفه بالطيش والخفة فلماذا لا يريد للمقريزي ان ينتقده.

---

(١) درر العقود، ج٢/ ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٢) النجوم الزاهرة، ج٣/ ص٤٩٢.

(٣) محمد بن عمر بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة ناصر الدين أبو غانم وأبو عبد الله بن الكمال أبي القسم وأبي حفص بن الجمال أبي إسحاق العقيلي الحلبي ثم القاهري الحنفي ويعرف كسلفه بابن العديم وبابن أبي جرادة، ولد في سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م بحلب وحفظ بها في صغره كتباً واشتغل على مشايخها كأبيه وأسمع على مسندها عمر بن أيدغمش وغيره، وقدم القاهرة مع أبيه وهو شاب فشغله في فنون على غير واحد من الشيوخ كقاري الهداية؛ وقرأ بنفسه على الزين العراقي قليلاً من ألفيته، مات قبل استكمال ثمان وعشرين سنة. السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٢١٦.

(٤) النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٦٠.

اما رأي السخاوي بالقاضي كمال الدين المذكور فدونه بما نصه:" وكان الكمال كثيــر المــروءة متواضعاً بشوشاً كثير الجرأة والإقدام والمبادرة في القيام في حظ نفسه، محباً في جمع المال بكل طريق عفا الله عنه، استقل بالقضاء سنة أربع وتسعين وسبعمائة عوضاً عن جمال الــدين ابــن الحــــــــــــافظ فباشــــــــــــــــــره بحرمــــــــــــــــــة وافــــــــــــــــــرة ، وكان رئيساً له مروءة وعصبية عارفاً بأمور الدنيا ومعاشرة الأكابر ومخالطة أهل الدولة "[1].

اما رأيه بابنه فيقول:"... وأوصاه أن لا يترك منصب القضاء ولو ذهب فيه جميع ما خلفه فقبــل الوصية وبذل حتى استقر فيه... كثير الوقيعة في العلماء قليل المبالاة بأمر الدين كثير التظــاهر بالمعاصي سيما الربا بل كان سيئ المعاملة جداً احمق أهوج متهورا... وقد امتحن فــي الدولــة الناصرية على يد الوزير سعد الدين البشري وصودر مع كونه قاضيا، وبالجملة فكان من سيئات الدهر" [2]. وهكذا جاء حكم السخاوي معاضداً لحكم المقريزي تجاه هذا القاضي وأفعاله السلبية.

ونأى ابن حجر بنفسه عن التفصيل بخصال هذا القاضي فاجمل نقده له بعبارة مقتضــبة اخلــت بموقفه منه على الرغم من كونه ألّف كتاباً خاصاً بقضاة مصر ، فكان عليه ان يصــدر حكمــاً تفصيلياً وليس مختصراً كما هو الحال في النص الآتي: " وكان شهماً فصيحاً مقداماً، وكان يعاب بأشياء ويحمد بأشياء كثيرة من التعصب لمن يقصده والقيام مع من يلوذ بِهِ "[3].

ومن الالفاظ التي تدل على العلاقة الطيبة التي تربط المؤرخ مع صاحب الترجمة وهي عبارة(وكانت بيننا مودة) والتي تؤدي الى نقده نقدا ايجابيا، وهذا ما نجده في ترجمة حسين بن علي

---

(١) الضوء اللامع، ج٦/ ص٦٦.

(٢) المصدر نفسه،ج٨/ ص٢٣٥-٢٣٦.

(٣) رفع الإصر، ج١/ ص١٢٧.

الأذرعي(ت٨١٤هـ/١٤١١م)[١] أذ قال فيه ابن حجر:" وفاق في الفنون ودرس وأفتى وناظر، وناب في الحكم ثم تركه تورعاً... وكانت بيننا مودة، سمعت منه نظما وسمع مني "[٢].

والمتأمل في الضوء اللامع يقف على مواضع كثيرة، قد تابع السخاوي فيها شيخه ابن حجر في نقل وصفٍ جارح في حق المترجم له، كقوله عند ترجمة فتح الله بن مستعصم الداودي (ت ٨١٦ هـ/ ١٤١٣م) [٣]: " قال شيخُنا وكانت خصاله كلها حميدة إلا البُخل والحرص والشح المفرط..."[٤]، وهذا يعني انه كان يأخذ هذه الاوصاف والأحكام من شيخه مباشرة وعلى علاتها. اما المقريزي فكان اكثر دقة وتفصيلاً في نقدهِ لهذه الشخصية يتضح ذلك من قوله:" وكان من خير اهل زمانه رصانة عقل وديانة وطيب مقال وتنسكا ومحبة لسنة رسول الله ﷺ... مع حسن السفارة بين الناس وبين السلطان والصبر وكثرة الاحتمال والتؤدة وجودة الحافظة،... وكانت له فضائل جمة غطاها شحه حتى اختلق عليه أعداؤه معايب برأه الله منها فإني صحبته مدة طويلة تزيد على عشرين سنة ورافقته سفراً وحضراً فما علمت عليه إلا خيراً، وكان يعاب بالشح بجاهه كما يعاب بالشح بماله فإنه كان يخذل صديقه أحوج ما يكون إليه وقد جوزي بذلك فإنه لما

---

(١) حسين بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الأذرعي ثم الصالحي بدر الدين ابن قاضي أذرعات تفقه في صباه على الشرف ابن الشريشي والنجم بن الحاني وتعانى الأدب، ناب في الحكم ثم تركه تورعاً، وهو ممن أذن له البلقيني بالإفتاء لما قدم الشام، وكان يثني عليه كثيراً، ودخل القاهرة بعد الكائنة العظمى، ومات بالطاعون. ينظر: ابن حجر: انباء انباء الغمر، ج١/ ص٣٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٣٨٧.

(٣) فتح الله بن مستعصم بن نفيس فتح الدين الإسرائيلي الداودي التبريزي الحنفي كاتب السر، ولد بتبريز سنة٧٥٩هـ/١٣٥٨م، وقدم مع أبيه القاهرة، وتردد إلى مجالس العلم، وتميز في الطب وباشر العلاج، واستقر في رياسة الطب، ثم عالج برقوق فأعجبه، واختص به وصار له عنده مجلس لا يحضر معه فيه غيره، فلما مات البدر محمود الكلستاني قرره في كتابة السر. المقريزي، درر العقود، ج٣/ ص٨-١٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ص ١٦٥.

(٤) الضوء اللامع، ج٦/ ص١٦٥-١٦٦.

نكب هذه المرة تخلى عنه كل أحد حتى عن الزيارة فلم يجد معيناً ولا مغيثاً فلا قوة إلا بـــالله"[١].

فبينما اكتفى السخاوي باختصار ايجابياته بعباره (الخصال الحميده) نرى المقريزي أخذ يفصـــل ويحدد تلك الخصال، ثم يذكر ما يعاب عليه، بل ذكر حتى نتائج سلبياته.

ومن القضاة الذين نقدهم المقريزي وقد صحبهم قاضي دمشق، محمد شـــمس الـــدين الاخنـــائي الدمشقي(٨١٦هــ/ ١٤١٣م)[٢]، اذ اورد ما نصه: " باشر القضاء مباشرة غيـــر مرضـــية ولا مشكورة،... وكان عاريا من العلم تردد إلي بدمشق مرارا وصحبته بها، وكان من رجال الـــدنيا العارفين بطرق السعي، واما الاخرة فما احسب له من نصيب الا ان يشاء ربي شيئا، انه غفـــور رحيم" [٣].

ويقترب السخاوي من موقف المقريزي تجاه هذا القاضي اذ يقول: " كان شـــكلاً ضـــخماً حسن الملتقى، كثير البشر والإحسان للطلبة، عارفاً بجمع المال كثير البذل له علـــى الوظـــائف والمداراة للأكابر مع قلة البضاعة في الفقه، وربما افتضح في بعض المجالس لكن بذله وإحسانه يستره "[٤].

---

(١) درر العقود، ج٣/ ص٨-١٥.

(٢) محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن ابي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة، شمس الدين الاخنائي الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٧٥٧هــ/١٣٥٦م، بدمشق وكان يذكر انه من ذرية شاور وزير الفاطميين، تولى قضاء غزة ثم حلب ثم دمشق ايام الظاهر برقوق، وقدم الى القاهرة ففوض اليه قضاء القضاة بالديار المصرية بعد موت ابن الصالحي في سنة ٨٠٦هــــ/١٤٠٣م بمال رشا به. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٩/ ص١٣٦-١٣٧.

(٣) درر العقود، ج٣/ ص٦٠-٦١.

(٤) الضوء اللامع،ج٩/ ص١٣٧.

ونَقَد بعض المؤرخين أصحابهم نقداً ايجابياً، وهذا ما نجده عند المقريزي في ترجمة عبد الله بن محمد الجمال السمنودي القاهري(ت٨٢٣هـ/١٤٢٠م)[١] حيث قال:" كان فاضلاً خيراً صحبته سنين حتى مات"[٢].

ففي ما يتعلق بالنقد السلبي نجد ابن تغري بردي يترجم للحسن بن عبد الله، المعروف بابن محب الدين المشير الطرابلسي(ت ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)[٣]، الذي قد تزوج بزوجة والده فيقول : " وكان المشير هذا قد تزوج بزوجة والدي رحمه الله بعد موته خوند حاج ملك زوجة الملك الظاهر برقوق، كان رجلاً طوالاً ظالماً، مسرفاً على نفسه، منهمكاً في اللذات قليل الخير كثير الشر وكان ينوع الظلم في أخذ الأموال فأخذه الله من حيث يأمن"[٤].

وفي ذات المعنى جاء حكم السخاوي عليه حيث قال:" كان ظالماً منهمكاً في اللذات قليل الخير كثير الشر"[٥].

---

(١) عبد الله بن محمد الشيخ جمال الدين السمنودي الشافعي، تفقه على الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي، وقاضي القضاة بهاء الدين ابي البقاء، والصلاح العلائي، ولازم دروس شيخ الاسلام البلقيني، ودرس بأماكن ونفع الناس مع كثرة المروءة والعصبية والقيام بمصالح أصحابه. المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص٣٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٣١.

(٣) الحسن بن عبد الله البدر الطرابلسي المشير ويقال له الأمير ويعرف بابن محب الدين، كان أبوه من مسلمة طرابلس فتسمى بعد اسلامه محمداً وكان ممن تعاني الخدم في الديوان فنشأ ولده على ذلك وولى كتابة سر بلده، فباشرها بحرمة وعظمة وتزايدت عظمته لما تسلطن المؤيد تولى نيابة اسكندرية عوضاً عن خليل التوريزي ثم عزل وأعيد إلى الاستادارية وتزايد ظلمه وعسفه فقبض عليه المؤيد وهم بقتله فشفع فيه عنده على مال كثير بعد عصره وعقوبته، ولم يلبث أن صودر وأهين وكذا ولى الوزر في أيام المؤيد. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥/ ص٨٥-٨٨؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج٣/ ص١٠٢.

(٤) المنهل الصافي، ج٥/ ص٨٥-٨٨.

(٥) الضوء اللامع، ج٣/ ص١٠٢.

ولم تمنع القرابة او وجود العلاقات بين المؤرخ الناقد وبين المترجم له من الصدع بالحق، ومن الحكم على المترجم له وفق المقاييس النقدية الموضوعية، ولم تكن تلك العلاقات لتغير مـــن الواقع شيئاً عند بعض المؤرخين.

وهذا ما نجده عند ابن تغري بردي الذي وجه نقده لزوج اخته فاطمة إينال بن عبد الله النوروزي (ت٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)(١) حيث قال:" ولي بعد موت أستاذه نيابة غزة، ثم صفد، ثم حماه، ثم طرابلس، ثم صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، وولي أمرة سلاح، وكان ظالماً فاسقاً، لا يوصف بشيء من الخير... كان يتجمل في ملبسه ومأكله، ويقتنى من كل شئ أحسنه، الا انه كان من مساوئ الدهر، لما احتوى عليه من شراسة الخلق وشدة البطش، مع الظلم والعسف والجبروت وانا اعرف بحاله من غيري، فانه كان زوج كريمتي خوند فاطمة زوجة الملك الناصر فرج"(٢).

ومقارنة مع ما ذكره عنه في النجوم الزاهرة نجده يقول:" وكان متجملاً في ملبسه ومماليكه ومركبه وسماطه إلى الغاية، وفيه مكارم وحب للعظمة مع ظلم وخلق سيىء وقلة دين وبطش بحواشيه ومماليكه وغلمانه وإظهار جبروت، وهو صهري، زوج أختي خوند فاطمة ومات عنها، ولكن الحق يقال على أي وجه كان، وفرح الناس بموته كثيراً وأولهم السلطان الملك الأشرف برسباي " (٣). وبهذا لم نجد المحاباة، ولا كان الحياء او المجاملات الاجتماعية لتغير شيئاً من

---

(١) إينال بن عبد الله النوروزي، أمير سلاح، الأمير سيف الدين، أصله من مماليك نوروز الحافظي، المتغلب على دمشق، ثم اتصل بعد قتل أستاذه بخدمة الملك المؤيد شيخ، وترقى إلى أن ولى نيابة غزة، ثم نقل إلى نيابة حماة، ثم أمسك، وصار من جملة أمراء دمشق، ثم ولى نيابة طرابلس، واستمر في نيابة طرابلس إلى أن عزل عنها، وقدم إلى القاهرة، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بها، ثم استقر أمير مجلس بحكم انتقاله إلى نيابة الإسكندرية، ثم نقل إلى إمرة سلاح، واستمر على ذلك إلى أن توفى. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ ص٢٠٠-٢٠١.

(٢) المنهل الصافي،ج٣/ ص٢٠٠-٢٠١.

(٣) النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٢٠١.

آرائه وأحكامه، هذا الموقف الذي قلما نجده عند المؤرخين يسجل ضمن ايجابيات ابن تغري بردي كمؤرخ.

والذي يمكن أن نسجله في هذا المقام، ان العديد من مؤرخي التراجم المصريين نقدوا أناساً عاشوا معهم وصحبوهم أو كانوا من أقربائهم دون أن يلتفتوا الى ما قد يؤدي ذلك اليه من مشاكل أو مخاطر وهو أمر يصعب على الكثيرين القيام به قديماً وحديثاً.

الفصل الخامس

منهج مؤرخي التراجم المصريين في نقد الروايات التاريخية

المبحث الأول: **اعتماد مبدأ الترجيح**.

المبحث الثاني: **المرويات الضعيفة**.

المبحث الثالث: **نقد أخطاء المؤلفين**.

المبحث الرابع: **نقد الروايات الشاذة (الخرافية)**.

لم يكن مؤرخو التراجم المصريين خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي جامعين للأخبار فقط، وإنما اهتموا بانتقاء المادة التاريخية وبنقدها، وقد جمعوا بين منهج علماء الحديث ومنهج المؤرخين في النقد.

ان من يرقب كتب التراجم يرى انها قد احتوت من المعلومات والأحداث الشيء الكثير، لكنها انطوت أحياناً على التناقض والازدواجية في الطرح، او المجازفة بحيث يصعب ان تطمئن لما روته ودونته من غير بحث وتدقيق، وبهذا نجد أن منهجية بعض مؤرخي التراجم المصريين خلال القرن التاسع الهجري، تتمثل في ذكر كل ما يقال بغض النظر عن مدى موافقته لواقع الحال باعتباره أمانة علمية لكن ذلك أسهم في هذه الاشكالية.

ويظهر الجانب النقدي لدى مؤرخي التراجم عندما أعلنوا عن تفضيلهم لبعض الروايات على غيرها، وفي ترجيحهم الروايات التي يرونها جديرة بالترجيح، وفي رفضهم لبعض هذه الروايات، والتي كانت تحمل في طياتها السرد الخرافي الاسطوري الذي لم يقبله العقل ولا المنطق، وكان إعلانهم عن رأيهم في الروايات مقتضبا، وفي بعض المواقف يتخذ المؤرخ من الروايات موقفا حياديا، فيتجنب نقدها، تاركا للقارئ مهمة الاختيار لما يراه، إضافة إلى ذلك نجدهم ينتقدون ما جاء من أخطاء في الأسماء وتواريخ المواليد والوفيات، الامر الذي يدل على رجاحة عقليتهم وعلو ملكة النقد التاريخي عندهم.

أما نقدهم للمصادر فنجدهم يذكرون رأيهم في بعض المصادر التي اعتمدوا عليها في بناء مادتهم العلمية، فكانت لهم نظرة في تلك الاخبار المنقوله عنها، فأصدروا حكمهم عليها، ويتضح ذلك من خلال استخدامهم لكلمات تدل على عدم اتفاقهم وتشكيكهم في صحة تلك الروايات، ومن ذلك قولهم: (ويزعم ...)،(وزعموا...)، (وقيل ...)، (ويقال ...) ونحو ذلك، فضلاً عن اتباعهم اسلوبا نقديا في كشف خطأ المؤلفين عند تعارض الروايات في الخبر الواحد.

المبحث الاول

اعتماد مبدأ الترجيح في نقد الروايات التاريخية

اعتمد مؤرخو التراجم المصريين على الكثير من الروايات الشفوية التي تناقلها الرواة، فوجدوا أمامهم مجموعةً من الروايات المتضاربة حول حادثةٍ تاريخية معينة، فكان لابد من استيعابها وإخضاعها لعدة مقاييس ومعايير في إمكانية تصديقها أو تكذيبها، ولم يكن ذلك مستبعداً، فقد برزت شخصيتهم التأريخية من خلال موازنة العديد من النصوص، والتفاضل فيما بينها وترجيح الصحيح منها.

ولم يقفوا موقف المتفرج على الأحداث التي كانت تتجمع لديهم، بل عملوا فيها نظرتهم وفكرهم وأصدروا فيها حكمهم، فعندما تتعدد الروايات والاقوال في أمر من الأمور فانهم يختارون الرأي الذي يميلون إليه، أو في بعض الأحيان يبسطوا آراءهم حول قضية من القضايا ثم يرجحون الرأي الذي يرجحوه مدعماً بالشواهد والأدلة المؤيدة.

وفي بعض الحالات يشير بعض المؤرخين الى اختلاف الروايات من غير ان يرجحوا بعضها على بعض ففي قول ابن تغري بردي في ترجمة عبد الله بن احمد الصالحي(ت ٧١٨هــ/ ١٣١٨م)[١] :" ذكره ابن حبيب في تاريخه[٢] توفى سنة عشرة وسبعمائة، وقاله غير

---

(١) عبد الله بن أحمد بن تمام بن حسان، الشيخ تقي الدين الصالحي الحنبلي، ولد سنة ٦٣٥هــ/١٢٣٧م، إمام قدوة. زهده ثابت، ونهر عرفانه متدفق.،كان معروفاً بحسن الأدب، متمسكاً بفروع القرب. ينظر، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ ص٦٧.

(٢) الحسن بن عمر بن الحسن عمر بن حبيب، القاضي بدر الدين ابن الشيخ زين الدين، الدمشقي، مولده سنة ٧١٠هــ/١٣٠٠م ، سمع من أبي المكارم النصيبي، وأجاز له جماعة من مصر وغيرها، وقرأ على القاضي فخر الدين بن خطيب، ومؤلفات مفيدة منها: كتاب نفحات الأرج من كتاب تبصرة أبي الفرج، وتاريخه: درة الأسلاك في دولة الأتراك، وذيل عليه ولده الشيخ أبو العز طاهر، وكتاب نسيم الصبا، وكتاب النجم الثاقب في أشرف المناقب، وكتاب أخبار الدول وتذكار الأول. ينظر: المصدر نفسه،ج٥/ ص١١٥-١١٦.

واحد انه توفى في سنة ثمان عشرة وسبعمائة، وهذا بخلاف ما ذكره ابن حبيب"(١). هكذا ترك الأمر دون ان يتدخل لحسمه وترجيح رواية على رواية.

ومن الامور الاخرى هي تأكيد بعض الروايات التاريخية في المترجم له، وهذا ما نجده في نقد السخاوي لمحمود بن عبد الله الكلستاني السيرامي الحنفي (ت ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)(٢) اذ قال: " ... وصفه العيني كما تقدم بالطيش والبخل والعجب وبالغ في ذمه، وليس كما قال فقد أثنى عليه طاهر بن حبيب في ذيل تاريخ والده ووصفه بالبراعة في الفنون العلمية، وقد قرأت بخطه لغزاً في القلم في غاية الجودة خطاً ونظماً "(٣). وبهذا حرص السخاوي على اسناد ترجيحه لرواية ما بدليل معين، وبهذا نجده يرجح الرواية الثانية، ومن ثم يؤكدها ويعطي رأيه فيها.

اما ما ذكره ابن تغري بردي في ترجمته لإياس بن عبد الله الجرجاوي (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م)(٤)، والي طرابلس فيقول: " قال العيني:... وكان رجلا عسوفا، ظلم اهل طرابلس في ولايته الى ما لا نهاية، وذكر عنه اشياء توجب الكفر"(٥).

---

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج٧/ ص٦٧-٦٨.

(٢) محمود بن عبد الله الكلستاني السيرامي الحنفي، اشتغل ببلاده ثم ببغداد وقدم دمشق خاملاً فسكن باليعقوبة ثم قدم مصر فتقرب عند الامير الجوباني فلما ولي نيابة الشام قدم معه وولي تدريس الظاهرية ثم ولي مشيخة الأسدية. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١٠/ص١٣٦.

(٤) إياس بن عبد الله، الأمير سيف الدين، نائب طرابلس، كان أولاً من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم ولى عدة أعمال، وولى نيابة طرابلس غير مرة، وآخر ولايته في سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية، أقام بطرابلس إلى أن عزله الظاهر برقوق بالأمير دمرداش المحمدي نائب حماة، وتوجه إياس المذكور إلى دمشق أتابكاً بها. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج٣/ص ١٢٤-١٢٥.

(٥) المصدر نفسه،ج٣/ص ١٢٤-١٢٥.

وبعد ذلك يؤكد ما قاله ويوافقه في الرأي فيقول: " ... قلت: هو كما قال قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني"[١]. دون أن يسند موقفه بدليل مقنع.

وهذا ما نجده ايضاً عند ابن تغري بردي في ترجمة آقباي بن عبد الله الحاجب (ت٨١٢هـ /١٤٠٩م)[٢]، في رواية رواها المقريزي بقوله:" قال المقريزي:... وكان في جمع المال بخيلاً"[٣]. ومن ثم يؤكد رواية المقريزي بقوله:" قلت: كان مشهوراً بالدين والخير إلا أنه كان كما قال المقريزي في البخل وجمع المال" [٤] .

وبالمنهج النقدي ذاته انتقد ابن تغري بردي الرواية الواردة في ترجمة القاضي بدر الدين البرديني(ت ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م)[٥]، فقد اورد رواية قد رواها المقريزي بقوله: " قال الشيخ تقي الدين المقريزي رحمه الله: وكان فيه عصبية ومحبة لقضاء حوائج الناس ولم يوصف بعلم ولا دين، صَحِبَنا سنين ومستراح منه"[٦]. وبعد ذكر تلك الرواية يعطي رايه وبشكل مؤكد فقال:"

---

(١) المنهل الصافي،ج٣/ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) آقباي بن عبد الله من حسين شاه الطرنطاي الظاهري، الأمير سيف الدين المعروف بالحاجب، هو من مماليك الملك الظاهر برقوق ومن خواصه، وأعيان دولته وخاصكيته، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة، ثم نقله إلى إمرة طبلخاناه، ومات الملك الظاهر برقوق في سنة إحدى وثمانمائة، وتسلطن من بعده ولده الملك الناصر فرج، وصار أقباي هذا أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية. ينظر: المصدر نفسه، ج٢/ ص٤٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٢/ ص٤٦٦.

(٤) المصدر نفسه ج٢/ ص٤٦٦.

(٥) الحسن بن أحمد بن محمد، القاضي بدر الدين البُرْدَيْنِي الشافعي، أحد خلفاء الحكم، مولده بقرية بردين بالشرقية من أعمال القاهرة في حدود ٧٥٠هـ/١٣٤٩م. وقدم إلى القاهرة صغيراً، وتفقه بها يسيراً، وجلس في حانوت الشهود سنين إلى أن قرره القاضي قاضي القضاة صدر الدين المناوي في جملة موقعي الحكم بالقاهرة، واستمر على ذلك إلى أن استنابه قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقيني بعد سنة عشر وثمانمائة. ينظر: المصدر نفسه، ج٥/ ص٦٦-٦٧.

(٦) المنهل الصافي، ج٥/ ص٦٦-٦٧.

قلت: هو كما قاله المقريزي وزيادة" [١]. ولم يبين ابن تغري بردي سبب معاضدته لرأي المقريزي في تقييمه لصاحب الترجمة.

ومن الامور الاخرى هي تأكيد سنة وفاة المترجم له، وهذا ما نجده في ترجمة خليل بن سعيد بن عيسى بن علي القرشي القاهري القاري[٢] فيذكر السخاوي وفاة المترجم له فيقول: ومات في أوائل سنة تسع عشرة وثمانمائة[٣]، وبعدها يؤكد ذلك ويدعم ويرجح رايه برأي المقريزي في تاريخ الوفاة: " قلت وهكذا أرخه المقريزي في عقوده ورأيت من قال سبع عشرة وكأنه تحرف فالله أعلم"[٤]. وبهذا نجد ان السخاوي قد اعتمد منهج ترجيح الرواية الصحيحة مستندا الى رأي المقريزي في ذلك.

وكذلك نلحظ ان مؤرخي التراجم المصريين قد استخدموا عدة الفاظ منها (قيل) او(يقال) تعبيرا عن شكهم في الرواية غير الصحيحة، ومن ثم اعقبها بذكر الرواية الاصح والمعتمدة وعبروا عنها بقول(وهو المعتمد)[٥] او(والاول اصح)[١]، فضلاً عن ذكر

---

(١) المنهل الصافي، ج٥/ ص٦٦-٦٧.

(٢) خليل بن سعيد بن عيسى بن علي القرشي القاهري القاري امام مدرسة آل مالك بالقرب من المشهد الحسيني. ولد بعد الأربعين وسبعمائة تقريباً وعني بالقراءات وسمع على ابن القاري مشيخته تخريج العراقي وعليه وعلى خليل بن طرنطاي صحيح البخاري، وحدث سمع منه الطلبة سمع عليه من شيوخنا الزين رضوان وعبد السلام البغدادي والتقي الشمني والعز الكناني الحنبلي ومن قبلهم الكلوتاتي والكمال الشمني. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٣/ ص١٩٥.

(٤) المصدر نفسه،ج٣/ ص١٦٥.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص١٠، ص١٣٨، ص٣٠٦، ص٣٥٧، ج٢/ ص١٨٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٤٣،ج٢/ ص٢٠٣، ج٣/ ص٣٥٠، ص٤٦٣، ج٤/ ص٩٠، ص٢٤٧، ص٤١٢، ج٥/ ص٢٦٢.

السبب من وراء تلك الرواية الضعيفة، وهذا نجده عند ابن حجر في ترجمته للشيخ نجم الدين أحمد ابن الرفعة(ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)[٢] اذ قال: " يقال أنه كثير النقل غير قوي البحث"[٣]. وبعدها صرح بالسبب من وراء هذه الرواية الغير الصحيحة، وأنه من كان ينسبه الى ذلك من يحسده كالسراج الأرمنتي[٤] والوجيه البهنسي[٥][٦]، ومن ثم يؤكد رأيه قائلاً: " فإنني حضرت درسه فسمعت مباحثه فائقة وقد شرح التنبيه وسماه الكفاية فأجاد فيه وشرح بعده الوسيط شرحاً

---

(١) ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٤٦، ص٤٩، ص١٨٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٥٨، ج٣/ ص٢٣، ص٢٩، ص١٣٢، ص١٩٩، ص٣٤٦، ج٤/ ص١٥٨، ص٤٠٦، ص٤٩٣، ج٥/ ص٢٦، ص٦١.

(٢) أحمد بن محمد علي بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس المصري الشافعي الشيخ نجم الدين ابن الرفعة، ولد سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٨م وأخذ الفقه عن الضياء جعفر ابن الشيخ عبد الرحيم القنائي والسديد الأرمنتي وابن بنت الأعز وابن دقيق العيد وغيرهم، واشتهر بالفقه إلى أن صار يضرب به المثل، وله تصانيف مثل النفائس في هدم الكنائس وحكم المكيال والميزان وولي حسبة مصر مدة وناب في الحكم مدة ثم عزل نفسه . ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٨٤-٢٨٥.

(٤) يونس بن عبد المجيد بن علي بن داود الهذلي القاضي سراج الدين الأرمنتي ولد بأرمنت سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٧م، وسمع من الرشيد العطار وعمر بن يونس العامري والمجد ابن دقيق العيد وأجازه، وتفقه على الظهير التزمنتي، وحدث وأفتى، وكانت وفاته سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م . السبكي، طبقات الشافعية، ج١٠/ ص٢١٧.

(٥) عبد الوهاب بن الحسن قاضي القضاة وجيه الدين البهنسي المصري ولي قضاء مصر والقاهرة بعد موت القاضي تقي الدين ابن رزين في رجب سنة ثمانين ثم أخذ منه قضاء القاهرة والوجه البحري، واستمر الوجيه حاكماً بمصر والوجه القبلي إلى أن توفى ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م. ينظر: ابن قاضي شهبة، تاريخ بن قاضي شهبة ، ج١/ ص١٠٦.

(٦) الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٨٤-٢٨٥.

حافلاً مشتملاً على نقول كثيرة وتخريجات واعتراضات تشهد بغزارة مواده وسعة علمه وقوة فهمه "[١].

ونفهم من هذا ان ابن حجر لم يُطلق حكمه النقدي جزافًا، بل كان على علم ودراية مباشرة بالشخص المنتقد، فيُصدر حكمه بناءً على معرفته الشخصية واطّلاعه على مكانته العلمية من دون التعويل على آخرين.

وسلك هذا المنهج غيره من المؤرخين، كالسخاوي الذي لم يقف من الروايات التي يبدو على ظاهرها التناقض موقفا سلبياً، بل مال الى ترجيح بعضها على بعض، ومن ثم ظهرت روح النقد عنده بشكل جلي، ويتضح هذا من استعماله عبارة(وهو المعتمد)، وهذا ما نجده في ترجمته لمحمد بن أحمد البساطي (ت ٨٤٢هــ/ ١٤٣٨م)[٢] ،" ولد في سنة ستين وسبعمائة قيل في المحرم وقيل في سلخ جمادى الأولى – وقيل في صفر وهو المعتمد"[٣].

وهذا ما نجده عنده ايضا في ترجمة أحمد بن محمد الذي يعرف بابن المحمرة(ت٨٤٠هــ/١٤٣٦م)[٤]،" ولد في ليلة خامس عشري صفر سنة سبع وستين وسبعمائة – وقيل تسع والأول أصح"[٥]. وبالطريقة ذاتها عالج ما قيل عن عبد الرحمن بن عبد الرحيم

---

(١) المصدر نفسه،ج١/ ص٢٨٤-٢٨٥.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد بن عليم الشمس أبو عبد الله البساطي القاهري المالكي، عالم العصر، ويعرف بالبساطي. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٧/ ص٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٧/ ص٥.

(٤) أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن نصر بن عيسى بن عثمان الشهاب أبو العباس الأموي العثماني القاهري الشافعي ويعرف بابن المحمرة، وهي أمه نسبت إلى التحمير من الحمرة، وبابن السمسار لكون أبيه وعمه كانا من سماسرة الغلال بساحل بولاق وبابن الصلاح لكونه لقب أبيه أو جده وبابن البحلاق، وكان يأنف منها إلا من الثالث ولكنه بالأول أشهر. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ص١٨٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٢/ص١٨٦.

ويعرف بابن الحاجب(ت ٨٥٠هــ/١٤٤٦م). " مات في يوم الجمعة ثامن رجب سنة خمسين وأرخه بعضهم في الطاعون سنة ثلاث وخمسين وكأن الأول أصح"(١).

وبهذا نجد ان السخاوي قد رجح إحدى الروايتين وهي الرواية الاولى، ولكنه يصرح بانه غير متأكد منها فيذكر كلمة(وكأن الاول اصح)، لكن دون ان يسند ترجيحه بدليل.

اما ما نجده عند ابن تغري بردي فبعد أن رجح إحدى الروايتين، أعطى رأيه في الرواية الثانية وأطلق عبارة (الثاني هو المشهور) أي أن هذه الرواية على الرغم من أنها غير دقيقة لكنها متعارف عليها، كنحو قوله في ترجمة صرداح بن مقبل(ت٨٣٣هــ /١٤٣٠م): "صرداح، وقيل سرداح، والأول أصح، والثاني هو المشهور"(٢). أي انه رجح بدليل الشهرة.

وهذا نجده ايضا في ترجمته لأصلم الناصري(ت ٧٤٧هــ/ ١٣٤٦م)(٣)، " توفى سنة ست وأربعين وسبعمائة، وقيل في يوم السبت عاشر شعبان سنة سبع وأربعين وسبعمائة، والثاني أصح"(٤).

ورجح رواية على اخرى في ترجمة الأمير جاركس بن عبد الله الناصري(ت٦٠٨هــ / ١٢١١م)، بقوله: "وكان يقال أن اسمه أباز والأول أصح "(٥).

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٣٩.

(٣) أصلم بن عبد الله الناصري، الأمير بهاء الدين السلاح دار، أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، أعتقه ورقاه إلى أن جعله أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر، واستمر على ذلك إلى أن نقل عنه إلى أستاذه الملك الناصر ما أوغر خاطره عليه فأمسكه واعتقله، وأنعم بإقطاعه على أمير حسين بن جندر وطلبه إلى القاهرة، ودام محبوساً إلى أن أطلقه الملك الناصر بعد أن حبس خمس سنين، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمه ألف بالقاهرة، وذلك في أواخر دولة الملك الناصر. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٤٥٥-٤٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٢/ ص٤٥٦-٤٥٧.

(٥) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤/ ص٢٠٨.

وأرى مما تقدم أنّ المؤرخين اعتمدوا الاختصار، وعدم الاطالة قدر الامكان، حيث لم يذكروا مصادر الروايات المختلفة، بل اكتفوا بقول: (قيل) ومن ثم رجحوا ما يعتقدون بصحته من الروايات.

ومن الامور التي تجلب الانتباه عند مؤرخي التراجم المصريين، هي ترجيح الروايات ولكن هذا الترجيح غير مؤكد بالنسبة الى المؤرخ، كنحو قول ابن حجر في ترجمته لأحمد بن يوسف المارديني المعروف بابن خطيب (ت ٧٧١هـ/١٣٧١م)[١]، "ومات بحماة في سنة ٧٧٠هـ وهو ابن ستين وأرّخه شهاب الدين ابن حجي[٢] سنة ٧٧١هـ /١٣٧١م وهو الصواب والأول من غلط النسخة فالله أعلم"[٣]. أي من اخطاء النساخ.

ولكن في بعض الأحيان استخدم بعض المؤرخين عبارات دينية يفهم منها أنهم لا يستطيعون ترجيح احدى الروايات على الأخرى، ومن ذلك قول السخاوي في ترجمة جوهر

---

(١) أحمد بن يوسف بن أحمد المارديني المعروف بابن خطيب الموصل قال ابن حبيب كان ينظم ويعرف العروض وكان يتردد في بلاد الشام ويمدح الأعيان ويكتب الخط الحسن ومات بحماة. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٣٨.

(٢) الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن علاء الدين حجي بن موسى السعدي، الحسباني الأصل، الدمشقي الشافعي بدمشق، وكان فقيهاً بارعاً، أفتى ودرس سنين، وخطب بجامع دمشق، وقدم القاهرة في دولة الملك الناصر فرج، في الرسلية عن الأمير شيخ، أعني الملك المؤيد، وكان معدوداً من فقهاء دمشق وأعيانها . ينظر: المقريزي، السلوك، ج٣/ ص١٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٥٣.

(٣) الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٣٨.

المنجكي ابراهيم بن منجك صفي الدين الحبشي الطواشي[١]، " ... مات فجأة في مستهل ذي الحجة سنة احدى وخمسين، ورأيت من أرخه سنة اثنتين وخمسين فالله أعلم"[٢].

وهنالك من يشكك حتى في روايته، كقول ابن حجر في ترجمته لحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي الإمام العالم النحرير المالكي(ت ٧٥٥هـ/١٣٥٥م)[٣]،" ... وذكر أن وفاته يوم عيد الفطر سنة ٧٤٩هـ انتهى وقد رأيت بخطي ولا أدري من أين نقلته وكانت وفاته سنة ٧٥٥هـ فالله أعلم"[٤].

ونجد بعض المؤرخين أحيانا لا يذكرون الروايات المختلفة بل يعمدون الى الاختصار، كقول ابن تغري بردي في حادثة مقتل الملك الأشرف شعبان(٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م)[٥]، فبعد سرده وقائع تلك الحادثة بالتفصيل، ذكر أن هنالك عدة روايات خلاف ذلك،

---

(١) جوهر المنجكي ابراهيم بن منجك صفي الدين الحبشي الطواشي، ويقال له الصفوي. صار من جملة مقدمي الاطباق مدة حتى ولاه الظاهر جقمق نيابة تقدمة المماليك بعد فيروز الركني فحسنت حاله وعمر مدرسة برأس سويقة. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٣/ ص٨٥.

(٣) حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المراكشي الإمام العالم النحرير المالكي، كان إماماً في العربية شرح ألفية ابن مالك والتسهيل وغيرهما، وأخذ العربية عن أبي عبد الله الطنجي والسراج الدمنهوري وأبي زكريا الغماري وأبي حيان والفقه عن الشرف المغيلي والأصول عن الشيخ شمس الدين ابن اللبان واتقن العربية والقراءات على المجد اسمعيل الشستري وصنف وتفنن وأجاد . ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٠.

(٥) الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، السلطان الملك الأشرف أبو المفاخر ابن الملك الأمجد بن السلطان الملك الناصر بن السلطان الملك المنصور، ولد سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، وجلس على تخت الملك بعد خلع ابن عمه الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد. ينظر: المقريزي، درر العقود،ج ٢/ص١٢٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٦/ص٢٣٣-٢٣٤.

ولكنه يرجح روايته فيقول: " وقيل في موته غير ذلك، والصحيح ما حكيناه"[١]. ولعل ذلك يعود الى الرغبة في عدم الاطالة.

ويلاحظ على كتابات ابن تغري بردي التزامه الامانة العلمية، وكان مؤرخاً يميل الى الاختصار وعدم الاطالة قدر الامكان، وكان ينقي المعلومات تبعاً لأهميتها، وهذه الميزة تعد من ابرز سمات منهجيته في النقد التاريخي.

---

(١) المنهل الصافي، ج٦/ ص٢٣٦.

المبحث الثاني

المرويات الضعيفة

يظهر الجانب النقدي عند مؤرخي التراجم المصريين في تضعيف أو رفض بعض الروايات وبطريقة غير مباشرة، فيورد بعض المؤرخين عبارات التضعيف، مثل(ويقال...)[١] او(قد قيل...)[٢] أو (وزعم...)، وهي عبارات يُفهَم منها عدم تأكدهم من الخبر؛ فلذا تُذيّل مثلُ هذه الأخبار بقولهم في النهاية: (والله اعلم)، ولم يتقبل ابن حجر بعض الروايات التاريخية على انها من قبيل المسلمات التي لا يمكن ردها او مناقشتها، بل كان يستخدم عقله في مناقشتها.

ومن تلك الروايات ما يتعلق بتاريخ وفاة المترجم لهم نحو قول ابن حجر في ترجمته لأحمد بن علي السجزي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح بن علي السجزي[٣]:" ومات في شهر رمضان سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م، وقيل كانت وفاته في ذي القعدة وقيل تأخر إلى سنة

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص١٢٦، ص١٩١، ص٢٤٦، ج٢/ ص٢٧، ص١٥٠، ص ١٦٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص١١٤، ص٣٤١، ص٤٥٦، ج٢/ ص١٣٨، ج٣/ ص٤١٤، ج٥/ ص٥؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٨٥٤، ص٢٨٥، ج٢/ ص١٣٤.

(٢) ابن حجر، المصدر نفسه، ج١/ ص٨٨، ص٣٦١، ج٢/ ص٤٥؛ بدر الدين العيني، عقد الجمان، ج١/ ص٤٠؛ السخاوي، المصدر نفسه، ج١/ ص٣٣، ص١٠٥، ص١١٤، ص٤٣٨، ج٢/ ص٧٤؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج١/ ص٢٠، ص٤٠٩، ص٣٣٧.

(٣) أحمد بن علي السجزي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح بن علي السجزي الحسيني إمام الحنفية بمكة ولد سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٥م وسمع من الشريف الغرافي تاريخ المدينة لابن النجار بسماعه منه ومن غيره وأجاز له باستدعاء البرزالي شمس الدين ابن العماد الحنبلي وأبو اليمن بن عساكر وعبد العزيز بن الخليلي والقطب القسطلاني وابن الأنماطي وآخرون، وسمع منه الحافظ العراقي قرأ عليه تاريخ المدينة لابن النجار بسماعه على الشريف بسماعه من مصنفه، وجاور بمكة واستقر أمام مقام الحنفية بها. ابن حجر، المصدر نفسه، ج١/ ص٢٢٣.

٧٦٣هـ/١٣٦٢م، وله تسع وثمانون سنة"[١]. وبهذا نجد انه لم يعرف اي من تلك التواريخ من هو الصحيح لذا ذكرها جميعها مشككاً بصحتها.

كما نقل بعض المؤرخين الاخبار التي تتعلق بسبب وفاة المترجم له على الرغم من عدم التأكد من صحتها، إلا انه انتقدها بذكرهِ لألفاظ التضعيف؛ لكي يعرف القارئ انه لم يجزم بصحتها، بل أراد النقل لكي يستكمل الخبر التاريخي، وان السبب وراء هذا عدم توفر المعلومة الدقيقة لتفنيدها مما جعله ينقلها من دون تعقيب بتضعيف خبر أو التشكيك بصحته، ومن ذلك قول ابن حجر في ترجمة المستكفي بالله العباسي[٢] فقال السخاوي: " يقال انه مات تحت الضرب..."[٣]، اما في ترجمة عبد القادر بن محمد بن يعقوب المدني: " فمات بها يقال مسموماً..."[٤]. فهذه العبارات تشير الى عدم التأكد من صحة تلك الأنباء او التشكيك بها.

وقد حذا ابن تغري بردي حذوهما في التشكيك في سبب وفاة المترجم له، كنحو قوله في ترجمة بكتوت بن عبد الله العزيزي(ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)[٥]،" وكانت بينه وبين ابن وداعة عداوة، يقال هو الذي سمه في بطيخة "[٦]. فضلا عن ذلك نلاحظ عدم تأكدهم من مكان وفاة المترجم له، مما كان دافعا لذكر ألفاظ التشكيك قبل ذكرهم المكان؛ ليعرف القارئ انهم غير

---

(١) الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٢٤-٢٢٥.

(٢) سليمان بن أحمد بن أبي علي الحسن بن علي بن أبي بكر بن المسترشد ابن منصور الفضل بن المستظهر محمد بن المقتدى العباسي أبو الربيع ولد سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، واشتغل قليلاً وولي الخلافة عقب والده سنة ٧٠١هـ. ينظر: المصدر نفسه، ج٢/ ص١٤١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢/ ص١٤٣.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٣٩١.

(٥) بكتوت بن عبد الله العزيزي، الأمير سيف الدين، أستادار الملك الناصر يوسف صاحب دمشق، كان ذا حرمة وافرة، ورتبة عالية، ومهابة شديدة، ويد مبسوطة، وله الإقطاعات الضخمة والأموال الجمة، وكان شجاعاً، جيد السياسة. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ ص٤١٠.

(٦) المصدر نفسه، ج٣/ ص٤١٠.

متأكدين من صحة الخبر، ومن ذلك قول ابن حجر في ترجمة احمد بن علي القوصي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)[١]: "وفاته بالقاهرة وقيل بقوص"[٢]. ومن اسباب ذكر عدة روايات حول الحدث الواحد هو اختلاف المصادر التي نهل منها اصحاب التراجم.

ولم يقتصر الامر على ما ذكرناه بل شمل الشك والتضعيف في الروايات التي تتعلق بالمكانة العلمية للمترجم له، إذ أبدى ابن حجر شكه في علمية عمر بن أبي الحرم الكتناني(ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م)[٣] حيث قال: " يقال ما في زمانه في الفقه مثله "[٤]. فيشكك ابن حجر بهذه الرواية، بذكره الدليل على ضعفها بقوله: " ولكن لم يصنف شيئا ولا انتفع به أحد من الطلبة ولا تصدى للفتيا..."[٥]. اما في ترجمة إبراهيم بن علي المعروف بابن عبد الحق

---

(١) احمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القوصي تاج الدين بن دقيق العيد ولد في سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م بقوص، وتفقه على مذهب مالك والشافعي ودرس بالنجيبية بقوص وكان يلقي كل يوم دروساً في المذهبين وناب في الحكم، وكانت وفاته سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٢٣.

(٣) عمر بن أبي الحرم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقي المصري الشافعي ولد سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، وأجاز له أحمد بن عبد الدائم وسمع من إسماعيل بن أبي اليسر وأسعد بن القلانسي، وتفقه على البرهان محمود بن عبد الله المراغي وأخذ عنه التحصيل بعد أن حفظه وتاج الدين الفزاري وغيرهما واستنابه ابن بنت الأعز وولي الشرقية ودمياط، ثم ولي مشيخة خانقاه طيبرس. ينظر: المصدر نفسه، ج٣/ ص١٦١-١٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٣/ ص١٦٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٣/ ص١٦٣.

(ت ٧٤٤هـ/١٣٤٣م)[١] فذكر: "يقال إنه انتهت إليه رياسة المذهب في عصره"[٢]. وبهذا نجد ان ابن حجر قد شكك في المنزلة والمكانة التي كان يحضى بها المترجم له في ذلك العصر.

واحياناً لا يصرح المؤرخ بمدحه للمترجم بل يذكر له ما يدل على رجاحة فكره ونباهته ومثل ذلك ما ذكره المقريزي في ترجمة ابراهيم بن عبد الرحمن المعروف بإبراهيم الشيخ(ت ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)[٣]،" ... سألتهُ عن اخبار تيمورلنك فقال لي: كان ابتداء ظهوره في سنة عَذَاب، يريد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، فان العين عددها سبعون، والذال سبعمائة، والالف واحد، والباء اثنان. وهذا من غريب الاتفاق، فقد كان عذاباً على اهل الارض بأجمعهم"[٤]. فتنبه المترجم جعله لا يذكر السنة رقماً بل معنى.

واقتصر بعض مؤرخي التراجم خلال القرن التاسع الهجري في بيان حال المتـــرجم لـــه على ذِكر اعدل ما قيل فيه، وسلكوا طريق التوفيق بين ما تعارض من الاقوال في الأغلب، لهذا ساروا في ترجماتهم أحياناً مسار الناقد البصير الصريح في آرائه، فبعد ذكر الترجمة يشـــيرون الى المصدر الذي اخذوا منه جاعلين العهدة على ذلك المصدر، اضافة الى الرجوع الى المصادر

---

(١) إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف الدمشقي، ابن قاضي حصن الأكراد، برهان الدين ابن كمال الدين المعروف بابن عبد الحق، ولد سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، وأخذ الأصول والعربية عن ظهير الدين الرومي، والصفي الهندي، والمجد التونسي وغيرهم، ورحل إلى القاهرة، فأخذ عن ابن دقيق العيد وأذن له بالإفتاء. ينظر: ابن حجر، رفع الاصر، ج١/ ص٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٩.

(٣) ابراهيم بن عبد الرحمن بن سليمان المعروف بابراهيم شيخ، السرائي الشافعي، برع في الفقه والنحو، وقدم القاهرة، فاخذ علم الحديث عن الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وعني بالحديث وضبط كتبه احسن ضبط، وكان فاضلا في فنون عديدة، ويتقن عمل عدة صنائع بيده، مع الثقة والضبط والامانة والديانة، وولي مشيخة رباط الخانكاه البيبرسية. ينظر: المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٨١.

(٤) المصدر نفسه، ج١/ ص٨١.

الاصلية والأخذ منها مباشرة وتميزوا عن مؤرخين آخرين في نقل اراء الموافقين والمخالفين في المترجم له.

فمثلا نجد السخاوي كان لا يرى النقل عن المصدر، الا اذا كان صاحبه ثقة، فان كان غير ذلك فانه يذكر الخبر قرين بمصدره جاعلا العهدة فيه على المصدر، نحو قوله في ترجمة محمد الوراق(ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م)(١): " ذكره شيخنا في معجمه وقال هكذا أملى علي نسبه والعهدة عليه "(٢).

وبهذا نجد ان السخاوي قد عامل الاخبار فيهما على انها جزئيات مستقلة تخضع لتصديق العقل او تكذيبه، فلما تشكك فيهما او لم يتحقق من أهليتها بالتصديق مقارنا بغيرها من النصوص التي كان يتوخى ان تكون تحت يده ذكرها قرين مصدرها عاهدا فيها على المصدر.

وعبر السخاوي عن عدم تأكده من الرواية التي يرويها بقوله(قيل) في بداية الخبر وقوله في نهايته (والله اعلم) ومن ذلك قوله في ترجمة إبراهيم بن يوسف الفاقوسي(ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م)(٣)، "قيل أنه من ذرية محمد بن الحنفية فالله أعلم"(٤).

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن منبع الخزرجي الدمشقي الصالحي الوراق المؤذن بها، مولده سنة خمس عشرة وسبعمائة وكان يقول أنه سمع من الحجار ولكن لم يظفر لنا أصل سماعه عليه نعم سمع على الحافظين المزي والبرزالي والشمس بن المهندس وأبي محمد بن أبي التائب والشهاب بن الجزري وأبي بكر بن محمد بن الرضي، مات في حصار دمشق. السخاوي، الضوء اللامع، ج٩/ ص١٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٩/ ص١٩٨.

(٣) إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن يوسف بن أبي الفتح البرهان الفاقوسي البلنسي الشافعي الرفاعي، ولد سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م بفاقوس من شرقية مصر، وقرأ بها بعض القرآن على محمد الزعيم ثم انتقل إلى بلبيس فأكمله بها على الفقيه عرفة بن الفقيه حسن العمري، ثم تلا عليه السبع وقرأ عليه الصحيح، وأخذ علم الوقت عن الشهاب البرديني بالقاهرة وبرع فيه وصحب الشهاب أحمد الزاهد وغيره وأخذ عنهم ثم أخذ عن القاياتي في الفقه والعربية وغيرهما. المصدر نفسه، ج١/ ص١٨٠-١٨١.

(٤) المصدر نفسه، ج١/ ص١٨٠.

وقد استعمل ابن تغري بردي اسلوبا نقديا يمتاز بذكر اكثر من رواية قد شكك فيها، ففي ترجمة طوغان بن عبد الله(ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م)[١]،" في معتقه أقوال كثيرة، قيل: أنه من مماليك نوروز الحافظي، وقيل: من مماليك آقبردي المنقار، وقيل: غير ذلك" [٢]. ويبدو انه لم يعرف اي من تلك الروايات هو الصحيح لذا ذكرها جميعها مشككاً بصحتها.

---

(١) طوغان بن عبد الله، الأمير سيف الدين، كان من جملة الأجناد في الدولة الأشرفية برسباي إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق جعله خاصكيا، ثم ولاه نيابة دمياط مدة، ثم عزله وجعله أتابك غزة فأقام بها مدة، ثم نقل إلى إمرة طبلخاناة بدمشق، ثم صار دوادار السلطان بها، واستمر بدمشق سنين، وسافر منها أمير الحاج غير مرة، على أنه لم يكن أهلا لما وليه من الوظائف فإنه كان من أصاغر المماليك السلطانية. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧/ ص٢٥-٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٥.

المبحث الثالث

نقد أخطاء المؤلفين

لا يتوقف النقد التاريخي لدى المؤرخين عند اقتناص العثرات في مضمون الروايات أو في سندها، بل تعداه إلى نقد ما وقع فيه المؤرخون السابقون او المعاصرون، وهنا يُبدي المؤرّخ رأيه في بيان ما هو صحيح معزّزًا ذلك باستعراضه الأدلة التي تعضّد صحة رأيه وفي المقابل تُظهر بوضوح خطأ رأي الآخرين.

ومن جملة تلك الاخطاء ما يتعلق بضبط الاسماء فقد بين ابن حجر العديد من تلك الأخطاء، ففي ترجمة عبد اللطيف بن عبد العزيز النحوي (ت٧٤٤هــ/١٣٤٣م)[١]، قال: " ومن الاوهام ان الاسنوى في الطبقات ذكر هذا فسماه أحمد وانما هو عبد اللطيف"[٢].

وبين السخاوي في ترجمة محمد بن عبيد المالكي(ت٨١٤هــ/١٤١١م)[٣] عدم ضبط العيني لاسمه اذ ذكره باسم عبيد فقال السخاوي:" محمد بن عبيد بن عبد الله المحب القاهري

---

(١) عبد اللطيف بن عبد العزيز بن يوسف بن أبي العز الحراني الشافعي المعروف بابن المرحلة العلامة شهاب الدين النحوي، سمع من ابن الحبوبي وعلي البكري وشهاب المحسني وغيرهم، وتصدر بالجامع الحاكمي وانتفع به الناس، وكان ابوه يبيع الرحال للجمال فلذلك قيل له ابن المرحل وكان فاضلاً في النحو والعربية والمعاني والبيان، وكان هو تاجر في الكتب اعتنى بالعربية وخصوصاً الفية ابن مالك فكان فيها ماهراً وأقرأها فأخذها جماعة حلب والقاهرة عنه. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٤٠٦-٤٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٤٠٨.

(٣) محمد بن عبيد بن عبد الله المحب البشكالسي ثم القاهري المالكي، نشأ ذكياً فاشتهر ذكره بالفضل وكان يتعاشر مع جماعة من الفضلاء منهم عبد الرحمن بن أحمد بن وفا فاتفق أنهم توجهوا لشاطيء النيل فركبوا شختوراً فانقلب بهم فغرقوا، كان أباه من أعيان أهل مذهبه، وناب في الحكم وأفتى. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٨/ ص١٣٩-١٤٠.

المالكي وسماه العيني عبيداً فغلط "[١]. وهذا ما نجده ايضا في ترجمة محمد بن ططر(ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)[٢] "وكذا أرخ العيني وفاته وأنها في ليلة الخميس سابع عشريه قال وصلى عليه بمصلى المؤمني في مشهد في السلطان وأعيان المملكة، ودفن عند أبيه بالقرب من مشهد الليث. وسماه أحمد وهو غلط [٣]. اما في ترجمة محمد بن محمد بن أبي بكر المحرقي(ت٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)[٤] فقد قال: " ومن سمي والده صدقة كالعيني فهو غلط"[٥].

وهذا ما نجده ايضا في ترجمته لعبد الرحمن بن محمد ابن الخراط (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م)[٦]، حيث قال: "عبد الرحمن بن محمد بن سلمان، وسماه شيخنا سليمان

---

(١) المصدر نفسه، ج٨/ ص١٣٩.

(٢) محمد بن ططر الصالح بن الظاهر أبي الفتح، وأمه ابنة سودون الفقيه، استقر وهو ابن تسع سنين بعد موت أبيه سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، وتولى الأتابك جانبك الصوفي تدبير الملكة فلم يلبث أن قبض على جانبك وصار التكلم لبرسباي الدقماق فدام أشهراً ثم خلع هذا وتسلطن ولقب بالأشرف وذلك في يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة٨٢٥هـ، ولزم داره بالقلعة عند أمه من غير حافظ له بل كان يمشي في القلعة حيث شاء وربما يجيء للناصري محمد بن الأشرف بل كان يركب معه بالقاهرة ويكون على ميمنته كآحاد من في خدمته، وكانا متقاربين في السن، وعنده نوع بله وخفة وطيش. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٧/ ص٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٧٤.

(٤) محمد بن محمد بن أبي بكر بن أيوب البدر أبو عبد الله بن فتح الدين بن الزين المحرقي ثم القاهري والد المحب محمد والبهاء أحمد المذكورين وأبوه، ويعرف كسلفه بالمحرقي. ينظر: المصدر نفسه، ج٩/ ص٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٩/ ص٥٦.

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن سلمان، الشيخ زين الدين المروزي الشافعي، الحموي الحلبي، الشهير بابن الخراط نزيل القاهرة، أحد أعيان موقعي الدست، مولده بحماة في سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، ونشأ بحلب وتفقه بها، وبرع في الأدب، واتصل بخدمة نائبها الأمير جكم من عوض، وله فيه غرر مدائح، ثم ولي

سهوا "[1]. ويقصد بذلك شيخه ابن حجر العسقلاني الذي يكاد يكون المؤرخ الوحيد الذي امتدحه بكثيرة ودان له بالفضل العلمي، وحتى في هذا النص يلاحظ انه يسمى ما وقع فيه شيخه من خطأ سهواً في حين يسميه عند أخرين غلطاً.

وكذلك وقف السخاوي في ترجمة إبراهيم برهان الدين صاحب سيواس (ت ٨٠٠هـ/١٣٩٨م)[2]، على ما وقع به ابن خطيب الناصرية من خطأ فقال: " كذا سماه ابن خطيب الناصرية وهو غلط وصوابه أحمد"[3].

ووقف السخاوي في ترجمة محمد ابن قوام(ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)[4]، على ما وقع به المقريزي من خطأ فقال:" وهو في عقود المقريزي وأسقط من نسبه محمداً على جاري أكثر عوائده"[1]. أي انه اتهم المقريزي بارتكاب الاخطاء في اكثر الأحيان.

في الدولة المؤيدة شيخ كتابة سر طرابلس، ثم عزل عنها، وولي كتابة الإنشاء بالقاهرة، واستمر على ذلك إلى أن توفى. المصدر نفسه، ج٤/ ص١٣٠.

(١) المصدر نفسه، ج٤/ ص١٣٠.

(٢) القاضي برهان الدين أحمد أبو العباس، السلطان صاحب سيواس، ولد بسيواس وبها نشأ، ثم قدم حلب وقرأ بها مدة قليلة، ثم رجع إلى سيواس، وكان ملكاً عالماً فقيهاً حنفياً، وكان سبب دخوله إلى القاهرة أنه كان في ابتداء أمره حين طلبه للعلم رأى منجماً حاذقاً، فسأله عن حاله، فقال له المنجم أنت تصير سلطاناً، فقال القاضي إن كان ولا بد فأكون سلطان مصر فأنها أعظم الممالك، فقدم إلى القاهرة ، وأقام بها سنين فما صار جندياً، فقال في نفسه أقمت هذه المدة الطويلة وما صرت جندياً، فمتى أصير سلطاناً، فعاد إلى سيواس وآل أمره إلى أن ملكها. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٢٩-١٣٠.

(٣) الضوء اللامع، ج١/ ص١٨٦.

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن قوام البدر البالسي الدمشقي ويعرف بابن قوام، ولد في سنة٧٢١هـ/١٣٢٠م، وسمع علي الحجار وإسحق بن يحيى الأمدي والمزي وابن المهندس والنجمين ابن هلال وعبد القادر بن عبد العزيز الأيوبي وزينب ابنة ابن الخباز، وكان خيراً فاضلاً من

ومن جملة الاخطاء ما يتعلق بعدم الدقة في ضبط التواريخ، وهذا ما نجده عند ابن حجر في ترجمة جنكلي بن محمد العجلي(٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)[٢]، فبعد ان ذكر السبكي سيرة المترجم له يقع بالوهم في سنة دخوله الى الديار المصرية حيث قال: " رأيت بخط تقي الدين السبكي بعد أن أرخه... وأول وصوله الديار المصرية في ذي الحجة سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، قلت وهو وهم منه فإنه إنما دخلها في آخر سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م "[٣]. وبهذا نخرج بالنتيجة التي تقول ان الوهم والخطأ يرجع الى اسباب منها الغفلة وعدم الإحاطة فيما يلزم للمؤرخ من العلوم والمعارف التي تساعدة على تقصي الحقائق.

وتتبع السخاوي ما وقع به شيخه ابن حجر من عدم ضبطه الاسماء ولكنه لم يشر صراحه الى انه قد أخطأ او غلط كما صرح بذلك عندما انتقد مؤرخين آخرين، وهذا ما نلاحظه في ترجمة عبد الرزاق بن عبد الله المعروف بابن كاتب المناخات(ت ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م)[٤] فقد

بيت كبير حصل له في سمعه ثقل فقرأ عليه كلمة كلمة كالأذان. ينظر: المصدر نفسه، ج٩/ ص٢٦٢-٢٦٣.

(١) المصدر نفسه، ج٩/ ص٢٦٣.

(٢) جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله العجلي، وكان وجيهاً جواداً ذكياً يحب العلماء ويطارحهم، وأول من طلبه من البلاد وحسن له المجيء إلى القاهرة الأشرف خليل وكتب له منشوراً بإقطاع جيدة وجهزه إليه فلم يتفق حضوره إلا في أيام الناصر بعد موت غازان فإنه أرسل يستأذن في المجيء فأجيب وكتب إلى نواب الشام بتلقيه وتعظيمه، فتلقاه نائبها وجهزه إلى مصر فتلقاه بيبرس والأمراء فأكرم وأعطي إقطاعاً جيداً. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ٥٣٩-٥٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ ٥٤٠.

(٤) عبد الرزاق بن عبد الله بن عبد الوهاب، الصاحب الوزير تاج الدين بن شمس الدين بن علم الدين، الشهير بابن كاتب المناخ، وزير الديار المصرية. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١١٩-١٢٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص١٩٤.

ذكره: " عبد الرزاق وسماه شيخنا في أنبائه عبد الوهاب"[1]. وكذلك في ترجمة محمود بن عمر الانطاكي(ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م): " محمود بن عمر بن محمود بن إيمان الشرف الأنطاكي ثم الدمشقي الحنفي. هكذا سماه الحافظ بن موسى والعيني والنجم بن فهد في معجم أبيه وآخرون وسماه شيخنا مسعوداً والأول أصح"[2].

كما وقف بعض مؤرخي التراجم المصريين موقف الرافض لبعض الانتقادات التي وجهها المؤلفون لعدد من الشخصيات ومن ذلك نقد ابن حجر ما نقله الذهبي في ترجمة تنكز نائب الشام(ت٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)[3]، بقوله:" وقال الذهبي في أواخر كتابه سير النبلاء كان ذا سطوة وهيبة وزعارة وإقدام على القدماء... لأنه كان سيء الراي حطمه غشمه مخافة العدو والصديق ويحذره المحق والمبطل لا يصفح عن ذنب ولا يقبل عذره ومع هذا لما أخذ رق له كثير من الرعية وحزنوا له قال وكان سياجاً على دمشق والناس به في أمن والظلمة كافون والرعية في عافية من المصادرة والعسف وكان تنكز مع علو رتبته وتقدمه لا يصلح للملك لبخله وحرصه وعدم تودده للأمراء"[4]. فرد عليه قائلاً: " أن الذهبي عندما أعرض عن محاسن تنكز ليس بصحيح فإنه ذكر منها الكثير إلا أنه بالغ في سرد معايبه والله المستعان"[5].

---

(١) المصدر نفسه، ج٤/ ص١٩٤.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص١٤٢.

(٣) تنكز نائب الشام يكنى أبا سعيد جلب إلى مصر وهو صغير فاشتراه الأشرف وأخذه لاجين بعده ثم صار إلى الناصر فأمره عشرة قبل الكرك ثم كان في صحبته بالكرك يترسل بينه وبين الأفرم فاتهم الأفرم مرة أن معه كتباً إلى أمراء الشام ففتشه وعرض عليه العقوبة فرجع إلى الناصر وشكا إليه ما لاقاه من الإهانة فقال له إن عدت إلى الملك فأنت نائب الشام عوضه فلما عاد إلى المملكة قال لتنكز ولسودي لازما أرغون النائب وتعلما أحكامه فلازماه سنة ثم جهز سودي لنيابة حلب وتنكز لنيابة الشام على البريد. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٥٢٠-٥٢١.

(٤) المصدر نفسه، ج١/ ص٥٢٦-٥٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١/ ص٥٢٧-٥٢٨.

ومن الامور التي تجلب الانتباه ان السخاوي في بعض الترجمات يصحح ما وقع به من خطأ في المترجم له، كنحو قوله في ترجمة محمد بن محمد بن الشرف سليمان الشمس البرادعي[١] " ورأيت بخطى في موضع آخر كتبت اسم جده اسمعيل وهو غلط والصواب سليمان"[٢]. وهذا ما يمكن أن نسميه نقد الذات.

ونلحظ في المنهج النقدي الذي سلكه مؤرخو التراجم المصريين، نقدهم المؤلفين لإهمالهم ذكر بعض المعلومات لأسباب معينة ، ففي ترجمة عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(ت ٧٠١هـ/ ١٣٠١م)[٣]، نرى ابن حجر ينتقد الحافظ عبد القادر في طبقاته[٤]، لعدم ذكره لسنة وفاة المترجم له: " قلت وهو ممن يلزم المؤلف ذكره فإنه توفى ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م ودفن ببلده ايدج فأما أن المؤلف لم يقف عليه أو أهمله لكونه حنفياً فإنه يصنع في الغالب كذلك "[٥]. ونرى مما سبق ان ابن حجر أعطى اكثر من سبب من وراء

---

(١) محمد بن محمد بن الشرف سليمان الشمس البعلي البرادعي الحنبلي من بني المرحل، أجاز لرابعة ابنة ابن حجر العسقلاني، وقرأ الحديث عن عدة علماء. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٩/ ص٨٤-٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٩/ ص٨٥.

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، أحد الزهاد المتأخرين صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول له المستصفي في شرح المنظومة وله شرح النافع سماه بالمنافع وله الكافي في شرح الوافي وله كنز الدقائق وله المنار في أصول الفقه وله العمدة في أصول الدين تفقه على شمس الأيمة الكردري وروى الزيادات عن أحمد بن محمد العتابي سمع منه الصغناقي. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٢٤٧.

(٤) عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء الفرشي محيي الدين الحنفي، ولد في شعبان سنة ٦٩٦هـ/١٣٩٣م وعني بالفقه حتى مهر ودرس وافتى واجاز له الدمياطي وغيره وسمع بمكة من الرضي الطبري وسمع من ابن الحسن ابن الصواف وحسن بن عمر الكردي والرشيد ابن المعلم وغيرهم، وجمع كثير وعني بالطلب وكتب الكثير، وجمع طبقات الحنفية وخرج أحاديث الهداية وغير ذلك مات في شهر ربيع الأول سنة ٧٧٥هـ/ ١٤٧٢م. ينظر: المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٩٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٤٧.

ذلك اما ان المؤلف اهمله وهذه دلالة على عدم الدقة في ضبط التواريخ، الامر الذي يوضح مدى دقة ابن حجر في تتبع الاخطاء التي وقع فيها الحافظ عبد القادر، ومن ثم انتقد السبب من وراء ذلك وعدها أسباب مذهبية. كما وجه السخاوي نقده للبقاعي[1] في ترجمته للقاضي محمد بن علي(ت٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م)[2] قائلاً: " وقول البقاعي إنه من قضاة السوء على ما نقلوا قاله لغرض على جاري عوائده وإلا فقد علمت بطلانه"[3].

وتابع السخاوي نقده للمؤرخ البقاعي في ترجمة إبراهيم البرهان الحلبي (ت ٨٤١هـ/١٤٣٧م)[4]، احد شيوخ البقاعي حيث قال:" وقال البقاعي أنه كان على طريقة

---

(١) برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، ولد سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م، وأخذ القراءات عن ابن الجزري وغيره، والحديث عن ابن حجر، والفقه عن التقي بن قاضي شهبة، ومهر وبرع في الفنون، ورحل وسمع من البرهان الحلبي، والبرهان الواسطي، والمجد البرماوي، وخلقٌ يجمعهم معجمه الذي سماه عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، وله تصانيف كثيرة منها كتاب الجواهر، والدرر في مناسبة الآي والسور، والنكت على شرح ألفية العراقي ومختصر كتاب الروح لأبن القيم سماه سر الروح مات سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م. ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ج١/ ص٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص١٠١-١٠٢.

(٢) محمد بن علي بن أحمد بن عبد المنعم بن عبد البكري المصري الشافعي ويعرف بابن أبي الحسن. ولد في سنة٧٧٢هـ/١٣٧٠م بدهروط ونقله أبوه إلى مصر فقرأ بها القرآن ثم حفظ العمدة والتبريزي والحاوي، وبحث الحاوي على الشمس بن القطان، وسمع بعض دروس النحو على ابن القطان وسمع على ابن رزين والزفتاوي أماكن من الصحيح وعلى النجم البالسي الترغيب للأصفهاني وعلى ناصر الدين بن الفرات الشفا، وسافر إلى دمياط واسكندرية وقوص، وناب في القضاء من ذي القعدة سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م عن الشمس الأخنائي. ينظر: السخاوي، المصدر نفسه، ج٨/ ص١٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٨/ ص١٦٤.

(٤) إبراهيم بن محمد بن خليل البرهان أبو الوفاء الطرابلسي الأصل طرابلس الشام الحلبي الشافعي سبط ابن العجمي لكون أمه ابنة عمر بن محمد بن الموفق أحمد بن هاشم بن أبي حامد عبد الله بن العجمي الحلبي ويعرف البرهان بالقوف لقبه به بعض أعدائه وكان يغضب منه، وبالمحدث وكثيراً ما كان يثبته بخطه.

السلف في التوسط في العيش وفي الانقطاع عن الناس لاسيما أهل الدنيا عالماً بغريب الحديث شديد الاطلاع على المتون بارعاً في معرفة العلل إذا حفظ شيئاً لا يكاد يخرج من ذهنه ما نازع أحداً بحضرتي في شيء وكشف عنه إلا ظهر الصواب ما قاله أو كان ما قاله أحد ما قيل في ذلك، وهو كثير التواضع مع الطلبة والنصح لهم وحاله مقتصد في غالب أمره"(١).

فرد عليه قائلاً:" قلت وفيها مجازفات كثيرة كقوله شديد الاطلاع على المتون بارعاً في معرفة العلل ولكنه معذور فهو عار منهما"(٢). وبهذا نجد ان موقف السخاوي من البقاعي ربما كان نابعاً عن المنافسة على المكانة العلمية، كونهم من تلامذة ابن حجر العسقلاني.

وهذا ما نجده عند ابن تغري بردي في ترجمة سوتاي بن عبد الله النوين الحاكم على ديار بكر (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) حيث قال: " ولم أقف لصاحب هذه الترجمة على خبر غير ما ذكره ابن حبيب، فإنه لم يذكر متى ولي المترجم، ولا عمن أخذ، ولا كم أقام، وإنما هو رجل مقصده تركيب كلام مسجع لا غير"(٣).

ويتضح مما سبق ان مؤرخي التراجم المصريين، على الرغم من اعتمادهم على الكثير من المصادر في بناء مادتهم العلمية، فانهم كانت لهم نظرة في تلك الاخبار المنقولة عنها، فقد تعاملوا مع تلك الاخبار على انها جزئيات تخضع للنقد، لذا لم يتحرجوا من مناقشتها، وكشف اوهامها، بمعنى مناقشة مصادرهم المكتوبة تصويباً لأخطائها.

ولد في سنة ٧٣٥هـ/ ١٢٣٤م بالجلوم، ومات أبوه وهو صغير جداً فكفلته أمه وانتقلت به إلى دمشق. ينظر: السخاوي، المصدر نفسه، ج١/ ص١٣٩.

(١) الضوء اللامع، ج١/ ص١٤٤-١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص١٤٥.

(٣) المنهل الصافي، ج٦/ ص١٠١-١٠٢.

المبحث الرابع

نقد الروايات الشاذة(الخرافية)

ان الروايات الغريبة هي نوع من السرد الشعبي والتي لا تكتمل الا بتوفر مجموعة من الشروط التكوينية الاساسية، اذ تهيمن عليها الظواهر الخارقة من سحر وجن وافعال خارجة عن المنطق والعقل، ولا تخضع الى سلطة المكان والزمان دون التركيز على المغزى الوعظي والاخلاقي المباشر.

وهناك من تحدث بمبالغة كبيرة عن وصف بعض الروايات التي لا يقبلها العقل، ولا تتفق في العديد من مفاصلها من الثوابت التاريخية او العقلية، وعلى الرغم من ذلك لا نجد اي تعليق او تشكيك بها، ومنها ما يرويه المقريزي: في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م :" لما عَمر الامير بيبرس الجاشنكير[١] ما تهدم من الجامع الحاكمي في الزلزلة التي كانت بالقاهرة ظهر من المئذنة التي من جهة باب الفتوح صندوق، فلما فتح اذا فيه يد انسان طرية كأنما قطعت في يومها، وهي ملفوفة في قطن، فعندما اخرجت من القطن صعدت حتى غابت عن الأعين، ولم يعلم خبرها، وهذه الحكاية رويتها عن شيخنا، مدة سنين ثم وقفت عليها في كتاب(السيرة الناصرية محمد بن قلاوون)"[٢][٣].

---

(١) الامير المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله البرجي المنصوري الجاشنكير(٧٠٨-٧٠٩هـ/١٣٠٩-١٣١٠م)، أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون، وتنقل في الخدم حتى صار من جملة الأمراء بالديار المصرية، وتولى الأستادارية للملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان إقطاعه كبير، فيه عدة إقطاعات لأمراء. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة،ج١/ ص١٧٠.

(٢) للمؤلف شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل بن عساكر، الإمام الأديب الفقيه ناصر الدين الكناني العسقلاني المصري، سبط الإمام محي الدين بن عبد الظاهر ولد سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م، توفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م. المصدر نفسه،ج٢/ ص١٨٤.

(٣) درر العقود/ ج٣/ ص٤٥-٤٦.

وحاول المقريزي التدقيق في صحة تلك الروايات من ضعفها بل اعتمد على ما يتناقله الناس، ومن خلال الرواية المتقدمة الذكر، يمكننا القول ان بعض الروايات لا يمكن تصديقها، او الاعتماد عليها، لأنها خلاف العقل.

وليس ببعيد عن تلك الروايات ذات الطابع الاسطوري والخرافي ما ذكره السخاوي في ترجمته لعلي بن محمد العلاء الدمشقي النمراوي (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م)[١]، بقوله:" ... أن الشيخ محمد الغمري[٢] حكى في مصنف له في المردان عنه أنه كان سحراً بمكان قريب من بركة لوط وإذا بشخص مكفن بكفن مخطط بزعفران على العادة وهو يسير في الهواء إلى أن سقط على أم رأسه في وسط البركة "[٣].

ويظهر من هذه الرواية التي غفل السخاوي عن نقدها اذ كان حريا به تتبع هذه الرواية والتعليق عليها، أنها بعيده عن الواقع فكيف يمكن لشخص مكفن ان يطير في الهواء ويسقط على

---

(١) علي بن محمد بن عيسى العلاء الدمشقي المحلي النمراوي نسبة لنمر البصل الشافعي، كان فقيهاً فاضلاً أخذ الفقه عن بعض الشاميين وصحب القطب، ولبس منه الخرقة الصوفية وتلقن منه الذكر بلباسه من البرهان السمرقندي، وكذا لبس الخرقة القادرية من الشهاب بن الناصح، وصنف منسكاً ومختصراً في الفقه لطيفاً سماه كفاية المبتدي رأيت صاحبنا البدر الأنصاري سبط الحسني شرع في شرحه وآخر سماه تحرير التبريزي. السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٥-٦.

(٢) محمد بن عمر بن أحمد الشمس أبو عبد الله الواسطي الأصل الغمري، الشافعي، ويعرف بالغمري. ولد في سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م تقريباً بمنية غمر ونشأ بها فحفظ القرآن عند الفقيه أحمد الدمسيسي وغيره، وقدم القاهرة فأقام بالأزهر منها مدة للاشتغال في التنبيه وغيره، ومن تصانيفه النصرة في أحكام الفطرة ومحاسن الخصال في بيان وجوه الحلال والعنوان في تحريم معاشرة الشبان والنسوان والحكم المضبوط في تحريم عمل قوم لوط والانتصار لطريق الأخيار والرياض المزهرة في أسباب المغفرة وقواعد الصوفية والحكم المشروط في بيان الشروط ومنح المنة في التلبس بالسنة في أربع مجلدات والوصية الجامعة وأخرى في المناسك. المصدر نفسه، ج٨/ ص٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٦/ ص٦.

ام راسه في البركة ترى من اين قدم هذا الشخص هل قدم من السماء ام قذفت به الرياح الى هذه البركة.

ومن الحكايات الغريبة التي استوقفت السخاوي ولم ينقدها ما ورد في ترجمة أبي بكر بن داود التقي أبو الصفا الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م)[١] " فيحكى أنه دخل وابنه معه كنيسة يهود بجوبر[٢] في يوم سبت وعلى منبره خمسة رجال من اليهود فقال الشيخ أبو بكر لا إله إلا الله فانهدم بهم المنبر وسجدوا بأجمعهم"[٣]. ولكن نلاحظ من هذه الرواية ان السخاوي لم ينقدها واكتفى بذكره انه سمع هذه الرواية بعبارة (يحكى) ولم يعلق عليها وهذا مما يؤاخذ عليه.

من الروايات الغريبة والخرافية ما ذكر المقريزي في ترجمته لأحمد بن طوغان(ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)[٤]:" ... اخبرني اخونا في الله الامير الاجل شهاب الدين احمد بن طوغان، قال: سرت مع الامير سودون وهو يومئذ امير حاجب في سنة ثمانين او بعدها بيسير الى رباط

---

(١) أبو بكر بن داود التقي أبو الصفا الدمشقي الصالحي الحنبلي والد عبد الرحمن الماضي ويعرف بابن داود صحب جماعة منهم الشهاب أحمد بن العلاء أبي الحسن علي ابن محمد الأرموي الصالحي ولقى بأخرة الشهاب بن الناصح والبسطامي وحج وزار بيت المقدس وصنف أدب المريد والمراد سمعه منه ولده بطرابلس سنة خمس وثمانمائة وتسلك به غير واحد وأنشأ زاوية حسنة بالسفح فوق جامع الحنابلة. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١١/ ص٣١.

(٢) جُوبَرُ: قرية بالغوطة من دمشق وقيل نهر بها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٢٤.

(٣) الضوء اللامع، ج١١/ ص٣١.

(٤) احمد بن طوغان، شهاب الدين الدوادار، كان ابوه من جملة مماليك الامير شيخو العمري، فلما مات رباه الامير سيف الدين سودون الشيخوني، وادبه والزمه الركوب في خدمته، فلما استقل الملك الظاهر برقوق بمملكة مصر والشام سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، نقل الامير سودون من الحجوبية الى رتبة نيابة السلطنة بديار مصر، فجعل صهره زوج ابنته دواداره الى ان مات، فجعل احمد في دواداريته عوضا عنه، فباشر ذلك عدة سنيين، وكان يحب اهل العلم والصلاح، ويختص بهم. ينظر: المقريزي، درر العقود، ج١/ ص١٧٠.

الآثار النبوية خارج مصر، وكان الماء اذ ذاك لا ينقطع من تحت رباط الآثار صيفا ولا شتاءً، وكان الوقت في زمن زيادة ماء النيل، فلما قضينا زيارة الآثار ركبنا النيل الى جزيرة الصابوني[1] تجاه رباط الآثار[2]، وعمنا في النيل، فغرق شخص كان معنا ممن يتزيا بزي اهل التصوف، وكان يسكن يومئذ في منزل كان بحري قناطر الإوَز من البر الشرقي من الخليج تجاه ارض البعل، واتفق مجيئه معنا ومجيء زوجته واولاده الى منزلي، وكان من اصحابي، وعادته يزورونى ويزور أهله أهلي، فشق علي غرقه، لا سيما واهله واولاده في منزلي، فامر الامير سودون بالغطاسين والزمهم باخراجه من الماء، وكانوا عدة، فتكرر نزولهم في الماء غير مرة حتى أعياهم وجوده فرجعنا شر رجوع، واعلمت اهله فاقاموا عزاءه ومضوا الى منزلهم، فلما كان بعد ثلاثة ايام حضرت إلي زوجته واعلمتني انه لما كان الليل كثر طرق باب منزلهم الذي يفضي الى الخليج حتى ظنوا احدا يريدهم بسوء، فنزلوا لينظروا من يطرق الباب، فاذا بزوجها قد طفى بعد غرقه واحتمله الموج من جزيرة الصابوني الى أن حاذى فم الخليج من البحر، فدخل مع تيار الماء وآوى الى باب منزله وصار الموج يحركه كلما جرى ماء الخليج فيصيب راسه الباب حتى سمع اهله طرق الباب... وهذا من أعجب ألأخبار لا سيما من عرف هذه المسافة في ماء النيل" [3].

---

(١) جزيرة الصابوني: هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار، والرباط من جملتها، وقفها أبو الملوك نجم الدين أيوب بن شادي وقطعة من بركة الحبش، فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابوني وأولاده، والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الإمام الشافعيّ. ينظر: المقريزي، الخطط، ج٢/ ص٣٧٠.

(٢) رباط الآثار: هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطلّ على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق، وقد عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد، وإنما قيل له رباط الآثار لأنّ فيه قطعة خشب وحديد يُقال أن ذلك من أثار رسول الله (ص)، اشتراها الصاحب تاج الدين، وهي به إلى اليوم يتبرّك الناس بها ويعتقدون النفع بها. ينظر: المقريزي، الخطط، ج٣/ ص١٩٥.

(٣) درر العقود، ج١/ ١٧٠-١٧١.

ويتضح من تعليق المقريزي على الخبر الآنف الذكر، أنّه لا يأخذ بعرى وثيقة في مثل هذه الأخبار، فهي تثير العجب فقط، من دون أن تأخذ حيّزًا من المصداقية.

وكذلك نجد عند السخاوي في ترجمته لأحمد بن إبراهيم بن محمد النابلسي[١]، "... ومما حكاه أنه كان بدمشق في بعض حماماتها بلان[٢] كسيح يخدم الناس بالحلق والغسيل وهو جالس وأنه رأى في منامه الشيخ رسلان فقال له يا سيدي انظر حالي فقال له: أنا لست في هذا المقام ولكن سيدخل عليك اثنان فسلهما حاجتك ثم خرج من عنده فدخل عليه اثنان فإذاهما النبيﷺ وأبوه الخليل إبراهيم عليه السلام فشكا إليهما حاله فقالا له قم فقام وأصبح صحيحاً، قال الشهاب حاكيها وكنت ممن رأيته كسيحاً ثم رأيته صحيحاً وسمعت هذا المنام من جمع لا يحصى"[٣].

ونلاحظ ان السخاوي بعد ذكره لهذه الرواية يتابع ويستفسر عنها وهذا دليل على الامانة العلمية، فيقول:" ثم عرضت عليه هذه الحكاية فأنكر أن يكون رأى البلان أو يعرفه وإنما الحاكي لها عنه هو الذي رآه والذي فيها مع ذلك أن رسلان هو الذي أخذ بيده دون ما بعده فالله أعلم وكذا أسلفت عنه حكاية في ترجمة أبيه"[٤].

---

(١) أحمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد بن عمر الشهاب بن البرهان النابلسي ثم الدمشقي نزيل القاهرة، ولد في سنة٨١١هـ/١٤٠٨م بنابلس وقرأ بها القرآن ونشأ كأبيه حنبلياً وحفظ كتباً في المذهب ثم اتصل بالبهاء بن حجي وصهره الكمال البارزي بدمشق واختص بهما فتحول بأمرهما شافعياً، وتفقه بعبد الوهاب الحريري وسمع الحديث على ابن ناصر الدين وأبي شعر واشتغل بالنحو على العلاء القابوني بدمشق والنظام يحيى الصيرامي. ينظر: السخاوي ، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢) بَلان: الصبي الذي يخدم في الحمام. ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، ج٤/ ص٢١٦؛ رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ج١/ ص٤٣٩.

(٣) الضوء اللامع، ج١/ ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٠٣.

وينقل ابن تغري بردي رواية عن قاضي القضاة بدر الدين أبو الحسن علي بن الشريف الحسيني[١]، قال: أخبرني جدي الحسين بن محمد قال: كنت في زمن الصبا، سافرت مع أبي محمد وعمي عمر من خراسان إلى بلاد الهند في تجارة، فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا إلى ضيعة من ضياع الهند، فلما نزلنا خارج الضيعة رأينا بفنائها شجرة عظيمة تظل خلقاً عظيماً، وتحتها جمع عظيم من أهل الضيعة، ورأينا زنبيلاً كبيراً معلقاً في بعض أغصان الشجرة؛ فسألنا عن ذلك، فقالوا: هذا الزنبيل فيه الشيخ رتن الهندي(ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)[٢] الذي رأى النبي ﷺ ودعا له بطول العمر ست مرات؛ فسألنا جميع أهل الضيعة أن ينزل الشيخ ونسمع كلامه، وكيف رأى النبي ﷺ ؛ فتقدم شيخ من أهل الضيعة إلى الزنبيل فأنزله؛ فإذا هو مملوء بالقطن، والشيخ في وسط القطن، وإذا الشيخ فيه كالفرخ، ووضع فمه على أذنه وقال: يا جداه: هؤلاء قوم قدموا من خراسان، وفيهم شرفاء أولاد النبي ﷺ وقد سألوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله ﷺ وماذا قال لك؟ فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية، ونحن نسمع ونفهم كلامه، فقال: سافرت مع أبي وأنا شاب من هذه البلاد إلى الحجاز في تجارة، فلما بلغنا بعض أودية مكة، وكان المطر قد ملأ الأودية بالسيل، فرأيت غلاماً أسمر اللون مليح الكون، حسن الشمائل وهو يرعى إبلاً في تلك الأودية، وقد حال السيل بينه وبين إبله، وهو يخشى خوض السيل لقوته، فعلمت حاله، فأتيت إليه وحملته، وخضت السيل إلى عند إبله من غير

---

(١) بدر الدين أبو الحسن علي بن الشريف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الحسين الحسيني الأثيري الحنفي، قاضي القضاة . ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ١/ ص٤٤٦.

(٢) رتن بن عبد الله الهندي ثم البتر ندي ويقال المرندي ويقال رطن، بالطاء بدل التاء المثناة بن ساهوك بن جكندريو، ويقال رتن بن نصر بن كربال، وقيل رتن بن ميدن بن مندي شيخ خفي خبره بزعمه دهرا طويلا إلى أن ظهر على رأس القرن السادس فادعى الصحبة، فسمع منه الجهال ولا وجود له بل اختلق اسمه بعض الكذابين وإنما ذكرته تعجبا كما ذكره أبو موسى سربانك الهندي بل هذا إبليس اللعين. ينظر: ابن حجر، الاصابة، ج٢/ ص٥٢٣.

معرفة سابقة. فلما وضعته عند إبله، نظر إلي وقال لي بالعربية: بارك الله في عمرك، بارك الله في عمرك، بارك الله في عمرك[1].

فلما تطاولت المدة على ذلك كنا جلوساً في فناء ضيعتنا، فسألنا الركبان أخبرونا أن رجلاً هاشمياً ظهر بمكة، وادعى أنه رسول من الله إلى كافة العالم، فلما سمعنا ذلك من السفار اشتقت إلى أن أرى المذكور؛ فتجهزت في تجارة، و سافرت إلى أن دخلت مكة، وسألت عن الرجل الموصوف، فدلوني على موضعه، فأتيت إلى منزله، واستأذنت عليه؛ فأذن لي، ودخلت عليه، فلما سلَّمت عليه نظر إليَّ وتبسَّم وقال لي: ألم تعرفني. قلت: كأني، غير أني لم أتحقق؛ فقال: ألم تحملني في عام كذا، وجاوزت بي السيل حين حال السيل بيني وبين إبلي؟؛ فعند ذلك عرفته بالعلامة، وقلت له: بلى يا صبيح الوجه؛ فقال لي: امدد يدك، فمددت يدي اليمنى إليه؛ فصافحني بيده اليمنى، وقال لي: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ فقلت ذلك كما علمني، فسرَّ بذلك، وقال لي عند خروجي من عنده: بارك الله في عمرك، بارك الله في عمرك، بارك الله في عمرك؛ فودعته وأنا مستبشر بلقائه وبالإسلام، فاستجاب الله دعاء نبيه ﷺ، وبارك في عمري بكل دعوة مائة سنة [2].

وفي ختام هذه الرواية نقل ابن تغري بردي رأي الحافظ الذهبي(ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) فيها بقوله: " من صدق هذه الأعجوبة وآمن ببقاء رتن: فما لنا فيه حيلة، فليعلم أنني أول من كذب بذلك، وأنني عاجز منقطع معه في المناظرة، وما أبعد أن يكون حين تبدّى بأرض الهند وادعى ما ادعى؛ فصدقوه. لا بل هذا شيخ مفترٍ دجال، كذب كذبة ضخمة... وأتى بفضيحة كبيرة، والذي يحلف به أنه رتن الكذاب قاتله الله أنّى يؤفك. وقد أفردت له جزءاً فيه أخبار هذا الضال وسميته: كسر وَثَنْ رَتَنْ " [3].

---

(١) المنهل الصافي، ج٥/ ص٣٤٣.

(٢) المنهل الصافي ، ج٥/ ص٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه،ج ٥/ ص٣٤٧.

فيما كان رأي ابن تغري بردي في هذه الرواية ما نصه: " ومعتقدي في رتن المذكور كمعتقد الذهبي – رحمه الله – ولولا أنه مشهور ما ذكرته في هذا التأريخ"[١].

ويبدو من هذه الرواية ان الذهبي وابن تغري بردي يكذبانها لكون مجريات الرواية تشير الى امر غير واقعي حول عمر هذا الشيخ والطريقة التي كان يعيش فيها، ويرى الباحث انهما محقان في هذا الرأي كون الرواية يكتنفها المبالغة والخرافة.

اما الروايات الخرافية والمبالغ فيها والتي لا يقبلها العقل فقد ابدوا شكهم فيها ايضا، ومنها ما ذكره السخاوي في ترجمته أحمد بن هلال الشهاب الحسباني (ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م)[٢]: "وزعم أنه يجتمع بالأنبياء كلهم في اليقظة وأن الملائكة تخاطبه في اليقظة وأنه عرج به إلى السموات وأن موسى أعطى مقام التكليم ومحمداً مقام التكميل وهو أعطى المقامين معاً إلى غير ذلك"[٣]. ونرى ان السخاوي بعد ان شكك بهذه الرواية واستعماله لفظ (زعم) يذكر رأيه فيه بعد ذكر سلبياته، فضلا على انه اراد بذلك ان يقنع القارئ بعدم صحة ذلك، فيقول: "وليس هذا ببعيد عن من تصدر منه الخرافات"[٤].

وذكر السخاوي رواية اخرى في ترجمة أبي القسم بن أحمد والذي يعرف بابن مطير(ت٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)[٥]، قائلاً:" وله كرامات منها أن البدر حسن بن علي بن يوسف بن

---

(١) المنهل الصافي،ج ٥/ ص٣٤٧.

(٢) أحمد بن هلال الشهاب الحسباني الحلبي الصوفي ويعرف بابن هلال، اشتغل قليلا على القاضي شمس الدين بن الخراط وغيره وكان مفرط الذكاء وأخذ التصوف عن الشمس البلالي ثم توغل في مذهب أهل الوحدة ودعا إليه وصار كثير الشطح وجرت له وقائع وكان أتباعه يبالغون في إطرائه ويقولون هو نقطة الدائرة . ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٤١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٤١.

(٤) المصدر نفسه ، ج٢، ص٢٤١ .

(٥) أبو القسم بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطير بن علي بن عثمان الشرف الحكمي الأصل من حكماء حرض اليماني الشافعي والد أحمد الماضي ويعرف كسلفه بابن مطير من بيت كبير باليمن

أبي الأصبع قال بينما أنا أتحدث معه بمكة في قدمة قدمها علينا إذ ضرب برجله الحائط ضربة شديدة فسألته عن ذلك فقال إن أخاك البدر حسيناً راكب الآن في سفينة وهاج عليهم البحر فمالت السفينة وكادت أن تنقلب فدعمتها برجلي حتى اعتدلت وأنه ضبط التأريخ فلما جاء أخوه أخبره بذلك في ذاك الوقت"(١). ومما سبق نجد ان السخاوي يعد هذه الرواية من الكرامات، لكن نجدها من الروايات الغريبة التي لا يقبلها العقل.

ومن المؤرخين من ابتعد قدر الامكان عن الروايات التي لا يقبلها العقل، وكانوا لا يذكروها في بعض مؤلفاتهم مفصلاً، بل اكتفوا بالإشارة اليها فقط، كقوله: "صاحب نوادر وحكايات"(٢). وقوله:" يذكر عنه كرامات كثيرة وخوارق"(٣).

وبذلك تميز بعض مؤرخي التراجم المصريين خلال القرن التاسع الهجري بالضبط في تسجيل الحوادث وصحة الاخبار التي أوردوها، وقد جائتهم هذه الصحة من الطريقة التي عالجوا فيها هذه الاخبار واعتمادها على مبدأ النقد، وتطبيق مبدأ الترجيح والتشكيك بتلك الأخبار، وبهذا يكون المنهج الذي سلكوه يمتاز بالدقة والحذر في نقد الروايات في العموم، لكن احياناً نجدهم يعجزون عن ابداء آرائهم النقدية لا سيما مع الروايات ذات الطابع الغيبي مثل الرواية الأخيرة التي سكت السخاوي عن نقدها، ولكن يؤخذ على بعضهم سكوتهم على وجود الروايات الغريبة، بل أن بعضهم اعتقد بصحة بعض الروايات الخرافية مفسراً اياها تفسيراً دينياً.

فأبه وجده وأبوه من الثامنة، ولد سنة ٧٧٣هـ/١٣٧١م، وخلف والده في التدريس والإفتاء، وانتهت إليه الرياسة ببلده علماً وعملاً وصلاحاً ووجاهة. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١١/ ص١٣١.

(١) المصدر نفسه، ج١١/ ص١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج٥/ ص٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٨/ ص١٧٨.

الخاتمة

في ضوء دراستنا للنقد التاريخي عند مؤرخي التراجم المصريين في القرن التاسع الهجري توصلنا إلى جملة من النتائج، نذكرها على النحو الآتي:

ان منهجية النقد التاريخي في القرن التاسع للهجرة مثلت صفحة مشرقة من صفحات التدوين التاريخي، وان مصر بصورة خاصة كانت تمثل مركز الاشعاع الفكري للدولة العربية الاسلامية في تلك الفترة.

والواقع ان مؤرخي التراجم المصريين كانوا يمثلون مدرسة التدوين التاريخي في مصر في القرن التاسع الهجري، فقد امتزج النقد التاريخي مع (الجرح والتعديل)، فنلاحظ ان ابن حجر مثلا كانت الفاظه النقدية تعبر عن انه محدث وفقيه ومؤرخ، فيستخدم في نقده للفقهاء بشكل خاص والعلماء بشكل عام الفاظا لها علاقة بعلم الرجال منها على سبيل المثال الفاظ (برع في الفقه)(انتهت إليه الرياسة)(قبيح السيرة)(وكان ظالماً غاشماً)، وهذا ما نلاحظه عند تلميذة السخاوي، ومن بعده السيوطي.

ومن خلال تتبع تراجم المؤرخين المصرين في كتاباتهم تَبين أن النواحي التي يقع فيها النقد، هي السلوك الديني، والسلوك الأخلاقي للمترجم له، فضلاً عن نقد السيرة العلمية.

يُعدّ المؤرخ ابن تغري بردي من بين المؤرخين الذين ركزوا في نقدهم للسلطة الحاكمة والسبب يعود الى قربه من البلاط المملوكي الذي مكنه من الحصول على الكثير من المعلومات عن الاحداث التي كان هؤلاء من المشاركين فيها، فضلاً عن انفراده في ذكر الفاظ نقدية مثل :(لا للسيف ولا للضيف) (لا ذات ولا ادوات).

لاحظنا ان اغلب الوزراء قد تولى هذا المنصب اكثر من مرة، وقد استخدم المؤرخون عبارات نقدية ايجابية مثل: " فيه إحسان للرعية"،" قليل الظلم، كثير الإحسان إلى الناس" أو"

فباشرها مباشرة حسنة وشكره الناس"، ولكن نجد في المقابل بعض الوزراء استغلوا هذا المنصب في ظلم الرعية، لذا نقدهم المؤرخون نقداً سلبياً مثل قولهم:" فوضع السيف في العرب " أو " كان من الظلمة المشهورين".

ويظهر ان سير الحسبة في بداية العصر المملوكي كان سيرا حسنا، وان بعض محتسبي هذه الفترة قد تمتعوا بسمعة طيبة في مصر وخارجها، فذهب بعض المؤرخين الى ذكر منزلة المترجم له ومكانته، وتتحدد هذه المنزلة بعبارات معينة منها" وكان رئيسا نبيلا حشما"،" كان عنده فضل وفضيلة"، اما الجانب الآخر فهو على النقيض من ذلك، فقد تدهورت وظيفة الحسبة لا سيما في العصر المملوكي، واستطاع بعض الجهلة التلاعب بها، فتولاها أصحاب المهن الخسيسة التي كان يعمل بها بعض المحتسبين قبل توليهم وظيفة الحسبة.

في نقد العلماء لاحظنا أن المؤرخين أضفوا عليهم ألقاب التقدير والتفخيم مثل: " فقيه زمانه"، "عالم عصره" ، "انتهت إليه رياسة العلم"، "انتهت إليه رياسة المذهب"، ولعل أقوى دليل على إحساس الناس بمكانة العلماء أنهم قصدوهم لقضاء حوائجهم وتوسلوا بهم للشفاعة لهم عند أهل الدولة، وهذا الاحترام الذي حظي به العلماء في عصر المماليك جعل أغلبهم يعتَدّون بأنفسهم ويصمدون في وجه الأمراء والسلاطين.

ركز مؤرخو القرن التاسع الهجري على الفاظ قد اختص بها رجال الدين منها: " كان فقيهاً بارعاً"،" وبرع في الفقه"،" انتهت إليه الرياسة"، اما العبارات الدالة على سلبيات المترجم له" وكان يتجاهر بالمعاصي"،" وكان لا يتصون ولا يتعفف"،" قليل البضاعة من الفقه والسنة والآثار".

ومن الأطباء من حاز على ثقة واهتمام السلاطين والأمراء المماليك في مصر، ومكنت المكانة العلمية والمهنية للطبيب الوصول الى مناصب عامة في الدولة، اضف الى ذلك بروز بيوتات اشتهرت بصنعة الطب.

ولاحظنا ان هنالك من الصناع من مهر في صنعته وقد لقب بلقب المعلم، وان من المهن من اصبح لها مكانة وعلاقة بالسلطة الحاكمة وهي مهنة البناء والهندسة، اما مهنة التجليد والنسخ فقد تناولها المؤرخون لأنها من المهن التي لها ارتباط بالجانب العلمي لكونها لها علاقة بالتأليف.

ان النقد التاريخي الايجابي او السلبي قد شمل عدة شخصيات منها تتصل بالمؤرخ بصلة القرابة، او كانت تلك الصلة نابعة من صداقته لتلك الشخصية وتتحدد تلك العلاقة مـــن حـــديث المؤرخ الذي يترجم لتك الشخصية، من حيث سنوات الصحبة ام تكون هذه الصحبة عن طريـــق السفر، او اتصاله عن طريق اشتغاله معه في الأمور الادارية، وأحيانـــا يـــذكر المـــؤرخ هـــذه الصحبة ويؤكد عليها بعبارة صريحة.

وأوضحت الدراسة الجانب النقدي في تفضيل بعض الروايات على غيرها، وفي تـــرجيح الروايات التي تكون جديرة بالترجيح، فضلاً عن الابتعاد قدر الامكان عن الروايات التي لا يقبلها العقل، وفي بعض الحالات يستعملوا لفظ(زعم) دليل عدم صحتها.

أكدت الدراسة على ان بعض المؤرخين كان يتصف بالأمانة العلمية في نقدهم للمتـــرجم له، وعدم المجاملة، وهذا ما نلاحظه في منهج المقريزي، والذي يمكن تسجيله ايضاً ان المؤرخ شمس الدين السخاوي كان أبرز المؤرخين في النقد التاريخي، أذ حفل كتابـــه الضـــوء اللامـــع بعبارات نقدية كانت جارحة في اغلبها مع عدم أغفاله ذكر الجوانب الايجابية للمترجمين، وممـــا خلق له جواً من العدائية مع بعض أقرانه، والذي يؤخذ عليه أنه كان يتابع شيخه ابن حجر فـــي بعض أحكامه دون تمحيص أو نظر.

أظهرت الدراسة بأن الالفاظ النقدية قد تتغير تبعا للشخصية المترجم لها واختصاصه، فقد لاحظنا في نقد اصحاب السلطة الحاكمة قد استعمل المؤرخون الفاظا تعبر عن التسلط والظلم والشجاعة منها(كان ظالما غاشما)(فلم تحمد سيرته)(مباشرة غير مرضية)(سار سيرة قبيحة)، اما في نقدهم لطبقة العلماء فقد استعملوا الفاظا تعكس سيرتهم العلمية ومنها(كان عاريا من العلم) (كان بذيء اللسان)(لم يكن ماهراً في العربية)(بارعا في النحو)(كان قليل البضاعة)، اما ما

يخص الطبقة الادارية فقد استعمل الفاظا تعكس الكفاءة الادبية والدهاء السياسي وتصرفاتهم تجاه الرعية ومهارتهم وكفاءتهم الادارية، ومنها(وباشر مباشرة مشكورة)(حسن السيرة).

رأى ائمة النقد انه لا مجال للمحاباة او السكوت عن الحق في تبيين أمر المتـــرجم لـــه سواء كان عالماً، مؤرخاً، رجل دين، اديباً، او صاحب مهنة، وبهذا اصبح البحث فـــي احـــوال الرجال وتتبع سلوكياتهم، حيث ميزوا بذلك بين اهل الصدق واهل الكذب، وذلك لتطبيق المعايير التي تثبت التاريخ الحقيقي لتلك الفترة.

برز في القرن التاسع الهجري طائفة من فطاحل النقاد وكبار المؤرخين، انتدبوا انفســـهم لكشف احوال بعض الشخصيات وبينوا للناس درجاتهم ولقبوهم بما يستحقون مـــن المحاســـن او المثالب.

هنالك بعض المؤثرات التي فعلت فعلها في احكـــام بعـــض المـــؤرخين النقديـــة تجـــاه المترجمين، مثل صلة القرابة، او القرب من اقطاب السلطة وغيرها، بالرغم من كونها حـــالات قليلة، لكنها تبقى احدى سلبيات المؤرخين.

الألفاظ النقدية عند مؤرخي التراجم المصريين

في القرن التاسع الهجري

اللفظ	المصدر	الجزء والصفحة
غير مشكور السيرة	المقريزي، درر العقود	ج١/ص١٠٩؛ج١/ص٢٠٣؛
	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص٥٠،ص٩٠،ص١١٣، ص١٩٥،ص١٩٦،ص٣٥١، ص٣٦٨؛ ج٢/ص٥٩، ص١٤٤.
كان بذيء اللسان	المقريزي، درر العقود	ج١/ص٢١١.
فلم تحمد سيرته	المقريزي، درر العقود	ج١/ص٣٦٦.
	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص٤٦٥.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج١/ص١٢١،ص١٥٤،ص٢٣٨،ص٤٣٣؛ج٢/ص٢،ص ١٢٧،ص١٣٥؛ج٣/ص٢٧٣؛ج٤/ص١٥٨
	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص٤٥، ص١٦٢، ص١٩٦.
كان منهمكا في اللذات	المقريزي، درر العقود	ج٢/ص٣٦٦
	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص٢١.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج٢/ص٤٨٢ .
سيء الباطن	المقريزي، درر العقود	ج٢/ص٣٦٦
قبيح السيرة	المقريزي، درر العقود	ج٣/ص٢٦
	السخاوي، الضوء اللامع	ج١/ص٤٩٧،ص٤٩٩؛ج٣/ص٢٨٥،ص٤٩٩؛ج٤/ص٤١٣.
مباشرة غير مرضية	المقريزي، درر العقود	ج٣/ص٦٠.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج٤/ص٢، ص٤٨٥.
كان عاريا من العلم	المقريزي، درر العقود	ج٣/ص٦١؛ ج٣/ص٣٦١.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج٣/ص٢٨؛ ج٤/ص٥٠٠.
كان محمود السيرة	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص٢٧،ص٩٠،ص٣١٩، ص٣٣٢،ص٣٧٨،ص٤٨٢؛ج٢/ص١١، ص١٦٤.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج١/ص٤٨٧؛ج٢/ص٣٥.
كثير الإسراف على نفسه	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص١١٥.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج١/ص٥٠؛ج٣/ص١٥٤، ص١٨٥.
كان سيء السيرة	المقريزي، درر العقود	ج١/ص١٦٧؛
	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص٥١٣؛ج٢/ص٣٤٨؛ج٣/ص١٤٤؛ج٤/ص٤٠٣،ص ١٤٨،ص٣٧٢.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج٢/ص٣٤٨.
كان ظالماً غاشماً	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج٢/ص٢٢٤.
	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص٦٤.
قليل البضاعة من العلم	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص٣٦١، ص٣٨٩.
سار سيرة قبيحة	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج٣/ص٢٧٥.
كان سيئ الخلق	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج٣/ص٤٤٣.
	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص١٩٢،ص٣٠٤؛ج٢/ص١٠٣
	السخاوي، الضوء اللامع	ج٥/ص١٠١.
سار السيرة السيئة	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج٣/ص٣٩١.
	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص٣٤،ص٣٠٥،ص٣٥٣،ص٣٨٨،ص٤٣٢،ص٤٩٠؛ ج٢/ص٧٣ص١٠٠،ص٢٧،ص١٦٤.

برع في الفقه	ابن حجر، رفع الاصر	ج١/ص١١٠.
	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص١٥،ص٥٦،ص٧٤،ص٨١،ص٨٧،ص١٠٧،ص ١١٤،ص١٢٨،ص١٣٤،ص١٧٩،ص٤٥٦،ص٤٦٣،ص ٤٦٤؛ج٢/ص٧٣،ص٧٦،ص٨٦،ص٩٤،ص١٠٣،ص١٠٤، ص١١٤.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج١/ص١٥١،ص٢٠٩،ص٢٤٩؛ج٢/ص٤٥،ص٢٧٥،ص ٢٩٥،ص٣٨٦؛ج٣/ص٤٠،ص٢٠٣،ص٤٤٧،ص٤٥٣؛ج٤/ ص٤١،ص١٤٨،ص٣١٠،ص٤٠٧،ص٤٠٨،ص٤٣١؛ج٥/ ص٩،ص٦٩،ص١٥٥.
	السيوطي، نظم العقيان	ج١/ص٤٤.
كان من الظلمة (ظالما)	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص١٦٧.
	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص٢٩٧، ص٤٣٢.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج١/ص٤٦٢؛ج٢/ص١٦١؛ج٥/ص١٤٧.
مسرفا على نفسه	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص١٣،ص٣٦،ص٤٩،ص١٣٨،ص١٨٦،ص٢٣٠،ص ٣٠٤،ص٣١١،ص٣٥١،ص٣٦٨،ص٣٧٠، ص٣٨٢،ص٤١٥؛ج٢/ص٣٣،ص٣٤، ص٥٩.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج١/ص١١٩،ص٢٦٤،ص٢٧٢،ص٤٢٩،ص٤٦٢،ص٤٦٩ ،ص٤٧٣؛ج٢/ص٧،ص٤٤،ص٩١،ص١٤٨،ص١٩٢،ص ١٩٣؛ج٣/ص١٣٢،ص١٣٧،ص١٣٩،ص١٨٩،ص٢٦٠، ص٢٦٣،ص٢٧٠،ص٢٧٣؛ج٤/ص١٥٠،ص٢٣١،ص٤٤٩ ؛ج٥/ص٤٨،ص٧٧،ص١٦٥،ص١٧١،ص٢١٢،ص٣١١
لم يشتهر بدين ولا علم	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص١٥٨، ص١٩٠.
لا للسيف ولا للضيف	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص١٩٧،ص٢٥٠،ص٣٧٥،ص٤٩٧؛ ج٢/ص٥٩.
كان من مساوئ الدهر	السخاوي، الضوء اللامع	ج٤/ص١٦٣.
لا ذات ولا ادوات	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص٢٤٥، ص٢٥٠،ص٥٠٠.
كان مذموم السيرة	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص٤٣٧.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج٤/ص٢٣٩، ص٣١٥.
انتهت إليه الرياسة	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص٣٢٠،ص٣٦٢،ص٤٧٨.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج١/ص١٨،ص٣٦١،ص٤٤١؛ج٢/ص٢٧،ص٨٦،ص٢١٠، ص٤٦١؛ج٣/ص١٥٤،ص٢٢٤؛ج٤/ص١٢٠؛ج٥/ص٢٢٧.
فاق الاقران	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص٤٦،ص١٠٤،ص٣١١،ص٤٠٣،ص٤١١؛ج٢/ص ٥٦،ص١٠٢،ص١٢٩،ص١٧٣،ص١٨٢.
	ابن حجر، رفع الاصر	ج١/ص٩٥.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج٢/ص٧٥؛ج٤/ص١٩٢؛ج٥/ص٢٣٠.
	السيوطي، نظم العقيان	ج١/ص٣٩.
كان إماماً بارعاً	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص٣٩٣.
	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص٧،ص٣٠،ص٥٥،ص٦٠،ص١٤٠،ص٤٣٩،ص ٤٦٥،ص٤٧٠؛ج٢/ص٨٣،ص١٣٠،ص١٥٩.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج٣/ص٢٢٤؛ج٥/ص٤٩،
	السيوطي، نظم العقيان	ج١/ص٣٨،ص٤٥.
محمود الطريقة	ابن حجر، الدرر الكامنة	ج١/ص٤٣،ص١٠٨؛ج٢/ص٧.
	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص٣٣؛ج٢/ص٨٨.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج٢/ص٢٧٨؛ج٣/ص١٧٥؛ج٤/ص٦،ص١٥،ص٣٥٤.
من بيت علم ورئاسة	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص١٣،ص٦٨،ص١١٢،ص١٢٩.

قبيح السيرة	السخاوي، الضوء اللامع	ج١/ص٤٩٧،ص٤٩٩؛ج٣/ص٢٨٥،ص٤٩٩؛ج٤/ص٤١٣.
عنده فضل وفضيلة	ابن تغري بردي، المنهل الصافي	ج١/ص٣١.
	السخاوي، الضوء اللامع	ج١/ص٩٨.

الالفاظ النقدية التي وردت في كتب التراجم خلال القرن التاسع الهجري والموجهة الى (الطبقة الحاكمة، طبقة العلماء، طبقة الإداريين وفئات المجتمع الاخرى) .

الجداول المتعلقة بالفصل الاول :

جدول رقم (١) الألفاظ النقدية الموجهة إلى السلاطين

ت	اسم الملك او السلطان	فترة حكمه	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	بيبرس بن عبد الله، السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي البندقداري التركي	٦٥٨-٦٧٦هـ	ملكاً شجاعاً، مقداماً.	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ص٢٩٢-٢٩٨.
٢	سلامش بن بيبرس السلطان الملك العادل بدر الدين بن السلطان الملك الظاهر بيبرس البند قداري	٦٧٨هـ	ذا حياء ووقار، وعقل تام	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ص٤٦٠.
٣	أحمد بن محمد بن قلاوون، السلطان الملك الناصر ناصر الدين بن السلطان الملك الناصر أبي المعالي محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي	٧٤٢-٧٤٣هـ	وكان صاحب بأس وقوة مفرطة، وعنده شهامة	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ص١١٥-١١٧.
٤	الحسن بن محمد بن قلاوون، السلطان الملك الناصر أبو المعالي ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون	٧٥٥-٧٦٢هـ	وكان كريم النفس، باراً لأهله وأقاربه	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ١/ص٤٢٣-٤٢٤.
٥	الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، السلطان الملك الأشرف أبو المفاخر ابن الملك الأمجد بن السلطان الملك الناصر بن السلطان الملك المنصور	٧٦٤-٧٧٨هـ	كان ملكاً جليلاً، شجاعاً، مهاباً، كريماً، ليناً، هيناً، محبباً للرعية	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٢/ص١٢-١٦.
٦	داود بن عيسى بن محمد بن أيوب، السلطان الملك الناصر صلاح الدين، أبو المفاخر، وأبو المظفر بن السلطان الملك المعظم بن السلطان الملك العادل	٦٢٤- ٦٥٦هـ	كان مذموم السيرة	سلبي	المنهل الصافي،ج٥/ ص٢٩٤-٣٠٠.
٧	توران شاه بن أيوب بن محمد، السلطان الملك المعظم بن السلطان الملك الصالح نجم الدين بن السلطان الكامل بن السلطان العادل	٦٤٧-٦٤٨هـ	كان فيه خفة وطيش	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٤/ص١٨٣-١٨٤.
٨	برقوق بن آنص، السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق العثماني اليلبغاوي الجاركسي، سلطان الديار المصرية	الفترة الأولى ٧٨٤-٧٩١هـ الفترة الثانية ٧٩٢-٨٠١هـ	كان طماعا جدا	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع،ج ١/ص٤٨١.

٩	فرج بن برقوق بن أنس الناصر بن الظاهر أبو السعادات بن الظاهر الجركسي المصري، سلطان الديار المصرية	الفترة الأولى ٨٠١-٨٠٨هـ الفترة الثانية ٨٠٨-٨١٥هـ	وكان سلطاناً فتاكاً ظالماً، جباراً منهمكاً على الخمر واللذات	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع،ج ٦/ص١٦٨.
١٠	احمد بن إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يحيى ابن عمر بن علي بن رسول، الملك الناصر بن الاشرف صاحب زبيد	٨٠٣-٨٢٧هـ	لم تحمد سيرته، لكثرة ظلمه وعسفه	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٤٤؛السخاوي، الضوء اللامع،ج ١/ص١١٢-١١٣.
١١	اينال العلائي الظاهري ثم الناصري الأشرف سيف الدين أبو النصر ويقال له الأجرود	٨٥٧-٨٦٥هـ	كان جاهلا، غير محب للعلماء	سلبي	ابن تغري بردي، الدليل الشافي،ج١/ص١٧٥-١٧٦.

جدول رقم (٢) الألفاظ النقدية الموجهة الى الولاة

ت	اسم الولاة	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	أيبك بن عبد الله الصالحي، الأمير عز الدين، المعروف بالزراد، من المماليك الصالحية النجمية	٦٦٨هـ/١٢٦٩م	حسنت سيرته لمهابته ووقاره وحشمته	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ص٢٢٨.
٢	جانبك بن عبد الله اليشبكي الساقي، وإلي القاهرة، من مماليك الأمير يشبك الجكمى الأمير آخور	٨٥٧هـ/١٤٥٣م	كان فيه ذكاء وفطنة	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٣٧٣.
٣	إسماعيل بن محمد بن أيوبالملك الصالح عماد الدين أبو الجيش بن الملك العادل، كان صاحب بعلبك وبصرى	٦٤٨هـ/١٢٥٠م	كان غير مشكور السيرة	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٧٩.
٤	ايبك بن عبد الله الظاهري بيبرس والي حمص	٦٦٨هـ/١٢٧٠م	كان غير مشكور السيرة	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ ص١٣٣-١٣٤.
٥	إياس بن عبد الله الجرجاوي الأمير سيف الدين	٧٩٩هـ	كان رجلا عسوفا	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج٣/ ص ١٢٤-١٢٥.
٧	أحمد بن عمر بن الشهاب بن الزين الحلبي والوالي ويعرف بابن الزين	٨٠٣هـ/١٤٠٠م	كان من الظلمة	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٥٢؛السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٥٨.
٨	دولات خجا بن عبد الله الظاهري، سيف الدين، والي القاهرة	٨٤١هـ/١٤٣٧م	كان هذا ظالما غاشماً	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٢ / ص١٢٢.

جدول رقم (٣) الألفاظ النقدية الموجهة الى النواب

ت	اسم الملك او السلطان	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر

١	سودون بن عبد الرحمن الظاهري برقوق	٨٤١هـ/١٤٣٧م	كان ملكاً جليلاً، مهاباً، عارفاً، سيوساً، حازماً، شهماً، فطناً	ايجابي	ابن تغري بردي،المنهل الصافي، ج١/ ص٢٥٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص١٥٦.
٢	أقبردي المظفري	٨٤٧هـ/١٤٤٣م	وكان مشكور السيرة	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٤٦٤.
٣	سودون المحمدي المؤيدي شيخ ويعرف بسودون اتمكجي	٨٥٣هـ/١٤٤٩م	كان شجاعاً مشكور السيرة	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص١٦٣.
٤	أسنباي بن عبد الله الظاهري الزردكاش، الأمير سيف الدين	٨٥٢هـ/١٤٤٨م	عنده فصاحة ومعرفة وعقل	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٨١-١٨٢.
٥	قانباي الجركسي	٨٦٦ هـ/١٤٦٣ م	وصارت له كلمة نافذة، ووجاهة تامة	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٥٩.
٦	الطنبغا شَقَل	٨١٥هـ/١٤١٢م	كان من أهل الشر والفتن	سلبي	المقريزي، درر العقود، ج١/ص٤٣٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٣٢٠.
٧	سودون بن عبد الله الظاهري،المعروف بسودون الأشقر	٨٢٧هـ/١٤٢٤ م	كان عيباً كله لشدة بخله وفسقه وظلمه	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٤٩٢.
٨	إينال بن عبد الله النوروزي	٨٢٩هـ/١٤٢٥م	كان ظالماً فاسقاً	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٤٢.
٩	بيبغا بن عبد الله المظفري برقوق	٨٣٣هـ/١٤٣٠م	كان معظماً في الدولة	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٣٠٣.
١٠	أقباي بن عبد الله الكركي	٨٠٥هـ/١٤٠٢م	كان كثير الفتن والشرور لم يشتهر بدين ولا علم	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٤٦٧-٤٦٨، الدليل الشافي،ج١/ ص١٣٦.
١١	مغلباي بن عبد الله الجقمقي الساقي	٨٤٤هـ/١٤٤٠م	كان من مساوئ الدنيا شكلا وفعلا واعتقادا	سلبي	ابن تغري بردي، الدليل الشافي ،ج٢/ ص٧٣٧.
١٢	كزل العجمي الظاهري	٨٤٩هـ/١٤٤٥م	لا مشكور السيرة في دنياه ودينه	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٢٢٨.
١٣	سودون بن عبد الله البردبكي	٨٥٠هـ/١٤٤٦م	كان مهملاً لا يعتد به في الدول	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٤٩٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص١٥٧.
١٤	شهاب الدين احمد بن نوروز الخضري الظاهري	٨٥٢هـ/١٤٤٨ م	كان مسرفا على نفسه	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٢٥٥-٢٥٦.
١٥	تمربای بن عبد الله السيفي	٨٥٢هـ/١٤٤٨م	كان مهملا، عاريا من كل علم وفن	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤/ ص٩١-٩٣.
١٦	اقطوه الموساوي	٨٥٢هـ/١٤٤٨م	لم تشكر سيرته	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٠١.
١٧	سودون بن عبد الله السودوني	٨٥٤هـ/١٤٥٠م	كان شيخاً ضالاً، لا ذات ولا أدوات	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٥٠٠.

١٨	طوخ بن عبد الله من تمراز الناصري	٨٦٢هـ/١٤٥٨م	كان مهملا لا للسيف ولا للضيف	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٥٩؛ الدليل الشافي ،ج١/ ص٣٧١-٣٧٢.

جدول رقم (٤) الألفاظ النقدية الموجهة الى القضاة

ت	اسم القضاة	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن قدامة	٦٨٩هـ/١٢٩٠م	كان مشكور السيرة	ايجابي	ابن تغري بردي،المنهل الصافي، ج١/ ص١٦٢.
٢	علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري المالكي قاضي القضاة زين الدين	٧١٨هـ/١٣١٨م	كان كثير الإفضال، حسن المودة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٨٥.
٣	إبراهيم بن علي بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم، قاضي القضاة أبو إسحاق الحنفي	٧٤٤هـ/١٣٤٣م	كان إماما فقيها بارعا، أفتى ودرس،وحسنت سيرته	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢٣/١.
٤	أحمد بن إبراهيم بن عمر، قاضي القضاة شهاب الدين الصالحي	٧٧٢هـ/١٣٧٠م	كان إماما فقيها مشكور السيرة	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٣٩.
٥	محمود بن محمد بن إبراهيم بن سنبلي جمال الدين بن حافظ الدين	٧٩٩هـ/١٣٩٧م	كان مشكور السيرة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص١٣٢.
٦	أحمد بن الحسين بن إبراهيم، القاضي محي الدين	٨١٨هـ/١٤١٥م	كان ديناً مشكور السيرة	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج/ ص٥٥.
٧	يحيى بن حسن بن محمد بن عبد الواسع المحيوي الحيحاني	٨٤٢هـ/١٤٣٨م	كان مشكور السيرة في أحكامه	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص١٢٣.
٨	أحمد بن عبد الله النحريري شهاب الدين القاضي المالكي	٨٠٣هـ/١٤٠٠م	فلم يزل على سوء السيرة	سلبي	المقريزي، درر العقود، ج١/ ص١٦٧-١٦٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٣٧٢.
٩	أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال، قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس الدمشقي الشافعي المعروف بابن الحسباني	٨١٥هـ/١٤١٢م	لم تحمد سيرته	سلبي	المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٣٦٦.
١٠	عمر بن إبراهيم بن محمّد بن عمر بن عبد العزيز، القاضي كمال الدين أبو القاسم الحلبي ثم المصري	٨٢٠هـ/ ١٤١٧م	كان من شر قُضاة مصر حُمقا	سلبي	المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص ٤٢٨-٤٢٩

الجداول المتعلقة بالفصل الثاني :

جدول رقم (٥) الألفاظ النقدية الموجهة الى الفقهاء

ت	اسم الفقيه	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	أحمد بن محمد بن علي بن الشيخ الرفعة مرتفع بن حازم بن إبراهيم الأنصاري النجاري المعروف بابن الرفعة	٧١٠هـ/١٣١٠م	برع في الفقه وأصوله والعربية وغير ذلك	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٩٧.
٢	أبو بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن أحمد بن شهاب النشائي	٧١٦هـ/ ١٣١٦م	كان مشكور السيرة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص١٥٥.
٣	أحمد بن إبراهيم البصروي بن أحمد بن عتبة بن هبة الله بن عطاء بن ياسين الفقيه الحنفي	٧١٨هـ/١٣١٨م	كان شيخاً فقيهاً فاضلاً درس وأفتى	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ص٢٤.
٤	أحمد بن إبراهيم بن علي بن خضر بن سعيد بن صاعد الحصكفي شهاب الدين الصهيوني	٧٦١هـ/١٣٥٩م	مشكور السيرة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٨.
٥	محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني الفقيه الحنبلي	٧٦٣هـ/ ١٣٦١م	كان مشكور السيرة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص١٠٧.
٦	إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن يحيى بن أبي المجد اللخمي جمال الدين الأميوطي	٧٩٠هـ/١٣٨٨م	كان إماما في الفقه، ماهرا في النحو،عارفا بالأصول	ايجابي	المقريزي، درر العقود، ج١/ ص١٠١.
٧	عمر بن منصور بن سليمان السراج القرمي القاهري الحنفي	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	كان مشكور السيرة	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٢٤.
٨	أحمد بن عمر بن علي بن عبد الصمد بن أبي البدر الشهاب أبو العباس البغدادي	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	كان شيخاً وقوراً حسن الهيئة محباً في الحديث	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٧٩.
٩	أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان، القاضي شهاب الدين الغزي العامري	٨٢٢هـ/ ١٤١٩م	برع في الفقه وأصوله	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٢٩.
١٠	أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الشهبي الدمشقي الشافعي	٨٥١هـ/١٤٤٧م	انتهت إليه الرياسة ببلده بل صار فقيه الشام	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص٢٢٧-٢٢٨.
١١	ابراهيم بن عبد الرحمن بن سليمان، المعروف بابراهيم شيخ، السرائي	٨٠٢هـ/١٣٩٩ م	برع في الفقه والنحو	ايجابي	المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٨١.
١٢	محمد بن حسن بن إبراهيم بن عبد المجيد بن محمد بن يوسف الشمس الحلبي الشافعي	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	كان خيراً متعبداً متواضعاً متودداً	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٤.
١٣	محمد بن محمود بن محمد العلامة شمس الدين الاصبهاني	٦٧٨هـ/١٢٧٩م	قليل البضاعة من الفقه	سلبي	السيوطي، بغية الوعاء، ج١/ ص٢٤٠.
١٤	محمد بن أحمد بن علي بن غدير الواسطي الشيخ شمس الدين ابن غدير المقرئ	٧٣٩هـ /١٣٦٤م	كان سيئ الخلق بذي اللسان	سلبي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٤٤٣.

١٥	علي بن يوسف بن مكي بن عبد الله الدميري ثم المصري	٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م	لم يكن يدري من العلوم شيئاً سوى الفقه	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٧٠.
١٦	سراج الدين عمر بن ابي الحسن بن الملقن	٨٠٤هـ/١٤٠١م	لم يكن بالحديث بالمتقن ولا له ذوق أهل الفن	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٩-٢٠١.
١٧	محمد بن حسن، الشيخ شمس الدين الاسيوطي الشافعي	٨٠٨هـ/١٤٠٦م	كان كثير التهكم والازدراء بالناس	سلبي	المقريزي، درر العقود، ج٣/ ص١٣٨.
١٨	عبد الرحمن بن يوسف الكردي الدمشقي الشافعي زين الدين	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	قليل البضاعة في الفقه	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٩٦.
١٩	علي بن محمد بن محمد الدمشقي. صدر الدين ابن أمين ابن الأدمي الحنفي	٨١٦هـ/١٤١٣م	كان متجاهراً بما لا يليق بالفقهاء	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٨-٩.
٢٠	إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد برهان الدين أبو الوفاء بن المحدث الجمال بن الشافعي العرياني	٨٥٢هـ /١٤٤٨م	كثرة إسرافه على نفسه، ومجاهرته بالمعاصي	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٤٣.
٢١	عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن بيرم بن عبد العزيز بن مظفر ابن صعلوك التاج أبو محمد بن التقي القرشي	٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م	كان بعيد التصور والفهم جداً	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٤٥٨.
٢٢	برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن ابي بكر الخرباوي البقاعي	٨٨٥هـ/١٤٨٠ م	ما علمته أتقن فنّاً ولا بلغ مرتبة العلماء	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٦٣.
٢٣	علي بن محمد بن حسين العلاء بن النجم أو البدر بن الجمال السعدي الحصني ثم القاهري الشافعي	٨٨٨هـ/١٤٨٣م	قليل البضاعة من الفقه	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١١٢.

جدول رقم (٦) الألفاظ النقدية الموجهة الى المؤرخين

ت	اسم المؤرخ	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	عبد الرحمن بن أحمد الغزي المعروف بابن الشحنة	٧٩٩هـ/١٣٩٦م	كان يقظاً نبيهاً يستحضر كثيراً من ألفاظ المتون	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٩٧.
٢	إبراهيم بن محمد بن دقماق صارم الدين القاهري الحنفي	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	كان جميل العشرة، كثير التودد، حافظا للسانه، من الوقيعة في الناس	ايجابي	المقريزي، درر العقود، ج١/ ص١٠٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٩١.
٣	أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد، تقي الدين المقريزي	٨٤٥هـ/١٤٤١م	صنف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٨٠.

			علم، وكان ضابطاً مؤرخاً		
			كان قليل المعرفة بالمتقدمين ولذلك يكثر له فيهم وقوع التحريف والسقط	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٥٨.
٤	جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي الظاهري	٨٧٤ هـ/١٤٦٩م	تعبيره لا يطابق الواقع، ويذكر في الحوادث ما لم يتفق كأنه كان يكتب بمجرد السماع	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص١٨٤ـ١٨٥.
٥	محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي	٩٠٢ هـ /١٤٩٦م	كثرة لحنه وعريه من كل علم بِحيث أَنه لَا يحسن من غير الفن الحديثي شيئا أصلا	سلبي	السيوطي، نظم العقيان،ج١/ ص١٥٢ـ١٥٣.
٦	جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن ابي بكر بن عثمان بن محمد بن ناصر الدين السيوطي	٩١١هـ/١٥٠٥م	أنه لم يُمعن الطَّلَبَ في كل الْفُنون	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص ٢٣١.
٧	عبد الجبار بن علي بن محمد الاخطابي	د.ت	ولا يخلو من هَوَسٍ كشيخه	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢١٠

جدول رقم (٧) الألفاظ النقدية الموجهة الى الادباء واللغويين

ت	اسم الاديب او الشاعر	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	عبد الله بن علي بن منجد بن ماجد بن بركات، البارع المفنن تقي الدين السروجي	٦٩٣هـ/١٢٩٤م	عنده حظ جيد من النحو واللغة والأدب	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٨٠ـ٨١.
٢	عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح، الإمام العالم العلامة محيي الدين الأسدي الحنفي النحوي، يعرف بابن الصباغ	٧٢٧هـ/١٢٢٦م	برع في الأصول والنحو والأدب واللغة	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٧٦.
٣	عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي	٧٦٨هـ/١٣٦٦م	كان مشكور السيرة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٣٢.
٤	أحمد بن محمد بن منصور بن عبد الله، الشيخ شهاب الدين الأشموني الحنفي النحوي	٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م	كان بارعاَ في النحو، له فيه تصانيف جيدة	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ص١٠٤
٥	احمد بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى، تاج الدين	٨١١هـ/ ١٤٠٩م	برع بالعربية وفي الأدب	ايجابي	المقريـزي، درر العقـود، ج١/ ص٢٥٧.

	أبو العباس ابن علاء الدين ابن الظريف، البهنسي، المالكي				
٦	عبد الله بن احمد بن احمد بن احمد بن عبد الله بن نصر ابن الخشاب ابو محمد النحوي	٥٦٧هـ/١١٧١م	كان بخيلا مبتذلا ملبسه وعيشة، قليل المبالاة	سلبي	السيوطي، بغية الوعاء، ج٢/ ص٢٩-٣١.
٧	عمر بن محمد بن علي بن ابي نصر المعروف بابن الشحنة الموصلي	٦٠٦هـ/١٢٠٩م	كان خبيث اللسان، كثير الاستهزاء بالأمور الدينية	سلبي	السيوطي، بغية الوعاء، ج٢. ص٢٢٤.
٨	احمد بن علي بن مسعود بن عبد الله المعروف بابن السقاء	٦١٣هـ/١٢١٦م	لم يكن محمود السيرة	سلبي	السيوطي، بغية الوعاء، ج١/ ص٣٤٧.
٩	الحسن بن محمد بن أحمد بن نجاء، العلامة عز الدين الإربلي الرافضي، الفيلسوف الضرير	٦٦٠هـ/١٣٥٨م	ونسب إلى الانحلال وقلة الدين وترك الصلوات	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٤٢٣.
١٠	ابراهيم بن علي بن خليل، الاديب الشاعر، ابو إسحاق الحراني المسيدي، المعروف بعين بصل	٧٠٩هـ/١٣٠٩م	شعره غير متلاحم النسج ولا مستقيم النهج	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٢٠؛ الدليل الشافي، ج١/ ص٢٢.
١١	محمد بن قيصر بن عبد الله البغدادي الأصل المارديني نجم الدين النحوي	٧٢١هـ/١٣٢١م	وكان كثير الهجاء سيء السيرة	سلبي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص١٤٨؛ السيوطي، بغية الوعاء، ج١، ص٢١٦.
١٢	علي بن سعيد الخياط الصبيبي الملقب بالشوش	٧٣٨هـ/١٣٣٧م	قليل البضاعة من العربية	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٤٤.
١٣	أحمد بن محمود الحلبي بن إسماعيل بن إبراهيم بن صدقة الحلبي الأديب	٧٦٧هـ/١٣٦٦م	كان بذيء اللسان، ينتقص الأكابر ويقع في السلف	سلبي	درر العقود، ج١/ ص٢١١؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج١/ ص١٠٥.
١٤	أحمد بن محمد بن علي الدنيسري شهاب الدين ابن العطار الأديب القاهري	٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م	لم يكن ماهراً في العربية	سلبي	ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج١/ ص٣٨٨-٣٨٩.

<u>الجداول المتعلقة بالفصل الثالث :</u>

جدول رقم (٨) الألفاظ النقدية الموجهة الى الوزراء

ت	اسم الوزير	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن الناقد، الوزير الرئيس أبو الأسعد نصير الدين بن أبي السعادات البغدادي	٦٤٢هـ/١٢٤٤م	ولم تزل طريقته محمودة وأموره مرضية	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١١٤.
٢	عبد الله بن أحمد بن إبراهيم، الوزير الصاحب علم الدين ابن تاج الدين الشهير بابن زنبور، القبطي المصري	٧٥٥هـ/١٣٥٤م	كان عنده رئاسة وكرم على ذويه	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٧٢.

٣	أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حبان بن محمد، القاضي الصاحب شهاب الدين أبو العباس الجهني الحموي الشافعي، المشهور بابن البارزي	٧٥٥هـ/١٣٥٤م	كان لديه فضيلة، وهو من بيت علم ورئاسة، وكان مشكور السيرة	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٦٨.
٤	عبد الكريم بن الرويهب، الصاحب الوزير كريم الدين القبطي المصري	٧٤٨هـ/١٣٨٢م	كان خاملاً في ولايته، غير مشكور السيرة في مباشرته	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٤٤؛ الدليل الشافي،ج١/ ص٤٢٦.
٥	عبد الغني بن عبد الرزاق بن ابي الفرج، الأمير الوزير تاج الدين الارمني	٨٢١هـ/١٤١٨م	فوضع السيف في العرب واسرف في سفك الدماء	سلبي	المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص ٣٠٤-٣١١.
٦	عبد الوهاب بن عبد الله بن موسى بن أبي شاكر أحمد بن أبي الفرج إبراهيم بن سعيد الدولة تقي الدين بن الفخر بن التاج بن العلم بن التاج القبطي المصري	٨٢٢هـ/١٤١٩م	مباشرة مشكورة، وضبط تعلقاتها ضبطا جيدا.	ايجابي	المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص٣٦٨-٣٦٩.
٧	الحسن بن عبد الله، المعروف بابن محب الدين الطرابلسي، الأمير بدر الدين المشير	٨٢٤هـ/١٤٢١م	كان رجلاً ظالماً، مسرفاً على نفسه	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥/ ص٨٥-٨٨؛ الدليل الشافي،ج١/ ص٢٦٣.
٨	عبد الرزاق بن إبراهيم تاج الدين بن سعد الدين القبطي المصري	٨٣٤هـ/١٤٣٠م	لم تشكر سيرته في ولاياته	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١١٨.

جدول رقم (٩) الألفاظ النقدية الموجهة الى كتاب الانشاء

ت	اسم كاتب الانشاء	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أبي المجد، مسند الشام تقي الدين شرف الفضلاء أبو محمد التنوخي المعري الدمشقي	٦٧٢هـ/١٢٧٣م	كان متميزاً في كتابة الإنشاء، جيد النظم، ديناً متصوفاً	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٦٩.
٢	عبد العزيز بن محمد بن محمد بن خالد، القاضي عز الدين محمد بن شرف الدين أبي عبد الله بن الصاحب فتح الدين أبي بكر بن الصاحب عز الدين أبي حامد المخزومي الحلبي	٧٠٩هـ/١٣٠٩م	كانت له همة عالية، وفضل غزير، وذات لطيفة، نفس شريفة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣١٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٢٦.
٣	عبد الله بن جعفر التهامي عفيف الدين أبو جعفر	٧١٤هـ/١٣١٤م	مهر في الآداب وقال الشعر الحسن	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٧٠.

٤	شرف الدين ابو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله القرشي العدوي، العمري	٧١٧هـ/١٣١٧م	كان إماماً فقيهاً، كاتباً بليغاً، أديباً مترسلاً	ايجابي	ابن حجر،الدرر الكامنة،ج١/ ص٣٣٤؛ابن تغري بردي،المنهل الصافي،ج٢/ص١٥٣.
٥	عبد الرحمن بن الخضر بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يونس بن عثمان السنجاري ثم الحلبي	٧٤٤هـ/١٣٤٤م	كان من الفضلاء له نظم والنثر مع دمائة الخلق	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٩٨.
٦	محمد بن يحيى بن فضل الله بدر الدين ابن محيي الدين	٧٤٦هـ/١٣٤٥م	كان عاقلاً حسن السيرة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص١١٤.
٧	عبدالله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي	٧٦٤هـ/١٣٦٢م	كان حسن الأخلاق والكتابة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٩١.

جدول رقم (١٠) الألفاظ النقدية الموجهة الى ناظر الحسبة

ت	اسم ناظر الحسبة	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي	٧٤٦هـ/١٣٤٤م	كان صدرا رئيسا كثير الحشمة والمروءة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٤٦٥.
٢	إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان بن الحسن بن بشائر بن معالي بن عقيل، الحسيني الشريف النقيب	٧٩٦هـ/١٣٩٤م	كان رئيسا نبيلا، ولي حسبة دمشق فحمدت سيرته فيها	ايجابي	المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٦٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص١٢.
٣	تاج الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر القرشي الاسدي الشافعي المعروف بصائم الدهر	٧٩٦هـ/١٣٩٣م	كان خيرا مُنقبضا عن الناس	ايجابي	المقريزي، درر العقود، ج٣/ ص١٩٥.
٤	إبراهيم بن محمد بن لاجين الرئيس صارم الدين بن الوزير ناصر الدين بن الحسام الصقري	٨٣٣هـ/١٤٢٩م	كان عنده فضل وفضيلة، ويكتب الخط المنسوب	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٣١
٥	محمد بن محمد بن محمد بن النعمان بن هبة الله كريم الدين الهوى ثم القاهري	٨١٣هـ/١٤١٠م	ولي فظلم وعسف	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٤٧٩.
٦	محمد بن أحمد بن عبد الملك الشمس الدميري القاهري	٨١٤هـ/١٤١١م	وكان عارياً من العلم	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٣٤٧.
٧	شرف الدين محمد بن علي الشرف الحبري الشرابي	٨٢٣هـ/١٤١٩م	كان عامياً جلفاً قليل الخير كثير الشر	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٢١١.
٨	علي بن نصر الله الخراساني العجمي، ويعرف بالشيخ علي الطويل	٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م	أحكم في هذه الوظيفة مظالم.	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع،ج٣/ ص١٦٥

جدول رقم (١١) الألفاظ النقدية الموجهة الى ناظر الجيش

ت	اسم ناظر الجيش	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي شرف الدين	٧٢٩هـ/١٣٢٨م	كان رئيساً نبيلاً جواداً يحب الفضلاء	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ص١٦٩.
٢	موسى بن أحمد بن الحسين بن بدر بن أحمد بن قطب الدين	٧٣٢هـ/١٣٣١م	كان محباً في الفضلاء وقوراً مهيباً كثير المواساة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص١٤٨.
٣	محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي الأصل المصري	٧٧٨هـ/١٣٧٦م	فاق من قبله من الأكابر فضلاً عن أقرانه في المروءة والعصبية	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ص١١٧.
٤	عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم، القاضي تقي الدين ابن القاضي محب الدين التيمي الشافعي	٧٨٦هـ/١٣٨٤م	هو من بيت رئاسة باشر نظر الجيش بتجمل وحشمة	ايجابي	المقريزي، درر العقود،ج٢/ ص٣٧٥؛ابن تغري بردي،المنهل الصافي،ج٢/ص١٠٨.
٥	عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب بن علي بن سيدهم	٨٠٧هـ/١٤٠٤م	كان رئيساً محباً في أهل الخير	ايجابي	المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص٣٢١
٦	شاكر بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب، ويعرف بابن الجيعان	٨٨٢هـ/١٤٧٧م	عرف بجودة الرأي وحسن التدبير ووفور العقل	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ص١٦٦.
٧	عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي زين الدين	٨٥٤هـ/١٤٥٠م	وكان صاحب دهاء ومعرفة ورأي وتدبير	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٨٩-٩١.

<u>الجداول المتعلقة بالفصل الرابع :</u>

جدول رقم (١٢) الألفاظ النقدية الموجهة الى الاطباء

ت	اسم الطبيب	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	سليمان بن داود بن سليمان الدمشقي	٧٣٢هـ/١٣٣٢م	تعانى العلاج فمهر فيه جداً	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٣٤.
٢	علي بن عثمان بن أحمد بن عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي بهاء الدين ابن أبي الحوافر المصري	٧٣٤هـ/١٣٣٥م	تعانى صناعة الطب فمهر وكان حسن العلاج	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٧١.
٣	السديد الدمياطي الطبيب اليهودي	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	كان فاضلاً ، لم يكن في عصره	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٤٥٥.

		مثله في العلاج			
٤	إبراهيم بن أحمد، المعروف بابن المغربي، الرئيس جمال الدين أبو إسحاق	٧٥٦هـ/١٣٥٥م	كان له الفضيلة الوافرة في الطب علما وعملا	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٤
٥	علي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير علاء الدين بن نجم الدين بن شرف الدين رئيس الأطباء	٧٩٦هـ/١٣٩٤م	كان فاضلاً مفنناً انتهت إليه المعرفة	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٧٠.
٦	بديع بن نفيس، الشيخ الإمام صدر الدين التبريزي	٧٩٧هـ/١٣٩٥م	كان إماماً في الطب، جيد التدبير، حازقاً، ماهراً	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٤٩.
٧	أحمد بن إسماعيل بن عبد الله الشهاب الطيب ويعرف بالحريري	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	كان ذكياً فاضلاً تعانى الاشتغال بالطب والأدب	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص١٥٤.
٨	يوسف بن إبرهيم بن عبد الله بن داود بن أبي الفضل بن أبي المنجب ابن أبي الفتيان الجمال الداودي	٨٣١هـ/١٤٢٦م	برع في الطب وتصرف في العلاج به دهراً طويلاً	ايجابي	المقريزي، درر العقود، ج٣/ ص٥٦١؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج٥/ ص١٧٣.
٩	عمر بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد السراج بن البدر بن ناصر الدين بن الرئيس العلاء القاهري	٨٦٧هـ/١٤٦٢م	كان ظريفاً لطيف العشرة	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢١٥.
١٠	محمود بن أحمد بن حسن بن يعقوب العيتابي الحنفي، الرئيس مظفر الدين ابن الأمشاطي	٩٠٢هـ/١٤٩٦م	برع في الطب ففاق فيه	ايجابي	السيوطي، نظم العقيان، ج١/ص٦٠.

جدول رقم (١٣) الألفاظ النقدية الموجهة الى اسماء التجار

ت	اسم التاجر	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	أبو بكر بن علي بن أحمد بن محمد الخروبي	٧٨٧هـ/١٣٨٥م	كثير مروءته وسؤدده ونبله	ايجابي	المقريزي، درر العقود، ج١/ ص١٤٨.
٢	إبراهيم بن عمر بن علي، التاجر الرئيس برهان الدين المحلي	٨٠٦هـ/١٤٠٣م	كان عنده حشمة ومروءة، وخير ومعروف.	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٣-٢٤.
٣	محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف ولي الدين أبو الفضل بن الزين بن العلامة سيبويه الجمال الأنصاري القاهري الشافعي	٨٦٦هـ/١٤٦٢م	عرف بالديانة والثقة والأمانة	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٥٥.
٤	إبراهيم بن عبد الوهاب بن عبد السلام بن عبد القادر برهان	٨٦٧هـ/١٤٦٣م	كان خيراً مواظباً على	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٤٤.

ت	اسم صاحب المهنة والصنعة	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
	الدين أبو إسحاق بن التاج البغدادي ثم القاهري الحنبلي		الجماعات		
٥	إبراهيم بن أحمد بن خلف النبي ثم القاهري المالكي	٨٦٨هـ/١٤٦٤م	كان خيراً متعبداً كثير التلاوة	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ص٦.
٦	حسن بن محمد بن قاسم بن علي بن أحمد التاجر الكبير بدر الدين الصعدي اليمني نزيل مكة ويعرف بالطاهر	٨٧١هـ/١٤٦٧م	كان خيراً ساكناً متواضعاً وافر الملاة ذا مروءة	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٥٨.
٧	حسن بن محمد بن حسين بن محمد البدر بن الشمس بن العز البعلي الحنبلي التاجر، ويعرف بابن العجمي	د.ت	كان خيراً محباً في الحديث وأهله	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٥٧.
٨	إبراهيم بن عبد الله بن إسحق صارم الدين بن الجمال بن العماد البعلي الشافعي	د.ت	كان خيراً نير الشيبة جميل الهيئة	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٤٣.
٩	أحمد بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد الشهاب أبو العباس القاهري الأصل المحلي الشافعي	د.ت	صار أحد فضلاء بلده وأعيانها ممن أحسن النظم والنثر	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٣٩٥.

جدول رقم (١٤) الألفاظ النقدية الموجهة الى اصحاب المهن والصناعات

ت	اسم صاحب المهنة والصنعة	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	أحمد بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي شهاب الدين بن المعلم شمس الدين الطولوني	٨٠١هـ/١٣٩٨م	كان من أعيان القاهرة	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٤٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص١٤١.
٢	محمد بن أحمد بن يوسف المعلم شقير الفيشي الخياط	٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م	صار خياطاً معتبراً يقترح على الخياطين فنوناً، وله محبة في العلم واهله	ايجابي	المقريزي، درر العقود،ج٣/ ص١٣٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٤٣٧.
٣	محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن أبي الفضائل عثمان بن أبي الحسن علي بن يوسف الشرف بن الشمس الأسيوطي	٨٤١هـ/١٤٣٧م	كان فاضلا خيراً متعففاً	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٢٨٤.
٤	عمر بن أحمد بن يوسف العباسي الحلبي الحنفي ويعرف بالشريف النشابي	٨٥٨هـ/١٤٥٤م	كان خيراً حسن العشرة سخياً كثير التلاوة	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٨٢.
٥	أحمد بن موسى، الشيخ المعتقد أبو العباس الزرعي، الفقيه الصالح الزاهد	٧٦١هـ/١٣٦١م	كان له كرامات وقدم	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٣٣.

٦	عبد الله بن علي بن عبد الواحد الاطفيحي تاج الدين القلعي المصري	د.ت	كان كريم النفس متودداً محباً للمحدثين بشوشا	ايجابي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٧٩.
٧	علي نور الدين البير القاهري الشافعي	د.ت	أحد صلحاء صوفيتها.	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٧٢.
٨	محمد الشمس بن النجار الدمشقي	د.ت	كان بارعاً في صنعته متقدماً فيها	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص٤٧.

جدول رقم (١٥) الألفاظ النقدية الموجهة الى الاصدقاء والأقارب

ت	اسم الصديق او القريب	تاريخ وفاته	الألفاظ النقدية الموجهة إليهم	نوع النقد	المصدر
١	عبد الله بن محمد الجمال السمنودي ثم القاهري الشافعي	٨٢٣هـ/١٤٢٠م	كان فاضلاً خيراً.	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٨٦.
٢	عبد اللطيف بن محمد أبي الفتح بن أبي المكارم احمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن، السيد الشريف الحسني، قاضي القضاة سراج الدين، الفاسي ، الحنبلي	٨٥٣هـ/١٤٤٩م	كان نبيلاً، كريماً جواداً، مفرط الكرم، متواضعاً	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٤٦.
٣	أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي الشهاب أبو زرعة بن الشمس بن البرهان البيجوري القاهري الشافعي	د.ت	نعم الرجل تودداً وتواضعاً	ايجابي	السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٨٦.
٤	الحسين بن محمد بن حسن بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلَّم العكي، الحلوي، المعروف بابن العُلَيْف	د.ت	بارعً في الأدب، عارفاً بالنحو وغيره.	ايجابي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٤٣٤.
٥	سودون قريب الظاهر برقوق ويعرف بسيدي سودون	٨٠٣هـ/١٤٠١م	كان فيه من شراسة الخلق وشدة البطش	سلبي	المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص ١٠١-١٠٣.
٦	ماجد بن عبد الرزاق بن غراب، الوزير الصاحب فخر الدين	٨١١هـ/١٤١١م	كان قبيح السيرة، جاهلا	سلبي	المقريزي، درر العقود، ج٣/ ص٢٦
٧	عمر بن إبراهيم بن محمّد بن عمر بن عبد العزيز، القاضي كمال الدين أبو القاسم الحلبي المعروف بابن العديم	٨١١هـ/١٤١١م	كان من شر قضاة مصر حمقا وجراءة	سلبي	المقريزي، درر العقود، ج٢/ ص٤٢٩.
٨	سيف الدين ابو المعالي يلبغا السالمي	٨١١هـ/١٤٠٨م	كان متهورا في اخذ الاموال وانفاقها مع العسف واللجاج	سلبي	المقريزي، درر العقود، ج٣/ ص٥٤٨-٥٤٩.
٩	فتح الله بن مستعصم بن نفيس فتح الدين الإسرائيلي الداودي	٨١٦هـ/١٤١٣م	كانت خصاله كلها حميدة إلا	سلبي	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ص ٢٤٠.

	التبريزي الحنفي كاتب السر		البُخل والشح المفرط		
١٠	الحسن بن عبد الله، المعروف بابن محب الدين المشير الطرابلسي	٨٢٤هـ/١٤٢١م	كان ظالماً، مسرفاً على نفسه، منهمكاً في اللذات	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص٨٥ـ٨٨.
١١	إينال بن عبد الله النوروزي، أمير سلاح، الأمير سيف الدين	٨٢٩هـ/١٤٢٥م	كان من مساوئ الدهر، لما احتوى عليه من شراسة الخلق وشدة البطش	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج٣/ ص٢٠٠ـ٢٠١؛ الدليل الشافي، ج١/ ص١٧٣.
١٢	جانبك الاشرفي الدوادار	٨٣١هـ/١٤٢٧م	لم تمل نفسي الى صحبته، فحماني الله ووقاني	سلبي	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٥٧٢.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً : المصادر الأولية

-القرآن الكريم

الابشيهي ، شهاب الدين محمد (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)

١. المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، ط٢، دار الكتب العلمية ،(بيروت ، ١٩٨٦م).

ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد الجزري، (ت/٦٠٦هـ – ١٢٠٩م)

٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق، طاهر احمد الزاوي، محمود الطانجي، المكتبة العصرية (بيروت، د.ت)

ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م)

٣. معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق روبين ليفي، (لندن ١٩٣٨) .

الازهري، ابو منصور محمد بن احمد الهروي(ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م).

٤. تهذيب اللغة، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية،(القاهرة، ١٩٦٤م).

ابن إياس الحنفي، محمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م)

٥. بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مطبعة بولاق، (مصر ١٣١٤هـ) والمطبعة الأميرية ، (مصر ١٣١١هـ).

أبن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي(ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

٦. رحلة أبن بطوطة، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، (بيرت والقاهرة، د. ت)

ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هــ/١٤٦٩م).

٧. حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، (كاليفورنيا،١٩٣٠-١٩٣١م).

٨. الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق وتقديم، فهيم محمد شلتوت، ط٢، دار الكتب المصرية،(القاهرة، ١٩٩٨م).

٩. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، جــ ٧، تحقيق، محمد محمد امين، دار الكتب المصرية (القاهرة، ١٩٩٣م)، جــ ٣ تحقيق، نبيل محمد عبد العزيز، مطبعة النصر المصرية (القاهرة ، ١٩٨٥م).

١٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٢م).

الجبرتي، عبد الرحمن (ت ١٢٣٧ هــ / ١٨٢٢ م)

١١. عجائب الآثار في التراجم والاخبار، الهيئة العامة المصرية للطباعة و النشر(القاهرة، ١٩٧٨ م) .

ابن جماعة، بدر الدين (ت٧٣٣هــ/١٣٣٢م).

١٢. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ، تحقيق فؤاد عبد المنعم، مطبعة الباكر(قطر، ١٩٨٥م).

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هــ/١٦٥٦م) .

١٣. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، منشورات مكتبة المثنى(بغداد، د.ت).

ابن حجر، ابو الفضل شهاب الدين احمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت ٨٥٢هــ/ ١٤٤٩م).

١٤. إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق، حسن حبشي، (القاهرة، ١٩٩٨م).

١٥. تهذيب التهذيب، دار صادر، (بيروت، د. ت).

١٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل (بيروت، ١٩٩٣م).

١٧. رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق، حامد عبد المجيد وآخرين، مطبعة الأميرية (القاهرة، ١٩٦١ م).

الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبدالله(ت٩٠٠هــ/ ١٤٩٤م)

١٨. الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق، احسان عباس، مكتبة لبنـــان، (بيروت: ١٩٧٥م)

الحنبلي، احمد بن ابراهيم (ت٨٧٦هــ / ١٤٧١م) .

١٩. شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق ، نـــاظم رشـــيد، دار الحريـــة(بغداد، ١٩٧٩م).

الخطيب التبريزي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله(ت ٥٠٢هــ/ ١١٠٧م)

٢٠. شرح ديوان أبي تمام، ، تحقيق: محمد عبده عزام، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٨٣م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت ٨٠٨هــ/١٤٠٥م).

٢١. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العـــرب والعجـــم والبربـــر ومـــن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبنـــاني، (بيـــروت ١٩٦٦-١٩٦٧م).

٢٢. المقدمة، دار الرائد العربي، (بيروت، ١٤٠٢هــ) .

ابن دريد، محمد بن الحسن الازدي البصري (ت: ٣٢١هــ/٩٣٣م).

٢٣. جمهرة اللغة، مكتبة المثنى، (بغداد ، ١٩٢٦م).

الدواداري ، ابو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت٧٣٦هــ /١٣٣٥ م)

٢٤. كنز الدرر وجامع الغرر، المشهور بالدر المطلوب في اخبار بنـــي ايـــوب تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور، دار احياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٩٧٢م).

الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان قايماز (ت ٧٤٨هــ/١٣٤٨م)

٢٥. تأريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيـــق، عمـــر عبـــد الســـلام تدميري، دار الكتاب العربي(بيروت، ٢٠٠٢م).

٢٦. دول الإسلام في التاريخ ، تحقيق فهيم شلتوت، (القاهرة ١٩٧٤م).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦ هــ/١٢٧٧م) .

٢٧. مختار الصحاح ، دار الكتاب الحديث (الكويت ١٤٠٧هــ/١٩٨٧م) .

الزبيدي : محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هــ/١٧٩٠م).

٢٨. تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة (بيــروت ، د.ت).

سبط ابن الجوزي ، شمس الدين يوسف بن قزاوغلو (ت٦٥٤هــ/١٢٥٦ م)

٢٩. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان مطبعة دائرة المعارف العثمانية(حيدر اباد، ١٩٥٢م).

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هــ / ١٣٦٩ م)

٣٠. طبقات الشافعية الكبرى(القاهرة، ١٣٢٤هــ).

٣١. معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق، محمد علب النجار وآخــرون، دار الكتــاب العربي ، (مصر، ١٩٤٨م).

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت ٩٠٢ هــ / ١٤٩٦ م).

٣٢. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة (بيروت، د.ت)

السمناني ، أبو القاسم علي بن محمد بن احمد الرحبي (ت ٤٩٩هــ/١١٠٦م).

٣٣. روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق، صلاح الدين الناهي، مطبعة اسعد(بغداد، ١٣٨٩هــ/١٩٧٠م) .

ابن سيدة ، ابو الحسن بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هــ/١٠٦٦م) .

٣٤. المخصص،مطبعة المكتب التجاري للتوزيع والنشر،(بيروت، د. ت) .

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هــ/١٥٠٥م).

٣٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر(١٩٧٩م).

٣٦. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، دار إحيــاء الكتــب العربيــة (القاهرة، ١٩٦٧م).

٣٧. قطف الازهار في كشف الاسرار، تحقيق، أحمد بن محمد الحمــادي، ادارة الشؤون الإسلامية، (الدوحة، ١٩٩٤م).

٣٨. نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق، فيليب حتى، المكتبة العلمية(بيروت، ١٩٢٧م).

أبو شامة، شهاب الدين محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)

٣٩. تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري المعروف بـ "الذيل على الروضتين"، تصحيح : محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، (بيروت، ١٩٧٤م).

ابن شاهين، احمد بن علي بن خليل الظاهري (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨ م)

٤٠. زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق، بولس راوبس المطبعة الجمهورية، (باريس ١٨٩٤م).

الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م).

٤١. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، نشره معروف عبد الله باسندو، مطبعة السعادة (القاهرة، ١٣٤٨ هـ).

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

٤٢. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشره السيد الباز العريني، (القاهرة ١٩٦٤).

الصفدي، خليل بن ايبك (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٤٣. أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت- ٢٠٠٠م).

٤٤. الوافي بالوفيات، باعتناء احسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧٠)٠

الصيرفي: الخطيب الجوهري علي بن داود (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م).

٤٥. انباء الهصر بانباء العصر، حسن حبشي، دار الفكر العربي،(القاهرة، ١٩٧٠م)

٤٦. نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب (القاهرة، ١٩٧٠ م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)

٤٧. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، أبـو الفضـل إبـراهيم، دار المعـارف، (القاهرة، ١٩٦٩م) .

الطرابلسي، علاء الدين أبو الحسن علي بن خليل الحنفي (ت ٨٨٢هـ/١٥٠٤م)

٤٨. معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، المطبعـة الميمنيـة (القاهرة ، ١٣١٠هـ) .

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).

٤٩. الفخـري فـي الآداب السـلطانية والـدول الإسـلامية، دار صـادر (بيروت، ١٩٦٦م).

ابن طولون، محمد بن علي الصالحي (ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م)

٥٠. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق، محمد مصطفى، دار المصرية (القاهرة، ١٩٦٤م).

ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحـق بـن شـمائل الحنبلـي البغـدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م) :

٥١. مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، تحقيق، علي محمد البجاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٥٤م).

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)

٥٢. سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، المطبعة السلفية، (القاهرة : ١٣٨٠هـ).

ابن العمـاد الحنبلـي، شـهاب الـدين ابـي الفـلاح عبـد الحـي الدمشـقي العسـكري (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

٥٣. شذرات الذهب فـي اخبـار مـن ذهـب، دار احيـاء التـراث العربـي (د.ت).

العمري ، شهاب الدين بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

٥٤. التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة (القاهرة ، ١٣١٢هـ) .

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين(ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م).

٥٥. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق، فاضل جابر ضاحي، دار تموز(دمشق، ٢٠١٤م).

٥٦. السيف المهند في تاريخ الملك المؤيد ، تحقيق، فهيم شلتوت ، دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٦٧م).

٥٧. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي، مطبعة علاء (القاهرة، ١٩٨٥ م).

الغزي، نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م)

٥٨. الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة، تحقيق، جبرائيل سليمان جبور، ط ٢، دار الافاق الجديدة، (بيروت، ١٩٧٩م).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد(٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

٥٩. المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (القاهرة ، ١٣٢٥ هـ) .

ابن قاضي شهبة، تقي الدين ابو بكر احمد (ت٨٥١هـ/١٤٤٧ م)

٦٠. تاريخ بن قاضي شهبة ، تحقيق عدنان درويش (دمشق، ١٩٧٧م)

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م)

٦١. الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق احمد عبد العليم ، مطبعة دار الكتب، (القاهرة ١٩٦٧م).

القز ويني ، زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)

٦٢. آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر (بيروت، ١٩٦٠م) .

القلقشندي: شهاب الدين احمد بن علي بن احمد (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م).

٦٣. صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، مطبعة الأميرية(القاهرة، ١٩١٣ م).

٦٤. مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق، عبد الستار احمد فراج، مطبعة حكومة الكويت(الكويت، ١٩٦٤م) .

الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٦٥. عيون التواريخ، تحقيق، فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد (بغداد، ١٩٨٠م).

٦٦. فوات الوفيات، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧٤م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨ م).

٦٧. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحرية للطباعة (بغداد،١٩٨٩م).

٦٨. أدب الوزير (الوزارة) ، تحقيق محمد سليمان داوود وفؤاد عبد المنعم احمد، دار الجامعات المصرية (١٩٧٦م)

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م)

٦٩. الجامع الصحيح ، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٥٥م) .

المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي بن عبد القادر الحسين(ت٨٤٥هـ/١٤٤١ م).

٧٠. إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف و النشر(القاهرة، ١٩٤٠م).

٧١. درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، تحقيق، محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي (٢٠٠٢م).

٧٢. السلوك لمعرفة دولة المماليك ، تحقيق مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية(القاهرة، ١٩٣٦).

٧٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مطبعة مؤسسة الحلبي (القاهرة ، ١٢٧٠ هـ).

ابن مماتي، اسعد شرف الدين أبو المكارم بن أبي سعيد (ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م).

٧٤. قوانين الدواوين، تحقيق، عزيز سوريا عطية، مطبعة مصر (مصر، ١٩٤٣م).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

٧٥. لسان العرب ، دار صادر (بيروت، ١٩٦٨ م) .

النابلسي، عثمان بن إبراهيم (ت ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م).

٧٦. لمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية، مطبعة مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، د. ت).

النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م)

٧٧. نهاية الارب في فنون الادب، دار النهضة للطباعة والنشر (القاهرة-١٩٤٢).

الهمداني، فضل الله رشيد الدين (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)

٧٨. جامع التواريخ، ترجمة، محمد صادق نشأت وآخرين، تقديم: يحيى الخشاب، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٦٠م).

ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الحموي(ت٦٢٦هـ/١٢٦٦م).

٧٩. معجم البلدان، دار صادر (بيروت،١٩٥٩ م) .

ثانياً : المراجع الثانوية:

احمد، محمد منصور

٨٠. الشرق الأوسط في موكب الحضارة (الحضارة العربية الإسلامية)، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة،١٩٦٠م).

الانباري ، عبد الرزاق علي

٨١. النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي، مطبعة النعمان(النجف، ١٩٧٧م).

باشا ، سعاد علي

٨٢. الخطط التوفيقية الجديد و لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مطبعة بولاق (القاهرة، ١٣٠٦ هـ).

البغدادي ، اسماعيل باشا بن محمد امين(١٣٣٩هـ/١٩٢٠م).

٨٣. هدية العارفين –اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (بيروت، دار احياء التراث العربي ، د.ت).

التكريتي، محمود

٨٤. الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، مطبعة دار الرشيد (بغداد، ١٩٨١م).

حسن، علي إبراهيم

٨٥. مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني، (القاهرة، ١٩٦٣م).

حسين، احمد

٨٦. موسوعة تأريخ مصر، دار الشعب للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٧٩م).

الخربوطلي، علي حسني

٨٧. مصر العربية الإسلامية – السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي الاسلامي منذ الفتح العربي الى الفتح العثماني، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، د ت).

الدجيلي، عبد الصاحب عمران

٨٨. أعلام العرب في العلوم والفنون، (النجف ، ١٩٦٦م).

دهمان، محمد احمد

٨٩. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر (بيروت، ١٩٩٠م).

رضا، أحمد

٩٠. معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦٠م).

ابو زيد، سهام مصطفى

٩١. الحسبة في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(١٩٨٦م).

زيدان، جرجي

٩٢. تأريخ آداب اللغة العربية، تعليق: شوقي ضيف، دار الهلال(مصر، د.ت).

٩٣. تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتعليق، حسين مؤنس، دار الهلال(القاهرة، د.ت) .

السامرائي، حسام قوام

٩٤. المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، مكتبة دار الفتح ، (دمشق ١٩٧١م).

سرور، محمد جمال الدين

٩٥. دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٤٧م).

سعيد، ابراهيم حسن

٩٦. البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف (الاسكندرية ، ١٩٨٣ م).

سعيد، خليل

٩٧. منهج البحث التاريخي، (بغداد د.ت).

سليم، محمود رزق

٩٨. الأشرف قانصوه الغوري ، الدار العربية المصرية،(القاهرة، د.ت).

٩٩. عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي، مكتبة الآداب(القاهرة، ١٩٦٢م).

سليمان، أحمد السعيد

١٠٠. تأريخ الدول الإسلامية ومعجم الأُسر الحاكمة، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٩م).

شاكر، محمود

١٠١. التأريخ الاسلامي – العهد المملوكي، المكتب الاسلامي،(بيروت، ٢٠٠٠م).

شلبي، أحمد

١٠٢. موسوعة التأريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية،(مصر وسوريا من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر – الحروب الصليبية – الامبراطورية العثمانية)،(القاهرة ، ١٩٧٩م).

ضاحي، فاضل جابر

١٠٣. كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة دراسة وتحليل، دار الضياء للطباعة والنشر،(٢٠٠٩م).

١٠٤. العزوف عن الزواج بين المؤلفين في العصور الاسلامية، دار تموز(دمشق، ٢٠١٣م)

١٠٥. محاضرات في منهج البحث التاريخي، دار الضياء،(٢٠٠٨م)

طرخان ، إبراهيم علي

١٠٦. النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط، (القاهرة، ١٩٦٨م).

عاشور، سعيد عبد الفتاح

١٠٧. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية(القاهرة، ١٩٩٢م).

١٠٨. مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، (القاهرة،١٩٧٢م).

عاشور، فايد حماد

١٠٩. العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى، دار المعارف، (القاهرة ، ١٩٧٦م).

عبد الدايم، عبد العزيز محمود

١١٠. مصر في عصري المماليك والعثمانيين، مكتبة النهضة، (القاهرة، ١٩٩٦م).

عثمان، حسن

١١١. منهج البحث التاريخي، دار المعارف (القاهرة ١٩٧٦) .

العريني، الباز

١١٢. المماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٦٧م).

العلايلي، عبد الله

١١٣. الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد : نديم وأُسامة مرعشلي، دار الحضـــارة العربية، (بيروت، ١٩٧٤م).

عنان، محمد عبد الله

١١٤. مصر الإسلامية وتأريخ الخطط المقريزية، مطبعة لجنة التاليف والترجمـــة والنشر (القاهرة، ١٩٦٩م).

١١٥. مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصري، مطبعة لجنة التـــأليف والترجمة والنشر (القاهرة، د. ت) .

فروخ، عمر

١١٦. تأريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٢م).

كحالة ، محمد رضا

١١٧. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية ، مطبعة الترقي (١٩٥٧ م) .

ماجد، عبد المنعم

١١٨. تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلـــو مصـــرية (القاهرة ، ١٩٨٦م).

١١٩. نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الانجلـــو مصـــرية (القاهرة ، ١٩٦٧م).

مبارك، علي باشا

١٢٠. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مطبعة دار الكتب، (القاهرة، ١٩٦٩م).

مصطفى، شاكر

١٢١. التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٧٩م)

مؤنس، حسين

١٢٢. أطلس تاريخ الإسلام ، دار الزهراء للإعلام العربي، (القاهرة ١٩٨٧م).

الهاشمي، أحمد

١٢٣. جواهر الأدب في ادبيات وانشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، (بيروت، د.ت).

اليسوعي، لويس معلوف

١٢٤. منجد الطلاب، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٧٩م).